الإعجاز العلمى
فى القرآن الكريم

بقلم

د. حسين نصار

●

دار الهلال

الغلاف للفنان
محمد أبو طالب



الإعجاز العلمى

كلمة

لاحظ العلماء - منذ عصر مبكر - أن القرآن يوجه البشر إلى النظر فى الكون والأحياء ، والاستدلال من عجائب إبداعهما على وجود المبدع وقدرته وحكمته، ويشير - فى تضاعيف ذلك - إلى بعض الظواهر العلمية .

وقد دفعت هذه الملاحظة العلماء - منذ ذلك الوقت ، وإلى يومنا هذا - إلى جدل طويل ومتشابك حول ما تضمن ذلك من آيات .

وأجج من احتدام هذا الجدل انضمام آيتين لا تحملان إشارات علمية إليه ، ولكن كثيرا من المسلمين ربط بينهما وبين الآيات العلمية ، وأنكر ذلك آخرون .

هاتان الآيتان هما قوله - تعالى - فى الآية ٣٨ من

سورة الأنعام : ﴿.. **ما فرطنا في الكتاب من شيء ...** ﴾ وفى الآية ٨٩ من سورة النحل : ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة ...**﴾ .

الفصل الأول
تفسير الآيتين المقصودتين

اختلف المفسرون فى تفسير الآيتين الاختلاف الذى أورده فيما يلى :

تفسير الكتاب

كان أول ما اختلفوا فيه من الآيتين لفظ «الكتاب» ، على النحو الآتى:

القرآن

نستنبط من مجمع البيان أن عبدالله بن مسعود (٣٢/٦٥٣) أول من فسر الكتاب فى الآيتين بالقرآن (١) .

ولكن ابن الجوزى عزا هذا التفسير صراحة إلى عبدالله بن عباس (٣ ق . هـ - ٦٨/٦١٩- ٦٨٧) (٢) .

وذكر الطوسى والآلوسى أن الجبائى والبلخى اختاراه (٣) .

وأتى به دون نسبة إلى أحد : الطوسى (٤) .

ورجح ابن عطية (٤٨١-٥٤٢/١٠٨٨-١٠٤٨) هذا التفسير ، اعتمادا على أنه الذى يقتضيه نظام المعنى فى الآيات (٥) ، والرازى اعتمادا على أن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد ،

انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب - عند المسلمين - هو القرآن [٦] .

وذكر الطبرسى (٥٤٨/١١٥٣) أنه قول أكثر المفسرين [٧] .

وذكر النيسابورى أن بعضهم اعترض على تفسير الكتاب بالقرآن ، لأنه ليس فيه تفاصيل كثير من العلوم كالطب والحساب، ولا حاصل مذاهب الناس ودلائلهم فى علم الأصول والفروع . ثم ذكر أنه قد أجيب عن هذا القول بأن لفظ التفريط لا يستعمل إلا فيما يجب أن يفعل ؛ والمحتاج إليه إنما هو الأصول والقوانين لا الفروع التى لا تضبط ولا تتناهى [٨] .

أم الكتاب

ونقل الطبرى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن المعنىّ بالكتاب فى الآيتين أم الكتاب [٩] .

واتفق معه قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨/٧٣٦) وعبد الرحمن بن زيد (١٨٢/٧٩٨) ويونس بن عبدالأعلى الصدفى (١٧٠/٢٦٤/٦٨٧-٨٧٧) [١٠] .

وعرّف ابن الجوزى أم الكتاب باللوح المحفوظ [١١] ، والآلوسى بالفاتحة [١٢] وصاحب المنار بأنها أصله وجملته [١٣].

اللوح المحفوظ

ونقل الطوسى أن الحسن البصرى (٢٠/١١٠/٦٦٢-٧٢٨)

قال : إن الله أراد الكتاب المحفوظ عنده ، دوّن فيه آجال الحيوان وأرزاقه وآثاره ، ليعلم ابن آدم أن عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء (١٤) .

ونسب أبو حيان هذا القول إلى الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨/١٠٧٥-١١٤٤) ، وأعلن عن حق - أنه لم يذكر غيره من معاني الكتاب (١٥) .

والغريب أن عباس محمود العقاد عزا هذا القول وحده إلى أكثر المفسرين (١٦) .

وأتى به دون أن يعزوه إلى أحد : البغوي (١٧) .

ووصف الطبرسي اللوح المحفوظ بالكتاب الذي هو عند الله ، المشتمل على ما كان ويكون (١٨) ، والرازي بالكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات ، المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام (١٩) ، والقرطبي بالكتاب الذي أثبت فيه ما يقع من الحوادث (٢٠) ، والبيضاوي بالاشتمال على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق ، لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد (٢١)، والخازن بالاشتمال على جميع أحوال العالم على التفصيل (٢٢) ، وصاحب المنار بأنه خلق من عالم الغيب ، أثبت الله فيه مقادير الخلق ، ما كان منها وما يكون ، بحسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية (٢٣) .

الأجل

ونقل الطبرسي عن أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (٢٥٤- ٣٢٢/٨٦٨-٩٣٤) أن المراد بالكتاب الأجل ، أي ما تركنا شيئا إلا وقد جعلنا له أجلا هو بالغه ثم استبعد هذا القول (٢٤).

العلم الإلهي :

وذكر صاحب تفسير المنار أن من العلماء من يفسر الكتاب هنا وفي آيتي الرعد والزخرف بالعلم الإلهي المحيط بكل شئ ، فهو أشبه بالكتاب بكونه ثابتا لا ينسى (٢٥) .

وعلى الأقوال الأربعة الأخيرة يخرج الأمر عن هذه الدراسة ، لأنها لا تتناول إلا ما يتصل بالقرآن .

تفسير شئ :

واختلف المفسرون في تفسير ما ينطوي تحت كلمة «شئ» الواردة في الآيتين اختلافا واسعا ، كما اختلفوا في تفسير الكتاب.

كل العلوم :

فذهب جماعة منهم إلى أن الآيتين تشيران إلى كل شئ في الوجود ، وكل العلوم ، دون استثناء .

نقل الطبري أن عبدالله بن مسعود قال في تفسير آية النحل : أنزل في هذا القرآن كل علم ، وكل شئ قد بين في القرآن (٢٦) .

وروى الطبرسى عن ابن مسعود : إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين (٢٧) .

وجعل الغزالى – فى مرة أخرى – هذه العبارة : علوم الأولين والآخرين ، ورواها دون أن يعزوها إلى أحد، وتابعه فى ذلك كثيرون (٢٨) .

ونقل الرازى عنه خبرا يوجب علينا بعض التوقف . روى أن ابن مسعود كان يقول فى الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة (التى تصل شعرها بشعر غيرها) : مالى لا ألعن من لعنه الله فى كتابه ، فأتته امرأة سمعته فقالت : يا ابن أم عبد : تلوت البارحة ما بين الدفتين ، فلم أجد فيه لعن الواشمة والمستوشمة ! فقال : لو تلوته لوجدته . قال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (٢٩) وإن مما آتانا به رسول الله أنه قال : «لعن الله الواشمة والمستوشمة (٣٠) » .

وعقب الرازى على كلام ابن مسعود قائلا : أقول : يمكن وجدان هذا المعنى فى كتاب الله بطريق أوضح من ذلك ، لأنه – تعالى – قال فى سورة النساء : ﴿ وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ، لعنه الله ﴾ (٣١) فحكم عليه باللعن . ثم عدد بعده قبائح أفعاله ، وذكر من جملتها قوله : ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ (٣٢) وظاهر هذه الآية يقتضى أن تغيير الخلق يوجب اللعن (٣٣) .

فهذا الخبر يبين لنا أن ابن مسعود كان يرى أنه من الممكن استنباط «كل علم وكل شئ » من القرآن ، لا أن ذلك موجود فيه ، وأن ما يرد فى الأحاديث تكملة لما فى القرآن .

واتفق ابن عباس مع ابن مسعود ، فقد نقل الآلوسى أنه قال : «لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله » (٣٤) .

ونقل الطبرى عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (١٨٢/٧٩٨) أنه قال : ما من شئ إلاّ وهو فى الكتاب (٣٥) .

وروى الرازى أن محمد بن ادريس الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤/٧٦٧-٨٢٠) كان جالسا فى المسجد الحرام فقال : لا تسألونى عن شئ إلا أجبتكم فيه من كتاب الله . فقال رجل : ما تقول فى المحرم إذا قتل الزنبور ؟ فقال : لا شئ . قال : أين هذا فى كتاب الله ؟ فقال : قال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ..﴾ ثم ذكر إسنادا إلى النبى - ﷺ - أنه قال : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» ثم ذكر إسنادا إلى عمر بن الخطاب أنه قال : للمحرم قتل الزنبور (٣٦) .

وذكر الرازى أن على بن محمد الواحدى (٤٦٨/١٠٧٦) عقب على هذا الخبر قائلا : أجابه من كتاب الله مستنبطا بثلاث درجات. وأقول : هاهنا طريق آخر أقرب منه ، وهو أن الأصل فى أموال المسلمين العصمة ، قال تعالى : ﴿ لها ما كسبت ، وعليها

ما اكتسبت ...﴾ (٣٧) وقال : ﴿ولا يسألكم أموالكم ...﴾ (٣٨) وقال : ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم....﴾ (٣٩) – فنهى عن أكل أموال الناس إلا بطريق التجارة . فعند عدم التجارة ، وجب أن يبقى على أصل الحرية . وهذه العمومات تقتضى ألاّ يجب على المحرم الذى قتل الزنبور شئ ، وذلك لأن التمسك بهذه العمومات يوجب الحكم بمرتبة واحدة .

وأما الطريق الذى ذكره الشافعى فهو تمسك بالعموم على أربع درجات :

أولها : التمسك بعموم قوله : ﴿وما آتاكم ..﴾ وأحد الأمور الداخلة تحت هذا أمر النبى – ﷺ – بمتابعة الخلفاء الراشدين .

وثانيها : التمسك بعموم قوله – ﷺ – : «عليكم بسنتى..» .

وثالثها : بيان أن عمر كان من الخلفاء الراشدين .

ورابعها : الرواية عن عمر أنه لم يوجب فى هذه المسألة شيئا .

فثبت أن الطريق الذى ذكرناه أقرب (٤٠) .

وذكر الواحدى مثالا آخر ، جعل للرازى الحق أن يعقب قائلا :

ثبت بهذه الأمثلة أن القرآن لما دل على أن الإجماع حجة ، وأن خبر الواحد حجة ، وأن القياس حجة ، فكل حكم ثبت بطريق من هذه الطرق الثلاثة ، كان – فى الحقيقة – ثابتا بالقرآن .

فعند هذا يصح قوله تعالى : ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ هذا تقرير القول ، وهو الذى ذهب إلى نصرته جمهور الفقهاء (٤١) .

واستمر الرازى يقول : إلا أنا نقول : حمل آية الأنعام على هذا الوجه لا يجوز ، لأنها ذكرت فى معرض تعظيم هذا الكتاب ، والمبالغة فى الثناء عليه . ولو حملنا هذه الآية على هذا المعنى ، لم يحصل ما يوجب التعظيم ، فوجب أن يقال : إنه لا يجوز حمل هذه الآية على هذا المعنى (٤٢) .

ومؤدى كلام الشافعى أن الكتاب الذى حوى كل شئ ليس القرآن وحده ، بل تضاف إليه السنة المأخوذة عن النبى – ﷺ – والخلفاء الراشدين ، وأضاف الواحدى ما قيس عليهما .

ومن الطبيعى أن هذا القول يختلف عما يتصوره أصحاب التفسير والإعجاز العلميين .

وذكر السيوطى أن محمد بن يحيى المعروف بابن سراقة حكى فى كتاب الإعجاز عن أحمد بن موسى التميمى المعروف بابن مجاهد (٢٤٥/٣٢٤/٨٥٩-٩٣٦) أنه قال : ما شئ فى العالم إلا وهو فى كتاب الله . فقيل : فأين ذكر الخانات (الفنادق) ؟ قال : فى قوله : {ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم } (٤٣) فهى الخانات (٤٤) .

وحكى أبو حيان أن أبا البقاء يعيش بن على (٥٥٣-٦٤٣/١١٦١-١٢٤٥) جعل (من شئ) هنا واقعا موقع المصدر، أى تفريطا ، وقال : وعلى هذا التأويل لا يبقى فى الآية حجة لمن ظن أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شئ تصريحا . ونظير ذلك قوله : {لا يضركم كيدهم شيئا} (٤٥) أى ضررا (٤٦) .

ولكن أبا حيان رد عليه قائلا : ما ذكره ليس كما ذكر ، لأنه إذا تسلط النفى على المصدر كان المصدر منفيا على جهة العموم ، ويلزم من نفى العموم نفى أنواع المصدر وأنواع مشخصاته . ونظير ذلك قولك : «لا قيام» فهذا نفى عام ، فينتفى منه جميع أنواع القيام ومشخصاته كقيام زيد ، وقيام عمرو وما أشبه ذلك ، فإذا نفى التفريط على طريق العموم، كان ذلك نفيا لجميع أنواع التفريط ومشخصاته ومتعلقاته . فيلزم من ذلك أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شئ (٤٧) .

وقد كان هذا التفسير للآيتين القاعدة التى بنى أصحاب التفسير والإعجاز العلميين مذهبهم عليها .

العلوم الدينية وما اتصل بها :

نقل الطبرى عن مجاهد بن جبر (٢١ - ١٠٤/٦٤٢-٧٢٢) قال فى تفسير آية سورة النحل : تبيان لكل شئ مما أحل وحرم (٤٨).

ونقل السيوطى عن الحسن البصرى (٢٠ -١١٠/٦٦٢-٧٢٨) أنه قال : أنزل الله ١٠٤ كتاب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة، والانجيل ، والزبور ، والفرقان . ثم أودع علوم الثلاثة فى الفرقان . ثم أودع علوم القرآن فى المفصل ، ثم أودع المفصل فاتحة الكتاب . فمن علم تفسيرها كان كمن علم جميع الكتب المنزلة (٤٩) .

ونقل الطبرى عن عبدالملك بن عبدالعزيز المعروف بان جريج (٨٠-١٥٠/٦٩٩-٨٦٧) ما يوافق تفسير مجاهد ، غير أنه جعل عبارته : تبيانا لكل شئ : ما أُمروا به ونهوا عنه . وهى عبارة رويت عن مجاهد أيضا (٥٠) .

وأجمل الطبرى (٢٢٤-٣١٠-٨٣٩-٩٢٣) هذا المذهب فى تفسير الآية فى قوله : نزل عليك - يا محمد - هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام ، والثواب والعقاب (٥١) .

ويدعمه قوله أيضا : القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد، والأخبار ، والديانات ، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه ، لأنها تشمل التوحيد كله (٥٢) .

ونقل الطوسى عن عبدالله بن أحمد البلخى (٢٧٣-٣١٩/٨٨٦-٩٣١) أنه قال فى تفسير آية سورة الأنعام :

أى لم ندع الاحتجاج بما يوضح الحق، ويدعو إلى الطاعة والمعرفة، ويزجر عن الجهل والمعصية ، وتصريف الأمثال ، وذكر أحوال الملائكة وبنى آدم وسائر الخلق (٥٣) ، ولكن الطبرسى خالف الطوسى وذكر أن البلخى من أنصار احتواء القرآن على كل شئ (٥٤) .

وقال على بن عيسى الرمانى (٢٩٦-٣٨٤/٩٠٨-٩٩٤) : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا : الإعلام ، والتشبيه ، والأمر ، والنهى ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله وصفاته وأفعاله ، وتعليم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والرد على الملحدين، والتبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ، ومدح الأبرار ، وذم الفجار، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتقريع ، والتبيان عن ذم الأخلاق وشرف الآداب (٥٥) .

وذهب محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥-٤٦٠/٩٩٥-١٠٦٧) إلى أن المراد كل شئ من أمور الدين (٥٦) ، إما بالنص عليه (٥٧) ، أو الإحالة على ما يوجب العلم : من بيان النبى - ﷺ (٥٨) - والحجج القائمين مقامه (٥٩) ، أو إجماع الأمة (٦٠) ، أو الاستدلال (٦١) ، لأن هذه الوجوه أصول الدين ، وطريق موصلة إلى معرفته (٦٢) .

وعقب عزيزى بن عبدالملك المعروف بشيذلة (٤٩٤/١١٠٠) على كلام الطبرى والرمانى : على التحقيق إن تلك الثلاثة التى قالها ابن جرير الطبرى تشمل هذه كلها (التى قالها الرمانى) بل أضعافها ، فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه (٦٣) .

وقال الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢/١١٠٨) : إن الله كما جعل نبوة النبيين بنبوة محمد - ﷺ - مختتمة - وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ، ومن وجه مكملة متممة ، جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه التى أولاها أولئك .

كما نبه عليه بقوله : ﴿يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة﴾(٦٤).

وعلل محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧-٥٣٨/١٠٧٥-١١٤٤) الإحالة على السنة فقال : حيث أمر فى القرآن باتباع رسول الله - ﷺ - وطاعته ، فقيل : ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ (٦٥) ، واعتمد فى قوله بالإجماع على قوله تعالى : ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ (٦٦) ، ثم قال : وقد رضى رسول الله - ﷺ - لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم فى قوله : «أصحابى كالنجوم : بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٦٧) ، وسمى الاستدلال قياسا (٦٨) .

وأضاف الاجتهاد (٦٩) وختم بأن قال : فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب ، فمن ثم كان الكتاب تبيانا لكل شئ (٧٠) .

وجعل عبدالحق بن غالب المعروف بابن عطية معنى الآية مناسبا لتفسير (الكتاب) ، فإذا كان المراد به اللوح كان معنى الآية عاما شاملا كل شئ ، وإذا كان المراد القرآن كان معنى الآية خاصا فى الأشياء التى فيها منافع للمخاطبين وطرائق هدايتهم(٧١) .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى (٥٤٣/١١٤٨) : علوم القرآن ثلاثة : توحيد ، وتذكير ، وأحكام .

فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله .

والتذكير منه الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن .

والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهى والندب .

ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن ، لأن فيها الأقسام الثلاثة ، وسورة الإخلاص ثلثه ، لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة ، وهو التوحيد (٧٢) .

وجعل القاضى عياض بن موسى اليحصبى (٤٧٦-٥٤٤/١٠٨٣-١١٤٩) من وجوه إعجاز القرآن : جمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب عامة (٧٣) .

ثم وضح ما عناه فقال : فجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبه على طرق الحجج العقليات ، والرد على فرق الأمم ، ببراهين قوية ، وأدلة بينة ، سهلة الألفاظ ، موجزة المقاصد ، إلى ما حواه من علوم السير وأبناء الأمم ، والمواعظ والحكم (٧٤) .

وتردد الفضل بن الحسن الطبرسى (٥٤٨/١١٥٣) فجعل المراد بآية الأنعام : جميع ما يحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ، ذكر فيه إما مجملا وإما مفصلا (٧٥) ، والمراد بآية النحل : كل شئ يحتاج إليه من أمور الشرع : أى ما من شئ يحتاج الخلق إليه فى أمر من أمور دينهم إلا وهو مبين فى الكتاب (٧٦) .

وقال فخر الدين محمد بن عمر الرازى (٥٤٤-٦٠٦/١١٥٠ - ١٢١٠) يجب أن يكون قوله : {ما فرطنا فى الكتاب من شئ} مخصوصا ببيان الأشياء التى تجب معرفتها والإحاطة بها ، وبيانه من وجهين :

الأول : أن لفظ التفريط لا يستعمل نفيا وإثباتا إلا فيما يجب أن يبين ، لأن أحدا لا ينسب إلى التفريط والتقصير فى أن لا يفعل ما لا حاجة إليه (٧٧) .

الثانى : أن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة - بالمطابقة أو التضمين أو الالتزام - على أن المقصود من انزال هذا الكتاب بيان الدين، ومعرفة الله وأحكامه ، وإذا كان هذا التقييد معلوما من كل القرآن ، كان المطلق ها هنا محمولا على ذلك المقيد (٧٨) .

وقال فى تفسير آية النحل : العلوم إما دينية أو غير دينية ، أما العلوم التى ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية ، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله إنما مدح القرآن :-

بكونه مشتملا على علوم الدين ، فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه (٧٩) .

وقال أيضا : القرآن واف ببيان جميع الأحكام (٨٠) .

وقصر محمد بن أحمد القرطبى (٦٧١/١٢٧٣) القياس على ما ثبت بنص الكتاب ، كما جاء فى قوله : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وختم بأن قال : فصدق خبر الله بأنه ما فرط فى الكتاب من شئ إلا ذكره ، إما تفصيلا وإما تأصيلا (٨١).

وذهب أحمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية (٦٦١-٧٢٨/١٢٦٣-١٣٢٨) إلى أن القرآن معجز باحتوائه العلوم التى فيها كمال النفوس وصلاحها ، وسعادتها ونجاتها ،

ولا يضارعه فى ذلك علوم أهل النبوات ، ولا علوم الفلاسفة ، فهو يغنى عن كل شئ سواه (٨٢) .

وذهب محمد بن أحمد المعروف بابن جزى الكلبى (٦٩٣-٧٤١/١٢٩٤-١٣٤٠) إلى أن من وجوه إعجازه : ما فيه من التعريف بالبارى ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه وما يستحيل ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة ، والرد على أصناف الكفار ؛ أو ما سماه العلوم الإلهية ، والبراهين الواضحة ، والمعانى العجيبة ، التى لا يمكن أن يعلمها الناس ، مع مجيئها فيه على وجه الكمال (٨٣) .

واتفق أبو حيان محمد بن يوسف (٦٥٤-٧٤٥/١٢٥٦-١٣٤٤) مع من قال : إن الآية من العام الذى يراد به الخاص ، والمعنى عنده : من شئ يدعو إلى معرفة الله وتكاليفه ودلائل الإلهية (٨٤) ورد الحديث الذى أتى به الزمخشرى قائلا : هو حديث موضوع ، لا يصح بوجه عن رسول الله - ﷺ - وأتى بعدة أقوال تكشف عن ضعف أسانيده (٨٥) .

وذكر إبراهيم بن موسى الشاطبى (٧٩٠/١٣٨٨) أن المراد بالآيات - عند المفسرين - ما يتعلق بالتكليف والتعبد (٨٦) .

وقال محمود بن عمر الآلوسى : تكفل القرآن ببيان الأمور

الدينية الأصلية على أتم وجه ، فليكن المراد من كل شئ ذلك (٨٧).

وقال محمد أبو زهرة : اشتمل القرآن على لب الرسالة الإلهية – وهو التوحيد – وعلم النبوة كله ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وما فرط الله فى الكتاب من شئ من علم النبوة ، مما يتعلق بالشرائع والأحكام ، وبيان ما يطلب من المكلف ، وما به صلاحه فى الدنيا وثوابه فى الآخرة (٨٨) .

وأخيرا قال د. محمود بسيونى فودة : اشتمل على علوم ومعارف، تصلح حال الإنسان ، فى كل زمان ومكان ، تصلح حاله عقديا ، وتصلح حاله نحو علاقته بربه ، ونحو علاقته بمجتمعه (٨٩).

تبين لنا هذه الجولة أن القول بأن المراد بالآيتين العلوم الدينية بدأ منذ القرن الهجرى الأول : عند مجاهد والحسن ، أى تأخر قرابة نصف قرن عن القول بأن المعنى كل شئ .

وتبين أنه بدأ عند أصحاب الرأى أو من عرفوا به .

وتبين أنه بدأ بأن المراد به الأحكام التى تبين الحلال والحرام ، وهو تعبير استمر – مع زيادات تطول وتقصر – إلى اليوم ، واتسع الطوسى ومن تبعه – وهم الأكثرية – فأعلنوا أن المراد كل شئ من أمور الدين . ووقف الآلوسى عند الأصلى من الأمور الدينية .

وأتى البلخى وابن تيمية ومحمد أبو زهرة بعبارات : انفرد كل منهم بها .

وتبين أن الحسن والراغب انفردا بإبانة موقف القرآن من الكتب السماوية التى سبقته من حيث المضمون ؛ وأن الطبرى وابن العربى أجملا المضمون القرآنى فى ثلاثة ، جعلها الطبرى : التوحيد والتذكير والديانات ، وابن العربى التوحيد والتذكير والديانات ، ولعله أراد بالتذكير ما سماه الطبرى الاخبار ، وبالأحكام ما سماه الديانات .

واتجه الرمانى إلى تعداد ما اشتمل عليه القرآن من معارف ، فجلب عليه اعتراض شيذلة .

واختلف المفسرون فى موقف البلخى ، بين القول بهذا الرأى أو سابقه وتردد الطبرسى بينهما ، ولم تعط عباراته موقفا صريحا .

ومن أدعى المواقف للدهشة موقف فخر الدين الرازى . فقد كان حاسما فى التفرقة بين العلوم الدينية والعلوم غير الدينية ، وأن القرآن لا شأن له بغير الدينية ، ولكنه فى تفسيره يخالف هذه الأقوال مخالفة جلية ، ويحتفل فيه بكثير من العلوم – وبخاصة الفلك – احتفالا كبيرا ، لفت كل من تكلم عنه ، حتى قيل فيه : «فيه كل شئ إلا التفسير» (٩٠) .

ومنذ عهد الطوسى نجد الكتاب لا يكتفون بالنص القرآنى ،

ويضيفون إليه ما أضافه القائلون بأن القرآن لم يفرط فى كل شئ.
ونجد عند الطوسى والطبرى إضافة شيعية - أقوال الحجج - وهى إضافة لم يوردها غيرهما ممن رجعت إليهم ، وأضاف الزمخشرى الاجتهاد .

وكان القاضى عياض ممن جعل هذا القول أحد وجوه الإعجاز. ثم تبعه ابن تيمية وابن جزى .

وقد أطال أبو حيان فى تضعيف الحديث الذى أورده الزمخشرى وتوهينه ، على الرغم من شهرة هذا الحديث .

الهوامش

(١) الطبرسى ٥٧/٧ .

(٢) زاد ٣٥/٣ .

(٣) التبيان ١٢٩/٤ . الطبرسى ٥٧/٧ . روح ١٤٤/٧ .

(٤) التبيان ١٢٨/٤-٩ ابن عطية ١٩٤/٥ . الرازى ٢١٥/١٢ . القرطبى ٤٢٠/٦ . الخازن١٤/٢ . ابن جزى ١٥/٢ . أبو حيان ١٢٠/٤ . البيضاوى ١٨٧/٢ . النيسابورى ١٤٢/٧ . أبو السعود ١٣١/٣ . الشوكانى ١١٤/٢ . الآلوسى ١٤٤/٧ . المنار ٣٩٤/٧ . على فكرى ٩ . التفكير ٦٨ . الغمراوى ٣٦٤ .

(٥) المحرر ١٩٤/٥ ، أبو حيان ١٢٠/٤ .

(٦) مفاتيح ٢١٥/١٢ .

(٧) مجمع ٥٧/٧ .

(٨) غرائب ١٤٢/٧ .

(٩) جامع ١١٩/٧ . ابن الجوزى ٣٥/٣ . المنار ٣٩٤/٧ .

(١٠) الطبرى ١١٩/٧ . ابن الجوزى ٣٥/٣ .

(١١) زاد ٣٥/٣ .

(١٢) روح ١٤٥/٧ .

(١٣) ٧/٣٩٤ .

(١٤) التبيان ٤/١٢٨ . الطبرسي ٧/٥٧ . الآلوسي ٧/١٤٥ .

(١٥) البحر ٤/١٢٠ . الغمراوي ٣٦٤ .

(١٦) التفكير ٦٨ .

(١٧) معالم ٢/٩٥ . الزمخشري ٢/٢١ . ابن عطية ٥/١٩٤ . الرازي ١٢/٢١٥ . القرطبي ٦/٤٢٠ ، الخازن ٢/١٤ . ابن جزي ٢/١٥ . العلوي ٣/٤٦٣ . الشاطبي ٢/٥٦ البيضاوي ٢/١٨٧ . النيسابوري ٧/١٤٢ . أبو السعود ٣/١٣١ . الشوكاني ٢/١١٤ . المنار ٧/٣٩٤ . الخولي ٥/٣٦٠ . الحمصي ١٥٢ . التفكير ٦٨ . الغمراوي ٣٦٤ . فاضل ٣٠٤ .

(١٨) مجمع ٧/٥٧ . الآلوسي ٧/١٤٥ .

(١٩) مفاتيح ١٢/٢١٥ . الخازن ٢/١٤ .

(٢٠) الجامع ٦/٤٢٠ . الشوكاني ٢/١١٤ .

(٢١) أنوار ٢/١٨٧ . فكري ٩ .

(٢٢) لباب ٧/١٤٢ .

(٢٣) ٧/٣٩٤ .

(٢٤) مجمع ٧/٥٧ . الآلوسي ٧/١٤٥ .

(٢٥) ٧ / ٣٩٤ .

(٢٦) جامع ١٠٨/١٤ الإكليل ٢٤٠ الآلوسى ١٤٤/٧. فاضل ٣٠٢.

(٢٧) مجمع ٥/١ إحياء الغزالى ١٣٥/٣ . معترك ١٤/١ . الاتقان ١٤٦/٢ . الاكليل ٥ .

(٢٨) جواهر ٢٧.٨ . معترك ١٧/١ . الاتقان ١٤٧/٢. الآلوسى ١٤٤/٧ ، ٢١٦/١٤ . الحمصى ١٣٩ . عطا ٢٥٩ . فاضل ٣٠٢ . قمحاوى ٦/٣ .

(٢٩) سورة الحشر ٧ .

(٣٠) مفاتيح ٢١٦/١٢ . معترك ١٦/١ الاكليل ٦ . الآلوسى ١٤٤/٧ ، ٢١٥/١٤ ، الغمراوى ٣٦٩ . قمحاوى ٥/٣.

(٣١) ١١٧، ١١٨ .

(٣٢) ١١٩ .

(٣٣) مفاتيح ٢١٦/١٢ .

(٣٤) روح ١٤٤/٧ ، ١٤ /٢١٦ . معترك ١٧/١ . الاتقان ١٤٧/٢ ، الاكليل ٦ . قمحاوى ٦/٣ .

(٣٥) جامع ١١٩/٧ .

(٣٦) مفاتيح ٢١٦/١٢ . معترك ١٥/١ . الاتقان ١٤٦/٢ الاكليل ٦ . الآلوسى ١٤٤/٧ ، ٢١٥/١٤ . فكرى ١٥/١ . قمحاوى ٤/٣ .

(٣٧) سورة البقرة ٢٨٦.

(٣٨) سورة محمد ٣٦ .

(٣٩) سورة النساء ٢٩ .

(٤٠) مفاتيح ١٢/٢١٦ – ٧ .

(٤١) مفاتيح ١٢/٢١٧ . الآلوسى ١٤/٢١٥ .

(٤٢) مفاتيح ١٢/٢١٧ .

(٤٣) سورة النور ٢٩ .

(٤٤) معترك ١/١٦ . الاتقان ٢/١٤٦ . فكرى ١/١٥ قمحاوى ٣/٥ .

(٤٥) سورة آل عمران ١٢٠ .

(٤٦) البحر ٤/١٢١ . الآلوسى ٧/١٤٥ .

(٤٧) نفس الموضعين .

(٤٨) جامع ١٤/١٠٨. ابن كثير ٢/٦٣١ .

(٤٩) معترك ١/١٤، ٧٨ . الاتقان ٢/١٤٦ . الاكليل ٥ .

(٥٠) جامع ١٤/١٠٨ .

(٥١) جامع ١٤/١٠٨ ، ابن الجوزى ٣/٢٥ .

(٥٢) جامع ١٤/١٠٨ . الاتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٤ .

(٥٣) التبيان ٤/١٢٩ .

(٥٤) مجمع ٧/٥٧ . الآلوسى ٧/١٤٤ .

(٥٥) الاتقان ٢/١٤٩-٥٠ . قمحاوى ٣/١٤ .

(٥٦) التبيان ٦/٤١٨ . الزمخشرى ٢/٤٢٤ ، الطبرسى ١٣/١١٣ . القرطبى ٦/٤٢٠ ، أبو السعود ٥/١٣٥ . الشوكانى ٢/١١٤ . الآلوسى ١٤/٢١٤ - ٥ .

(٥٧) التبيان ٦/٤١٨ ، الزمخشرى ٢/٤٢٤ الطبرسى ١٢/١٤ . ابن الجوزى ٣/٣٥ . العلوى ٣/٤٦٣ . أبو حيان ٥/٥٢٧ ، أبو السعود ٥/١٣٥ . الآلوسى ١٤/٢١٥ . المنار ٧/٣٩٥ على فكرى ١/٧ .

(٥٨) التبيان ٦/٤١٨ . الزمخشرى ٢/٤٢٤ . الطبرسى ١٣/١١٤ . القرطبى ٦/٤٢٠ . أبو حيان ٥/٥٢٧ . ابن كثير ٢/٦٣١ . أبو السعود ٥/١٣٥ . الشوكانى ٣/١٨٧ . الآلوسى ١٤/٢١٥ . المنار ٧/٣٩٥ . على فكرى .

(٥٩) التبيان ٦/٤١٨ . الطبرسى ١٣/١١٤ .

(٦٠) التبيان ٦/٤١٨ . الزمخشرى ٤٢٤ ، الطبرسى ١٣/١٤ القرطبى ٦/٤٢٠ أبو حيان ٥/٥٢٧ ، أبو السعود ٥/١٣٥ . على فكرى ١/٧ .

(٦١) التبيان ٦/٤١٨ . ابن الجوزى ٣/٣٥ .

(٦٢) التبيان ٦/٤١٨ .

(٦٣) الاتقان ٢/١٥٠ . قمحاوى ٣/١٤ .

(٦٤) سورة البينة ٢ . ٣ . معترك ١/٢٢-٣ الاتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٣ .

(٦٥) سورة النجم ٣ . الكشاف ٢/٤٢٤ ، أبو حيان ٥/٥٢٧ ، أبو السعود ٥/١٣٥ . الشوكانى ٢/١١٤ ، الآلوسى ١٤/٢١٥ .

(٦٦) سورة النساء ١١٥ .

(٦٧) الكشاف ٢/٤٢٤ ، أبو حيان ٥/٥٢٧ ، أبو السعود ٥/١٣٥، الآلوسى ١٤/٢١٥ .

(٦٨) الكشاف ٢/٤٢٤ القرطبى ٦/٤٢٠ ، العلوى ٣/٤٦٣ ، أبو حيان ٥/٥٢٨ . أبو السعود ٥/١٣٥ . المنار ٧/٣٩٥ . على فكرى ١/٧.

(٦٩) الكشاف ٢/٤٢٤، أبو حيان ٥/٥٢٨ .

(٧٠) الكشاف ٢/٤٢٤ ، أبو حيان ٥/٥٢٨ ، النيسابورى ١٤/١٠٩ ، أبو السعود ٥/١٣٥ ، الآلوسى ١٤/٢١٥ .

(٧١) المحرر ٥/١٩٤ ، ابن الجوزى ٣/٣٥ ، ابن جزى ٢/١٥، أبو حيان ٤/١٢٠ .

(٧٢) معترك ١/٢٣-٤ . الاتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٣-٤.

(٧٣) الشفا ١/٥٣٦ .

(٧٤) الشفا ١/٥٣٦-٧ .

(٧٥) مجمع ١١٣/١٣ القرطبي ٤٢٠/٦ ، البيضاوي ١٨٧/٢ . الشوكاني ١١٤/٢ .

(٧٦) مجمع ١١٣/١٣-٤ . ابن الجوزي ٣٥/٣ ، العلوي ٤٦٣/٣ . البيضاوي ١٨٧/٢ .

(٧٧) مفاتيح ٢١٥/١٢ . النيسابوري ١٤٢/٧ .

(٧٨) مفاتيح ٢١٥/١٢ – ٦ .

(٧٩) مفاتيح ٩٩/٢٠ . الزرقاني ١٧/١ .

(٨٠) مفاتيح ٢١٨/١٢ . النيسابوري ١٤٢/٧ ، ١٠٩/١٤ ، الشوكاني ١٨٧/٣ ، المنار ٣٩٥/٧ .

(٨١) الجامع ٤٢٠/٦ .

(٨٢) الجامع ٤٢٠/٦ الحمصي ١٢٣ .

(٨٣) التسهيل ٢٠١٤/١/٢٢٥ . الحمصي ٧٠١٢٥ .

(٨٤) البحر ١٢٠/٤-١

(٨٥) نفسه ٥٢٨/٥ .

(٨٦) الموافقات ٥٦/٢ . الحمصي ١٥٢ .

(٨٧) روح ٢١٦/١٤.

(٨٨) المعجزة ٢٨٩، ٣٩٠ – ١ ، ٣٩٥ .

(٨٩) المرشد ٢٣٩ .

(٩٠) الاتقان ٢٢٦/٢ . عرجون ٢١١ ، ٢٥٨ ، محسن ١٩٧ .

الفصل الثانى

الدفاع عن التفسير العلمى

نجد فى كتاب «إعجاز القرآن» لمحمد بن يحيى المعروف بابن سراقة (نحو ٤١٠ / ١٠٢٠) - الذى أعطانا السيوطى مقتطفات منه - أول تصريح بالإعجاز العلمى ، وأول محاولة لتتبع دلالاته .

فقد ذكر السيوطى أنه عدد أقوال العلماء فى وجوه إعجاز القرآن ، وجعل منها ذات مرة: كونه جامعا لعلوم يطول شرحها[1]، ويشق حصرها[2] . وفى مرة أخرى : ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب ، والموافقة والتأليف والمناسبة ، والتنصيف والمضاعفة[3] .

واستمر ابن سراقة يقول : ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه - ﷺ - صادق فى قوله[4] ، وأن القرآن ليس من عنده[5] ، إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ، ولا تلقى أهل الحساب والهندسة[6] .

وجعل على بن محمد الماوردى (٣٦٤ - ٤٥٠ / ٩٧٤ - ١٠٥٨) الوجه الخامس من وجوه الإعجاز : ما جمعه من علوم لا يحيط بها بشر ، ولا تجتمع فى مخلوق[7] .

واستدل من ذلك على أن القرآن لم يكن إلا من عند الله ، المحيط بكل شئ علما(8) ، والذى علمه من لم يكن به عالما . يريد محمدا - ﷺ -(9) .

وأجرى الحوار الآتى بينه وبين من تصور أنه يعارضه فى رأيه ذاك :

قال : فإن قيل : فضل العلم لا يكون إعجازا فى النبوات ، لأن العلماء قد يتفاضلون ، ولا يكون للأفضل إعجاز على المفضول .

فعنه جوابان :

أحدهما : أن التفاضل فى العلم موجود ، والإحاطة بجميع العلوم مفقودة(10) .

والثانى : أن ظهور العلم فيمن يتعاطاه ليس بمعجز من جهته ، وظهوره فيمن لم يتعاطه معجز لظهوره من غير جهته . وقد كان محمد أميا(11) ، من أمة أمية(12) ، لم يقرأ كتابا(13) ، ولم يتعاط علما(14). فصار ما أظهر معجزا(15) .

وتعرض أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥/ ١٠٥٨ - ١١١١) للعلوم فى القرآن فى ثلاثة من كتبه : جواهر القرآن ، وإحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة .

فوصف القرآن فى الكتاب الأول بالبحر المحيط ، الذى يتشعب

منه علم الأولين والآخرين ، كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط ، أنهارها وجداولها(١٦) .

وجعل هذه العلوم أصنافا :

١ - العلوم الدينية التي لابد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله والسفر إليه .

٢ - علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه والسحر والطلسمات وغير ذلك .

٣ - علوم لم تخرج بعد إلى الوجود ، وإن كان في قوة الآدمي الوصول إليها .

٤ - علوم كانت قد خرجت إلى الوجود واندرست ، فلا يوجد في هذه العصور على بسيط الأرض من يعرفها .

٥ - علوم ليس في قوة البشر أصلا إدراكها والإحاطة بها ، ويحظى بها بعض الملائكة المقربين .

وبعد ذلك قال : هذه العلوم - ما عددناه وما لم نعده - ليست أوائلها خارجة عن القرآن ، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله ، وهو بحر الأفعال(١٧) ، وهو بحر لا ساحل له(١٨) وكان مما أتى به - مثالا على أقواله - قوله : فمن أفعال الله الشفاء والمرض ، كما قال تعالى - حكاية عن إبراهيم : ﴿وإذا

مرضت فهو يشفين﴾[١٩] . وهذا الفعل لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله ، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، والشفاء وأسبابه[٢٠] .

وأعلن الغزالى فى الكتاب الثانى : العلوم كلها داخلة فى أفعال الله وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته . وهذه العلوم لا نهاية لها ، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن إليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدركها[٢١] .

وعقب أمين الخولى على ما أورده من أقوال الغزالى فقال : لعله - إلى عهده - كان أكثر من استوفى بيان هذا القول[٢٢] .

وأعلن نعيم الحمصى إنه أول من عرض للنظرية العلمية فى الإعجاز[٢٣] .

ومـا أوردته من أقوال ابن سراقة والماوردى يسقط قول الحمصى ، وينتقص من أطراف قول الخولى وإن بقى له صدقه .

وسار القاضى عياض بن موسى اليحصبى (٤٧٦ - ٥٤٤ / ١٠٨٣ - ١١٤٩) على درب ابن سراقة والماوردى . فجعل أحد وجوه إعجاز القرآن : جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ، ولا محمد - ﷺ - قبل نبوته خاصة ، بمعرفتها [٢٤] ، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم[٢٥] .

وذكر مصطفى صادق الرافعي أبا الوليد محمد بن أحمد المعروف بابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ / ١١٢٦ - ١١٩٨) فقال : لفيلسوف الإسلام كلام حسن في آخر كتابه «فصل المقال» لم نر مثله لأحد من العلماء ، بيّن فيه كيف احتوى القرآن على طرق التعليم المنطقية بجملتها ، تصورا وتصديقا . وقد جعل الفيلسوف ذلك من إعجازه . وهو وجه لو كان بسطه واستوفاه واستبرأ معانيه لجاء منه بكل عجيب ، غير أنه أشار إليه في الكلام إشارة ، وجاء به عرضا لا غرضا ... وقد استخرج الإمام الغزالي (المنطق) من القرآن ، وليس هو منطق أرسطو ، ولكنه منطق العقل الإنساني(٢٦) .

وفهم نعيم الحمصي من هذا القول أنه من باب مذهب الغزالي، القائل بأن القرآن قد حوى مبادئ العلوم كلها ، ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز .

ثم نفى الحمصي أن يكون هذا القول مؤيدا للإعجاز ، واصفا إياه بأنه مجرد تمحك واصطناع للأدلة ، لما نعلم من أن القرآن لم يأت ليشرح العلوم ، أو يعدد نظريات المنطق .

وإذا كان قد استعمل في براهينه طرقا شرحها المناطقة في كتبهم ، فذلك لا يعني أنه قصد إلى ذكرها فيه باعتبارها مبادئ

علم المنطق . وإنما لأن للفكر الإنسانى فى البرهنة فى كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة ، التى هى قدر مشترك بين الناس ، والتى وجدت قبل أن يوجد علم المنطق . وكان من الطبيعى أن يعرفها غير المناطقة بالبديهة وممارسة الدفاع عن الرأى والاحتجاج له(٢٧) .

وقد صدق الرجلان فى القول بأن ابن رشد من المؤمنين بإعجاز القرآن . لكنه فى «فصل المقال» لم يتعرض للإعجاز العلمى ، وقصر حديثه على المنطق وحده . فقد قال : الأقاويل الشرعية المصرح بها فى الكتاب العزيز للجميع ، لها ثلاث خواص دلت على الإعجاز :

إحداها : أنه لا يوجد أتم إقناعا وتصديقا للجميع منها .

والثانية : أنها تقبل النصرة بطبعها ، إلى أن تنتهى إلى حد لا يقف على التأويل فيها - إن كانت مما فيها تأويل - إلا أهل البرهان .

والثالثة : أنها تتضمن التنبيه - لأهل الحق - على التأويل الحق .

ويودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه ، وإن أنسأ الله فى العمر ، فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه . فعسى أن يكون ذلك مبدأ لمن يأتى بعد(٢٨) .

وهناك إجماع بين العلماء ، على أن «مفاتيح الغيب» لفخر الدين محمد بن عمر الرازى (٥٤٤ – ٦٠٦ / ١١٥٠ – ١٢١٠) أول تفسير للقرآن عنى عناية كبيرة بتتبع المسائل العلمية ، وبخاصة ما ينتمى إلى علم الهيأة (الفلك) .

والحق إن موقف الرازى عجيب . فقد أعلن أن القرآن لا يبالى إلا بالعلوم الدينية ، ورفض التفسير العلمى ، ولكنه عندما انتقل إلى العمل التطبيقى ، أكثر من التفسير العلمى حتى اعترض عليه بعض العلماء . فاضطر إلى الاعتراف بما فعل ، والدفاع عنه ، ومهاجمة خصومه . قال : ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : إنك أكثرت فى تفسير كتاب الله من علم الهيأة والنجوم ، وذلك على خلاف المعتاد(٢٩) !

وكان رده : إنك لو تأملت فى كتاب الله حق التأمل ، لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه :

الأول : أن الله ملأ كتابه من الاستدلال على العلم(٣٠) والقدرة(٣١) والحكمة(٣٢) ، بأحوال السماوات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ... وذكر هذه الأمور فى أكثر السور ، وأعادها مرة بعد أخرى . فلو لم يكن البحث عنها(٣٣) والتأمل فى أحوالها جائزا لما ملأ كتابه منها(٣٤) .

والثانى : أنه – تعالى – قال : ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم: كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج﴾(٣٥) فهو حث على التأمل فى أنه كيف بناها . ولا معنى لعلم الهيأة إلا التأمل فى أنه كيف بناها ، وكيف خلق كل واحدة منها(٣٦) .

والثالث : أنه – تعالى – قال : ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٣٧) فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة فى أجرام السماوات أكثر وأعظم وأكمل مما فى أبدان الناس . ثم إنه رغب فى التأمل فى أبدان الناس بقوله : ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾(٣٨) مما كان أعلى شأنا وأعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل فى أحوالها ، ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب(٣٩) .

والرابع : أنه – تعالى – مدح المتفكرين فى خلق السماوات والأرض ، فقال : ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾(٤٠) . ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل(٤١) .

والخامس : أن من صنف كتاب شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب فى تلك الدقائق : فالمعتقدون فى شرفه وفضيلته فريقان :

من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة ، من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين .

ومن وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين .

واعتقاد الطائفة الأولى – وإن بلغ إلى أقصى الدرجات فى القوة والكمال – إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى ، وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب أكثر ، كان اعتقاده فى عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل(٤٢) .

إذا ثبت هذا فنقول : من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث (مخلوق) ، وكل محدث فله محدث (خالق) ، فحصل له – بهذا الطريق إثبات الصانع(٤٣) ، وصار من زمرة المستدلين .

ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوى والعالم السفلى على سبيل التفصيل . فيظهر له فى كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة وأسرار عجيبة . فيصير ذلك جاريا مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله . فلا يزال ينتقل كل لحظة من برهان إلى برهان آخر . فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم فى تقوية اليقين(٤٤) ، وإزالة الشبهات(٤٥) .

فإذا كان الأمر كذلك ، ظهر أنه - تعالى - إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار ، لا لتكثير النحو والغريب ، والاشتقاقات الخالية عن الفوائد ، والحكايات الفاسدة(٤٦) .

وذكر د. محسن عبدالحميد بأنه كان يرى أنه كلما تقدمت العلوم صححت التفسير(٤٧) .

ووصف محمد إبراهيم المنهج الذى اتبعه الرازى فى تفسير الآيات الكونية . فذكر أنه ما من آية إلا عدها أمرا إلى التأمل وإعمال العقل(٤٨) والاستدلال بالأدلة العقلية(٤٩) على :

وجود الصانع.

وعظمته(٥٠) .

ووحدانيته(٥١) .

وقدرته على إعادة الخلق والبعث(٥٢) .

ونعمه على عباده(٥٣) .

والأمر الذى يفسر موقف الرازى أن يكون قد ذهب إلى أن العلوم الكونية من المعارف الإسلامية ، كما فعل محمد الغزالى فى العصر الحديث(٥٤) .

وأعلن محمد بن عبدالله المعروف بابن أبى الفضل المرسى (٥٧٠ - ٦٥٥ / ١١٧٤ - ١٢٥٧) أن القرآن جمع علوم الأولين

والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا واهبها ، ثم رسول الله - ﷺ - خلا ما استأثر به سبحانه ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان(٥٥) .

ثم تقاصرت الهمم ، وضعف أهل العلم عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فنوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه(٥٦) .

فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعد كلماته وآياته وسوره ... فسموا القراء . واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها .

واستمر فذكر علماء التفسير والأصول والفقه والتاريخ والقصص والوعظ وتعبير الرؤيا والفرائض والمواقيت والمعانى والبيان والبديع ...

ثم قال : وقد احتوى على علوم أُخر من علوم الأوائل ، مثل الطب والجدل والهيأة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك(٥٧) .

وفيه أصول الصنائع التى تدعو الضرورة إليها ، كالخياطة فى

قـوله : ﴿وطفقا يخصفان عليهما﴾[٥٨] والحـدادة فى ﴿وألنا له الحـــديد﴾[٥٩] . وأسـمـاء الآلات وضـروب المأكـولات والمشـروبات والمنكوحات[٦٠] ، وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات[٦١] ، ما يحقق معنى آية سورة الأنعام[٦٢] .

وذهب محمد بن أحمد الشربينى الخطيب (٩٧٧ / ١٥٧٠) إلى أنه لا نهاية لأسرار علوم القرآن[٦٣] ، ففى كل زمن يكتشف منها جديد لم يعرفه السابقون[٦٤] .

وذهب شـمس الدين أبو عبدالله مـحمد بن سـلامـة الضـرير الاسكندرى (١١٤٩ / ١٧٣٧) إلى أن الله أفـاض على القـرآن من العلوم مـا مـلأ الأرض[٦٥] ، وهو أصـل كل علم راسخ[٦٦] . وأهـل كل علم يغـترفون من بحره[٦٧] . فظاهره حـجـة لكل علم ، وباطنه قدوة لكل فن[٦٨] .

وألف محمد بن أحمد الطبيب الاسكندرانى (١٣٠٦ /١٨٨٩) عدة كتب تتناول الآيات الكونية ، يستنبط من يقرؤها أن القرآن يحوى أسـرار العلوم والكون[٦٩] . وقد ذهب فيـها إلى أن القرآن تحـدث بهذه العلوم فى فروعـها المخـتلفة[٧٠] ، ونظرياتهـــا واكتشافاتها الحديثة[٧١] ، قبل أن يعرفها العلم البشرى[٧٢] . وعد ذلك من الإعـجـاز بالإخـبـار بالغـيب[٧٣] . وانتـــهى إلى أن المؤمن

المفكر المتأمل الذى يدرك أسرار الخلق وعظمة الخالق خير من المؤمن الجاهل(٧٤) .

ووصف عمر بن طه العطار (١٢٤٢ - ١٣٠٨ / ١٨٢٦ - ١٨٩٠) القرآن بأنه يأخذ الأشياء على ما هى عليه . ولعله أراد بذلك كون معانيه الظاهرة تتفق مع ما يشاهده الناس(٧٥) .

وأعلن محمود بن عبدالله الآلوسى (١٢١٧ - ١٢٧٠ / ١٨٠٢ - ١٨٥٤) أن الله ذكر فى القرآن جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا وغير ذلك(٧٦) .

وكان مما استند إليه فى ذلك الحديث الذى ذكر أن أبا الشيخ أخرجه فى كتاب «العظمة» عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله - سبحانه وتعالى - لو أغفل شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة»(٧٧) .

وقال : سمعت من بعضهم - والعهدة عليه - أن الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى وقع يوما عن حماره ، فرضت رجله . فجاءوا ليحملوه ، فقال : أمهلونى ! فأمهلوه يسيرا . ثم أذن لهم فحملوه . فسئل عن سبب ذلك ، فقال راجعت كتاب الله ، فوجدت خبر هذه الحادثة قد ذكر فى الفاتحة . وعلق الآلوسى على الخبر قائلا : هذا أمر لا تصله عقولنا(٧٨) .

وقال : ومثله استخراج بعضهم من الفاتحة أيضا أسماء سلاطين آل عثمان ، وأحوالهم ، ومدة سلطتهم ، إلى ما شاء الله من الزمان . ولا بدع فهى أم الكتاب ، وتلد كل أمر عجيب(٧٩) .

وذكر أن الشيخ الأكبر - قدس سره - وغيره قد استخرجوا منه ما لا يحصى من الحوادث الكونية .

وقد رأيت جدولا حرفيا منسوبا إلى الشيخ ، كتب عليه أنه يعرف منه حوادث أهل المحشر ، وآخر كتب عليه أنه يعرف منه حوادث أهل الجنة ، وآخر كتب عليه أنه يعرف منه حوادث أهل النار . وكل ذلك - على ما يزعمون - مستخرج من الكتاب الكريم .

ومثل هذا الجفر الجامع المنسوب إلى أمير المؤمنين على ، فإنهم قالوا : إنه جامع لما شاء الله من الحوادث الكونية . وهو أيضا مستخرج من القرآن العظيم(٨٠) .

وذكر محسن عبدالحميد أن الآلوسى عالج فى تفسيره كثيرا من المسائل العلمية والكونية عند تفسيره للآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع . وهو لا يجزم بصحة هذه الأقوال العلمية . وعنده أن القول به لا يضر بالدين ، لأن غالب الأخبار فى ذلك لم تصل إلى درجة الصحة . ومع هذا فهى قابلة للتأويل بما لا ينافى كلام

الفلاسفة [٨١]. ولا يلجأ إلى التأويل إلا إذا قام الدليل العقلى على خلاف ما دل عليه ظاهر النص[٨٢] .

وصرح عبدالرحمن بن أحمد الكواكبى (١٢٦٥ - ١٣٢٠ / ١٨٤٩ - ١٩٠٢) بأن الإسلام أول دين حض على العلم[٨٣] ، وأول منة أجلها الله وامتن بها على الإنسان هى تعليمه بالقلم ما لم يكن يعلم[٨٤] .

ولما كان قد تابع الطبيب الاسكندرانى فى أن المدقق يجد فى القرآن أكثر ما كشفه العلم فى هذه القرون الأخيرة من مسائل علمية عزاها لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا ، وهى فى القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا[٨٥] ، فإنه أعلن أن هذه المسائل لم تبق مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة جديدة للقرآن[٨٦] .

وذكر أنه - بالقياس على هذا - يقتضى أن كثيرا من آياته سينكشف سرها فى المستقبل فى وقتها المرهون تجديدا لإعجازه[٨٧] .

وألف الغازى أحمد مختار باشا (١٢٥٣ - ١٣٣٧ / ١٨٣٧ - ١٩١٩) كتابا باللغة التركية ، سماه الرافعى «سرائر القرآن» وحنفى أحمد «رياض المختار» ، بناه على سبعين آية ، فسرها بآخر ما انتهى إليه العلم الحديث فى الطبيعة والفلك[٨٨] .

أبان فيه أن القرآن سبق العقل الإنسانى ومخترعاته بأربعة عشر قرنا إلى زمننا[٨٩] ، وأن فيه إشارات وآيات بينات فى مسائل ما برحت العلوم الطبيعية تحاول الكشف عن كنهها منذ عصور[٩٠] .

وأعلن عبدالعزيز بن خليل المعروف بجاويش (١٢٩٣ – ١٣٤٧ / ١٨٧٦ – ١٩٢٩) أن المفكر قد يتصفح كتب الأديان على تنوعها واختلافها ، فلا يكاد يجد من بينها ما يضارع القرآن فى الحث على التفكير والنظر والبحث فى النواميس الكونية ، واستنباط ربوبية الله ووحدانيته ، من كل شئ تدركه الأبصار ، وتحيط به العقول[٩١] .

وذهب طنطاوى جوهرى (١٢٨٧ – ١٣٥٨ / ١٨٧٠ – ١٩٤٠) إلى أن الإسلام دين العلوم والحكم[٩٢] . مدح العقل[٩٣] ، وأوجب العلوم العقلية – من حكمة وطبيعة وفلك – على الأمة[٩٤] . وأمر بالنظر[٩٥] . وعرف النظر بأنه ليس مجرد التحديق إلى السماء بالحدقة ، وإنما هو الاعتبار بالبصيرة والفكر بالعقل[٩٦] . وحث على طلب العلم والصناعات . وأقسم عشرين قسما بالأجرام العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها[٩٧] ، ليعرف الناس جلالة ما صنع ، ويتبعوا حركات الأفلاك وعلوم الضوء ... لترقى نفوسهم

إلى علوها وشرفها . فهذه الأقسام مفاتيح العلوم(٩٨) ، لأن اللـه ذكر جواهر الأشياء فيها ، ليلفت إليها العقول .

وخشى أن يظن عاجز فى الدين أن العلم المطلوب هو معرفة أحكام الفرائض . فنفى ذلك لأنه لم يخرج عن كونه معرفة عبادة عملية . أما العلم المقصود فهو آيات الكون وحكمه ومجالى بهجته وآثاره(٩٩) . واستدل على ذلك بقول الله : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١٠٠) بعد ذكر النظر فى الجبال والأنهار والثمرات والألوان والدواب والأنعام(١٠١) .

ونقل الحمصى عن طنطاوى جوهرى أنه قال إنه لا يقصد إلى اخضاع القرآن للعلم الحديث ، فإنه قد يبطل كما بطل القديم ، ويبقى القرآن فوق الجميع . وإنما غرضه أن يأنس المسلمون بالعلم الحديث ، ولا ينفروا منه لمخالفته ألفاظ القرآن فى رأيهم(١٠٢) .

وأصدر محمد بخيت المطيعى (١٢٧١ - ١٣٥٤ / ١٨٥٤ - ١٩٣٥) - فى سنة ١٣٤١/١٩٢٣ - كتابين : «تنبيه العقول الإنسانية لما فى آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية» و«توفيق الرحمن للتوفيق بين ما قاله علماء الهيأة وبين ما جاء فى الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن» .

وصرح الرجل أن القرآن شامل لجميع العلوم الباحثة عن دقائق الأعيان الكونية فى العوالم كلها : سماوية وأرضية وجوية ، وجسمانية وروحانية ، وظلمانية ونورانية(١٠٣) ... فهو بحر عذب فرات ، يغترف منه كل إنسان بحسب استعداده(١٠٤) وعلى حسب مشربه ، ويرده كل متعطش للوقوف على حقائق الموجودات بجميع أنواعها(١٠٥) .

ولا شئ مما قاله علماء الهيأة يصادم شيئا من الآيات والأحاديث(١٠٦) ، بل إن كلا منها - كما يتمشى مع ما قاله علماء الهيأة القديمة - يتمشى مع ما قاله علماء الهيأة اليوم(١٠٧) .

وعلل ذلك بأن ما جاء فيهما لم يتعرض لمواضع الخلاف ، أو مذهب دون مذهب ، بل الذى قالا به يقول به الجميع ويصح أن يتفرع على كل المذاهب ، ولا لشئ من العلل والأسباب التى تختلف باختلاف الآلات الرصدية حسب اختلاف الأزمنة ، وباختلاف الأفهام والأدلة الحسابية والهندسية . بل ترك الله ذلك لذوى العقول والهمم العالية(١٠٨) .

وصرح بأن القرآن بين فى نفسه لا يحتاج إلى ما يبينه . ومن ثم احتاج إلى تبرير جهل المسلمين بما حوى من علوم عرفت فى أزمنة متطاولة . فقال : إنما خفاء بعض ما يراد منه يرجع إلى قصور عقول البشر لا إليه فى ذاته(١٠٩) .

وذكر أن القرآن حرر العقول من ربقة التقليد ، وفك عقالها من قيوده[110] . ولم يقبل من المكلفين إلا أن يكونوا مجتهدين في إيمانهم وعقائدهم التي تؤخذ من طريق العقل[111] .

وذهب أحمد أمين الديك إلى أن في القرآن ما عز فهمه . على عقول شتى ، وأن الله أخذ على نفسه – تفضلا منه – عهدا أن يبينه مع تعاقب الأزمنة ، قال : ﴿إن علينا بيانه﴾[112] و﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾[113] و﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾[114] .

وليس معنى ذلك أن الله سينزل وحيا يفسر ما لم تتمكن العقول من فهمه . ولكن معناه أن نتائج أبحاث العلماء ستهدم من العلم ما انبنى على فاسد ، وتبرز الصحيح . وعندئذ تظهر كفالته – تعالى – فيتضح معنى الآيات التي حجبها عن الأذهان النطاق العلمي الضئيل[115] ، أو الأصول الوهمية من علم ذلك العصر[116] . وفي تلك اللحظة ، وفي نفس المكان ، اللذين يتحقق فيهما معنى الآية بأدلة العلم الصحيح ، ينتهي الحين الذي ضربه – سبحانه – في آية سورة ﷺ ، ويكون المستقر لما أنبأ به[117] . وستستمر نتائج الجهود المتتابعة بتتابع الزمن أدلة على صدق ذلك النطق الكريم[118] .

وأعلن مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨ – ١٣٥٦ / ١٨٨١ –

١٩٣٧) بعبارته الأدبية أن القرآن معجزة التاريخ العربى خاصة ، وأنه - بآثاره النامية - معجزة أصلية فى تاريخ العلم كله ، على بسيط هذه الأرض ، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء الله(١١٩) . لم يتفق له - فى ذلك - شبيه من أول الدنيا إلى اليوم ، ولن يتفق . فهو كتاب الدهر كله(١٢٠) .

ولعل متحققا بالعلوم الحديثة ، لو تدبر القرآن ، وأحكم النظر فيه - وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ، ولا يلتوى عليه أمر من أمره - لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم ، وإن لم تبسط من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها(١٢١) .

بلى ، وإن فى هذه العلوم الحديثة لعونا على تفسير بعض معانى القرآن(١٢٢) .

ولو جمعت أنواع العلوم كلها ما خرجت فى معانيها من قوله : ﴿فى الآفاق وفى أنفسهم﴾. هذه آفاق ، وهذه آفاق . فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة ، فليس يصح فى الأفهام شئ (١٢٣) .

ومن أدلة إعجاز هذا الكتاب أن يخطئ الناس فى بعض تفسيره على اختلاف العصور ، لضعف وسائلهم العلمية ، ولقصر

حبالهم أن تعلق بأطراف السماوات أو تحيط بالأرض . ثم تصيب الطبيعة نفسها فى كشف معانيه(١٢٤) .

فكلما تقدم النظر ، وجمت العلوم ، ونازعت إلى الكشف والاختراع ، واستكملت آلات البحث ، ظهرت حقائقه الطبيعية ناصعة(١٢٥) ، حتى كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها ، وحتى كأن تلك الآلات حينما توجه لآيات السماء والأرض توجه لآيات القرآن أيضا(١٢٦) .

وعلل عدم معرفة العرب الذين عاصروا نزوله لعلومه : بأمية النبى - ﷺ - وأميتهم(١٢٧) .

وقد نزل القرآن بتلك المعانى ليخرج للأمة من كل معنى علما برأسه ، ثم يعمل الزمن عمله ، فتخرج الأمة من كل علم فروعا ، ومن كل فرع فنونا ، إلى ما يستوفى هذا الباب على الوجه الذى انتهت إليه العلوم فى الحضارة الإسلامية(١٢٨) .

ولما كان القرآن قد أنزل فى حدود ضعيفة ، لا علم فيها(١٢٩) . ولا آلات علم(١٣٠) ، فحسبك بذلك وحده برهانا على أن هذا الكتاب جملة من الأزل تحولت فى معنى ومنطق ، وجاءت لغرض وغاية(١٣١) . ولا مست الناس لتكون فيهم سببا لرسوخ الإيمان ثم نظاما للإيمان نفسه(١٣٢) .

ورأى فى ذكر الآيات الكونية والعلمية دليلا على إعجاز آخر ، فالقرآن بذلك يومئ إلى أن الزمن متجه فى سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل ، وأن الإنسانية ذاهبة فى أرقى عصورها إلى هذا المذهب ، وأن الدين سيكون عقليا ، وأن العقل هو آخر أنبياء الأرض(١٣٣) .

وذهب د. عبدالعزيز اسماعيل إلى أن القرآن أعجز العرب المتقدمين بفصاحته . ولما كان أكثر المتأخرين أمثالنا لا يقدرون الفصاحة حق تقديرها ، كان من الضرورى وجود إعجاز من نواح أخرى(١٣٤) .

حقا إن القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك أو أى علم من العلوم(١٣٥) . ولكنه يضم آيات تحتوى على كثير من الحقائق التى لم يعلمها العلماء إلا حين كشف العلم الحديث عن معناها(١٣٦) ، بعد مرور ألف سنة على الدين الإسلامى(١٣٧) ، وعلى آيات لم تتقدم العلوم لتفسيرها إلى الآن(١٣٨) ، وستنكشف كلما تقدمت العلوم(١٣٩) ؛ ويشير أحيانا إلى سنن طبيعية(١٤٠) . وبما أنه صادر من واضع السنن كلها(١٤١) ، كان جميع ما فيه حقا لاشية فيه(١٤٢) ، وإن لم يدرك ذلك وقت نزوله إلا على طريق الإجمال أو التأويل(١٤٣) .

وقد خاطب القرآن الناس على قدر عقولهم(١٤٤) ، على أنه لم يقل إلا حقا(١٤٥) . ولا بد أنه كان صعب الفهم على العرب وقت نزوله . وما يزال كذلك إلا إذا نظر إليه على ضوء العلم الحديث . فإنه لا يفهم الآيات العلمية إلا من درس العلوم الحديثة(١٤٦) . ومن يفعل ذلك يظهر له إعجاز القرآن بطريقة أقرب إلى إقناعه من فصاحته(١٤٧) ، لأنه عالم ببعض العلوم وجاهل بالفصاحة(١٤٨) .

وكلما تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن(١٤٩) ، وظهر أن كل شئ لا يتفق معه باطل(١٥٠) . وإذا كان قد صعب إدراكه وقت نزوله إلا على طريق الإجمال أو التأويل(١٥١) ، لعدم استبحار العلوم إذ ذاك(١٥٢) ، فإنه – مع الترقى فى العلوم – قل ما كان يعمد إلى تأويله ، وكثر ما وجب أخذه على ظاهره(١٥٣) .

وهكذا يزداد إيمان المؤمنين(١٥٤) ، ويأتى وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين(١٥٥) .

ونفى محمد مصطفى المراغى أن يكون القرآن اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا(١٥٦) ، وبالأسلوب التعليمى المعروف(١٥٧) ، وإنما أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته والعمل به ، ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا(١٥٨) ، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا

للناس جزئياتها(١٥٩) بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه(١٦٠) .

ورجا أن يكون لكتاب عبدالعزيز اسماعيل تأثير عظيم فى التدليل على إعجاز القرآن من الناحية الطبية ، أو زيادة معرفته(١٦١) .

وأعلن الحاج الدكتور محمد وصفى : مازالت معجزات القرآن يكشفها العلم(١٦٢) . ومازالت العلوم كلما تقدمت جلت الغشاوات التى تحجب النور عن عيون الغافلين(١٦٣) . وسنرى اليوم الذى يبحث فيه العالم فى الكتاب الكريم عن بغيته(١٦٤) ، ويحاول استخراج كنوز العلوم والفنون من بين كلماته ومعانيه(١٦٥) .

واختار أحمد كامل ضو سبع آيات تمت بصلة إلى العلوم الزراعية – وهى تخصصه – فأقام عليها كتابه «القرآن الكريم والعلوم الحديثة» . وجاهر فيه بأن القارئ سوف يلمس بفؤاده – قبل حواسه – ما فى القرآن من إعجاز علمى(١٦٦) ، بعد إذ اعتقد كثير من الناس أن إعجازه إنما إعجاز بالأسلوب البلاغى فقط .

وكتب محمد عرفة تقريرا عن الكتاب ، ذكر فيه أن التفسير العلمى يحفز الهمم إلى استجلاء أسرار القرآن(١٦٧) ، ومعرفة وجه

العظمة فيه[١٦٨] ، وأن فى البحث فى أسرار القرآن غذاء للعقل[١٦٩] ، وتزكية للروح[١٧٠] ، وكمالا للإيمان[١٧١] .

وذكر على فكرى أن القرآن أشار بوضوح تام إلى العلوم الكونية التى تدارسها العالمان القديم والحديث[١٧٢] ، إذ جاءت بها بعض الآيات إما تصريحا أو تلميحا ، وأن الله أمر عباده مرارا فى آياته البينات الباهرات بالتبصر[١٧٣] . والتدبر[١٧٤] .

ووصف صلاح الدين خشبة القرآن بأنه معجزة النبى الذى دعا الناس إلى السير فى الأرض[١٧٥] ، والاستزادة من العلم ، وبأنه معجزة دائمة[١٧٦] لشعوب العالم كافة عربيها وعجميها[١٧٧] . وكلما اتسعت معلومات الإنسان وجد فى آيات الله معانى أعمق وأدق[١٧٨] .

وذهب محمد عبدالله دراز إلى أن القرآن استخدم الحقائق الكونية الدائمة فى الدعوة إلى الإيمان والفضيلة[١٧٩] .

وقول قاصر أن تقول : إن القرآن دائرة معارف عصره . فلقد كانت لجميع العصور أوهامها التى اعتبرتها حقائق مقررة ، ولم يثبت خطؤها إلا فيما بعد . ولكن القرآن – فى مسلكه بين مجالات العلم لا يتأرجح أبدا ، والحقائق التى يسوقها كانت – وستظل – لا تقهر[١٨٠] .

وهى حقائق من النوع الذى يسهل على جميع العقول إدراكه[١٨١] واستخلاص الفائدة الأخلاقية منه[١٨٢] . ولهذا نرى مكانه سامقا فوق كل الاعتبارات الجغرافية والعنصرية وغيرها[١٨٣] .

وفى سنة ١٩٥٠ ، صرح محمد سعدى المقدم بأن فى القرآن آيات تليت على الملأ ، منذ أربعة عشر قرنا ، على لسان محمد - ﷺ - جاء أينشتين ومشرفة وجينز واشتراسمان وادنغتن وغيرهم ليعيدوا تلاوتها على الناس فى القرن العشرين ، وليفسروها ويوضحوا أعماقها وخفاياها[١٨٤] .

وسمى حنفى أحمد كتابه - فى طبعته الأولى سنة ١٣٧٣/١٩٥٤ - «معجزة القرآن فى وصف الكائنات» ، وفى طبعته الثانية سنة ١٣٨٠/١٩٦٠ «التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن» .

وسمى فيه الآيات العلمية بالآيات الكونية ، نسبة إلى اختصاص معانيها بالكون المادى[١٨٥] . وعرفها بأنها الآيات التى تتحدث عن خلق العالم المادى ، وتعرض على العقول نظام الأكوان، وما فيها من دلائل العلم الواسع ، والقدرة العظيمة فى الخلق ، والحكمة البالغة فى التوجيه ، والرحمة الواسعة بالمخلوقات[١٨٦] ،

وتطلب إليها التدبر والتأمل فيما تحكيه عنها ، وتحثها على النظر فيها، وتجادل المعرضين ، وتنعى عليهم إعراضهم وغفلتهم[١٨٧] .

وصنف هذه الآيات صنفين :

١ – ما يشير إلى سننه – تعالى – وطريقته فى إيجاد المخلوقات وتدبير أمرها .

٢ – ما يشير إلى أنواع المخلوقات ودلالاتها دون وصفها، أو يصفها من حيث التكوين والتخصيص بالصفات، ثم الهداية إلى غاياتها المحددة التى خلقت من أجلها. وهذا النوع هو غالب الآيات الكونية[١٨٨] .

وأعلن أن ما تنطوى الآيات الكونية عليه من معان دقيقة يدل على أنها موجهة إلى أهل النظر والبحث بصفة خاصة ، وأنهم هم المقصودون بأمر كشفها ومعرفتها ، لأنهم يملكون بعلمهم وسيلة معرفتها دون سواهم[١٨٩] .

واستغرب أنه – على الرغم من ذيوع العلم الحديث وتقدمه العظيم، فى النصف الأول من القرن الحالى – لم يعرف إلى الآن من دقائق معانى حديث القرآن عن الكائنات سوى نزر قليل[١٩٠] .

وأرجع السبب فى ذلك إلى عوامل شتى ، أهمها :

١ – وراثة العقيدة التى كانت – ولا تزال – سائدة فى الأذهان

بأن القرآن رسالة هداية ، لا شأن لها بأصول العلوم الكونية ، وأن حديثه عن الكائنات لا يحتاج فى فهمه إلا لمجرد التعقل والخبرة العـادية ، وأنه بذلك لا يحـوى دقـائق أو تفـاصـيل عن طبـائع الكائنات، تتطلب علما خاصا لإدراكها(١٩١) .

٢ – رؤية أهل العلم والمتـعلمين الحـديث عن الكون مـفـرق الأجزاء بين السور والآيات المختلفة ، على غير ما هو مألوف لديهم فى تصنيف الكتب العلمـيـة . فظنوا أنه لا عـلاقـة بين أجزاء هذا الحديث فى الموضوع الواحد(١٩٢) .

وغاب عنهم أن هذا التفريق إنما هو مقصود لحكمة بالغة ، وأن هذه الآيات أو الأجزاء المفرقة فى الموضـوع الواحد : مـثلها مـثل الجزئيات والحقائق العلمية التى يقرها البحث العلمى متفرقة أولا ثم يكون منها بعد ذلك – بالجمع والاستقراء والتطبيق – الأصـول والقواعد العامة(١٩٣) .

٣ – تسرب عقيدة الإفـرنج بأن الكتب المنزلة جميعا لا تحوى عـلـما دقيـقـا بالكائنات إلى أذهـان المثقفـين بالعـلـم الحديث من المسلمين ، وتطور هذه العقـيـدة – بعـد ذلك – فى أذهـانهم – كـمـا تطورت فى أذهـان الإفـرنج – إلى أن العلم والدين ضـدان لا يجتمعان(١٩٤) .

٤ – عدم الاهتمام بالتثقيف والتهذيب الدينى بجانب التثقيف بالعلم الحديث ، فى معاهد التعليم العام والعالى ، تثقيفا يربى العقيدة الصحيحة ، ويخلق الشخصية القوية[١٩٥] .

٥ – ما شاهدوا من مخالفة كثير من القوانين ونظم الاجتماع فى البلدان الإسلامية مخالفة صريحة لتشريعات الدين ، باسم السير مع عجلة الزمان[١٩٦] .

وصرح بأن للآيات الكونية معانى ظاهرة عامة ، وأخرى دقيقة، وأن الشخص العادى يستطيع أن يستجلى بفكره المعانى الأولى ، لأنها واضحة سهلة تصور له صنعة الخالق كما يشاهدها . وأما المعانى الثانية فلا يصل إلى سرها إلا من أوتوا حظا وافرا من العلم بأسرار الموجودات ، الذين يرون فى ألفاظ القرآن وعباراته فوق معانيها الظاهرة معانى أخرى تنطوى على أصول من العلم الواسع عن الكائنات[١٩٧] ، الذى لم يكن معروفا للناس من قبل ، ولم يتعرفوا عليه إلا تدريجا[١٩٨] ، بعد انتشار العلم الحديث بينهم فى القرنين الأخيرين[١٩٩] . وصرح فى مرة أخرى بأن الآيات تفيد صفات عن النجوم لم يكن يعرفها أحد عند ظهور القرآن ، ثم أظهرها البحث العلمى الدقيق[٢٠٠] ، بعد ذلك بقرون عديدة[٢٠١] .

وأعلن الإعجاز صراحة فى قوله : جاء القرآن معجزا بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة ، عن الجانب المادى من الكون(٢٠٢) ، مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده(٢٠٣) ، حتى جاء العلم الحديث ، بوسائل بحثه الدقيق(٢٠٤) ، المستندة إلى الخبرة والمشاهدة(٢٠٥) ، منذ أكثر من قرنين من الزمان ، فكشف عن كثير منها .

ولما كان يصعب على غير العرب إدراك معجزة القرآن الكبرى فى بلاغته وأسلوبه ، كان لهم فى الإعجاز العلمى واحدة من معجزاته الأخرى(٢٠٦) ، التى يمكنهم – عن طريق ترجمة معانيه إدراكها ، فتلزمهم الحجة بصدق دعواه(٢٠٧) .

وذكر أن القرآن احتوى هذا العلم ليكون له آية فى نشر دعوته(٢٠٨) ، كلما انتشر العلم بين الناس ، وحجة قائمة بصدق دعوته.(٢٠٩) وصدق وعده ووعيده(٢١٠) ، وكمال صفات الله وأفعاله(٢١١) ، وأن القرآن ليس من كلام البشر(٢١٢) .

وأخيرا عاب على طنطاوى جوهرى – مع حسن تقديره له – أنه زاد فى حديثه حتى جاوز حدود معانى الآيات ، ولم يحاول الجمع بينها ، فخفى كثير من حقيقة العلم المنزل فيها ومقداره(٢١٣) .

ونقل محمد الغزالى عن د. محمد أحمد الغمراوى فى كتاب «سنن الله الكونيـة» أنه نقل عن نهج العلمـاء فى الوصـول إلى الحقائق العلمية : هذه الطريقة هى طريقة العلم فى الاجتهاد . وبينها وبين طريقة اجتهاد المجتهدين فى الدين وجه شبه مهم ، هو أن رجال العلم يستوحون الحقيقة من صنع الله ، وعلماء الدين يستوحون الحقيقة من كلام الله وحديث رسوله(٢١٤) .

فكل فى الحقيقة مرجعه إلى الله(٢١٥) ، إذ أن هذه الحقائق الطبيعية التى يكشف عنها العلم ببحوثه : إن هى إلا نوع من كلمات الله ، أو هى كلمات الله الواقعة النافذة ، كما أن آيات القرآن هى كلمات الله الصادقة المنزلة(٢١٦) .

فالإسلام متسع للعلم كله : حقائقه ، وفروضه(٢١٧) .

ونقل عن هبة الدين الحسينى الشهرستانى من علماء الشيعة : أكثر ما يعجب فى القرآن أنه لم يتخصص بفن واحد من الفنون .. مما نطق به أمس وانكشف سره اليوم(٢١٨).

أما محمد الغزالى نفسه فقد أبان أنه ذو تصور واسع للعبادة في قوله : إن درسا فى الطبيعة والكيمياء هو صلاة خاشعة .

وإن سياحة فى علم الأفلاك هى تسبيح وتحميد .

وإن جولة فى الحقول الناضرة والحدائق الزاهرة ، أو جولة

مثلها فى المصانع الطافحة بالحركة المائجة بالوقود والانتاج ، هى صلة حسنة بالله .

ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد(٢١٩).

وقد أرجع خلود القرآن إلى جملة الحقائق التى حواها ، لأنها من القبيل المقطوع بصدقه (٢٢٠).

ورأى من أسرار إعجازه احتواءه على أسرار علمية ، لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة(٢٢١).

وكلما زادت معرفتنا بمادة الوجود وسره ، أحسسنا أن عظمة المبدع الماجد فوق ما يطيقه وعينا المحدود(٢٢٢).

ولا يصدنك عن الحق أن هناك علماء بالكون يجهلون ربهم ، فإن أسباب جهلهم أو جحدهم لا تنبعث من هذه الدراسات(٢٢٣).

كذلك لا يقبل من أحد أبدا أن يغض من شأن الدراسات الكونية : لأنها لم تهد بعض الملحدين إلى رب العالمين(٢٢٤) .

وإذا لوحظ أن هناك اختلافا ، فليس بين علم ودين ، بل بين دين وجهل أخذ سمة العلم ، أو بين علم ولغو لبس سمت الدين(٢٢٥) .

لا عجب إذن أن تكون العلوم الكونية عنده في صميم المعارف

الإسلامية ، بل هى أولى بالله وبدينه من أكثر العلوم المنسوبة إلى الإسلام الآن(٢٢٦) .

وذهب عبدالرزاق نوفل ، فى «الله والعلم الحديث» إلى أن الإعجاز العلمى للقرآن لا يقتصر على إيراد الآية للحقيقة العلمية قبل أن يجئ بها العلم بعشرات المئات من السنين(٢٢٧) ، ولكننا نجد أن الآية الواحدة تحمل أكثر من حقيقة واحدة ، وتشير إلى أكثر من معنى واحد من المعانى العلمية(٢٢٨) . وهذا وجه من إعجاز القرآن العلمى(٢٢٩) .

ورد فى «القرآن والعلم الحديث» على من قالوا : إن القرآن كتاب دين فقط . وأعلن أنه كتاب جمع فأوعى(٢٣٠) ، وإنك لتجد فيه كل ما تريد(٢٣١) .

كذلك رد على من قالوا : إنه ليس كتاب علم . فقال :

لقد فاتهم أن أول آية نزلت فى القرآن هى الأمر بالقراءة ، ثم تكرر الأمر فى الآية اللاحقة ، وتوجيه النظر إلى علم خلق الإنسان(٢٣٢) .

بعد القراءة نجد الدعوة إلي العلم بالقلم ، أى الدعوة إلى الكتابة(٢٣٣) .

قرر أن العلم من الله تشريفا وتكريما للعلم(٢٣٤) .

ليس كالقرآن كتاب كرم العلماء(٢٣٥) .

تكررت ألفاظ العلم فى القرآن(٢٣٦) .

حوى علوم الطبيعة والفلك والجيولوجيا والنبات والحيوان والزراعة والوراثة وعلم النفس والطب الاجتماعى والصحة والتاريخ والجغرافيا والميتافزيقا ، وما لا سبيل إلى حصره(٢٣٧) .

أورد كل الحقائق التى وصل إليها الإنسان بعد اجتهاد دام عشرات السنين(٢٣٨) . للقرآن فضل السبق على العلم(٢٣٩) .

وقد أسلمه كل ذلك إلى أن يقول : أثبت التقدم الفكرى فى العلوم فى العصر الحديث أن القرآن كتاب علم ، جمع أصول كل العلوم(٢٤٠) . ووصفه بالإعجاز العلمى الذى يخرس كل مكابر(٢٤١) .

واستهل عبدالرزاق نوفل كتاب «بين الدين والعلم» بالاشاعة التى يروجها الملحدون والمغرضون عن معارضة العلم للدين ، ثم أرجع هذه الإشاعة إلى الأسباب التالية :

١ - قصور العلم عن إدراك بعض حقائق الدين ، التى لا يمكن أن تكون موضع دراسات تجريبية(٢٤٢) .

٢ - سبق الدين إلى إيراد حقائق لم يصل إليها العلم بعد(٢٤٣) .

٣ - الاسرائيليات التى دسها المغرضون فى بعض تفاسير القرآن ، ونقلها البعض بعد ذلك(٢٤٤) .

٤ - فتح باب التفسير على مصراعيه ، فحاوله المختصون وغير المختصين ، فظهرت تفاسير لآيات بعيدة كل البعد عن حقيقة ما تقصده(٢٤٥) .

٥ - تفسير المفسرين الآيات التى لا تدخل فى نطاق ما حصلوه من علوم(٢٤٦) .

٦ - تفسير آيات لم يصل العلم إلى الوقوف على حقائقها بعد(٢٤٧) .

٧ - تفسير المفسر برأيه فى آيات سياقها لا يستقيم وهذا الرأى(٢٤٨) .

٨ - مغالاة بعض العلميين فى تفاسيرهم ، وذلك بتحميل الآية من العلوم ما لا يتفق وسياقها(٢٤٩) .

٩ - المحاولات الفردية لتفسير القرآن بأكمله ، إذ لا يمكن للفرد - مهما كانت طاقته ودرجة علمه - القيام بتفسير آيات القرآن كلها ، بكل ما تضمنه القرآن من علوم وإعجاز(٢٥٠) .

١٠ - تأخره فى الاهتمام بالتفسير العلمى ، خوفا على الآيات

من أن يعرضها لنظريات علمية قد تتغير ، مما يثير الشك فيها(٢٥١) .

وعاد إلى تأكيد دعوة الإسلام للعلم ، وتكريمه له ، فأضاف :

١ – إطلاق لفظ العلم على الله ، وتكريره(٢٥٢) .

٢ – رفع قدر العلماء إذ جعلهم الله بعد الملائكة فى شهود وحدانيته(٢٥٣) .

٣ – تمييز آدم بالعلم على الملائكة(٢٥٤) .

٤ – قسم الله بأدوات العلم(٢٥٥) .

وقرر أن القرآن سبق العلوم :

سبقا زمنيا يمثله عشرات المئات من السنين .

وسبقا نوعيا يظهر فيما توره الآيات من حقائق قاطعة ، لا يجرى عليها ما يجرى على العلم من فروض تتعدل ، ونظريات تتحول ، وآراء تنبذ . إنما هى الحق الساطع ، والقول الصادق ، لا يأتيه الباطل ، ولا يرقى إليه الشك(٢٥٦) .

كما قرر أنه سبق العصر الحديث فى تقريره لوسائل الدراسة الحديثة ، التى تعد أقصى تقدم وصل العلم إليه(٢٥٧) .

إن الدراسات أظهرت أن كل آية إنما تتضمن علوما عديدة ، وتوجيهات سديدة(٢٥٨) .

لا عـجب إذن أن ينتـهى إلى أن القرآن يحظى بإعـجـاز علمى يشمل كافة العلوم بلا استثناء(٢٥٩) ، أصبح مما لا يحتاج إلى دليل على بيـانه ، فـقـد اجـتـهـد العلمـاء فى مـيـدانه ، وفى كل يوم يضيفون إلى هذا الإعجاز إشراقات جديدة(٢٦٠) .

ورد على من اعـتـرضـوا على التـفـسـيـر العلمى بأنه قد يكون لبـعـضـهم الحق إذا كـان مـا يدعـو إليـه هو التـفـسـيـر بالنظريات العلمـيـة. ولكن لم يتـجـه أى إنسـان مـخلـص فى دعـوته إلى النظريات العلمـيـة بل إلى الحـقـائق العلمـيـة . وأعلن أن الفـارق بينهما كبير جدا: إذ أن النظرية العلمية هى ما لم يقم الدليل على صـحتـه بدرجـة تجـعله حـقـيـقـة غـيـر قـابلة للتطور أو التـغـيـيـر أو التعديل(٢٦١) .

ومع ذلك تسـاءل : هل إذا ظهر العلم بعد ذلك بحـقـيقـة أخرى تغاير مـا فسرت به الآية : هل يمكن لقائل أن يقول : إن الخطأ فى الآية ؟ أم ترى سيقول الناس : لقد أخطأ المفسر(٢٦٢) .

وذهب فى «محمد رسولا نبيا» إلى أن الإعجاز العلمى من أهم أوجه الإعجاز(٢٦٣) .

وعرف د. محمد حسين الذهبى التفسير العلمى بالتفسير الذى يحكم الاصطلاحـات العلمـيـة فى عبـارات القـرآن ، ويجـتـهـد فـى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها(٢٦٤) .

ورد عبدالحليم كامل على من وصفوا القرآن بالجمود ، وعابوا عليه الاستقرار والثبات قائلا : لو فكروا قليلا ، ونظروا إليه نظرة خالية من الحقد ، لا يفسدها تعصب أعمى ، ولا يشوبها غرور المعرفة ، لوجدوا فى هذا الثبات إعجازا(٢٦٥) ، ولعرفوا أنه – على رغم ذلك الثبات – يساير كل عصر ، فهو ثابت أبدا(٢٦٦) ، ويزداد على مرور الزمان قوة(٢٦٧) .

كيف لا ، وهو – مع ثباته – سائر دائما مع الرقى العلمى جنبا إلى جنب(٢٦٨) ، يوافق الحقائق الكونية والاجتماعية ؟

وعد ذلك من وجوه إعجازه .

وقال : إذا علمنا ذلك علمنا أنه الحق.(٢٦٩) . يفسره علم اليوم، ويؤيده ما يكشف عنه البحث فى الغد . وفى هذا دليل على القوة(٢٧٠) .

وقد ثبت أن رسول الله – ﷺ – لم يفسر من القرآن إلا القليل. وما كان ذلك عن تقصير أو عجز ، ولكنه بين ما فى كتاب الله من الشرائع والشعائر . وما بقى تكشفت آياته على الأيام معجزة للخلق(٢٧١) .

وكما نعرف من تاريخ العلوم أن الاستقرار والثبات لا يلازمان العلم ، احتاط كثير من العلماء . ومنهم المرحوم د. محمد ولى بوضع كلمة «كأن» أمام كل حقيقة علمية دفعا لشبهة ، واحتياطا لما يكشف عنه الغد من خطأ(٢٧٢) .

وأعاد د. عفيف عبدالفتاح طبارة القول بأن القرآن كتاب هداية وإرشاد ، ليست مهمته أن يتحدث إلى عقول الناس عن مشكلات الكون ، وحقائق الوجود العلمية(٢٧٣) ، وأن محمدا كان بعيدا عن المحيط العلمى الذى كان موجودا فى الشام ،والاسكندرية وأثينا وروما(٢٧٤) ، ومع ذلك لم تخل آياته من حقائق كثيرة فى المسائل الطبيعية والطبية والجغرافية(٢٧٥) ، عرف بعض أسرارها فى العصر الحديث(٢٧٦) ، مما يدل على تنزه الله(٢٧٧) ، وتقدسه(٢٧٨).

ووصف د. محمد جمال الدين الفندى فى «القرآن والعلم» من رفضوا التفسير العلمى بأنهم نسوا أن هذا جانب من علوم القرآن يجب ألا يغفل الاجتهاد فيه ، بعد أن صار العلم هو اللغة التى يفهمها كل الناس(٢٧٩) ، والحجة التى يتقبلونها عن طيب خاطر(٢٨٠) ، ليتم إسلامهم وتطمئن قلوبهم(٢٨١) .

ورد على من يخاف من التفسير العلمى ، لأنه يتخيل أن الحقائق التى نسلم بها اليوم – عندما يصيبها شئ من التطوير بتقدم ركب العلم – يمكن أن يؤدى ذلك إلى قلبها رأسا على عقب . فقال : إن شيئا من ذلك لا يمكن أن يحدث . فالتعديلات التى قد تطرأ على بعض الحقائق العلمية هى بمثابة إضافات أو تعميمات . ولن يمس ذلك كتاب الله فى شئ(٢٨٢) .

وصرح – فى فصل «علوم الفضاء فى القرآن» – : لقد سبق القرآن ركب العلم فى كافة نواحى هذا الميدان الخطير(٢٨٣) ، الذى فتح أمام البشر آفاقا واسعة فى الأرض والسماء ، تظهر آيات الخالق(٢٨٤). وتنبأ بهذا العصر ، وبمحاولات البشر لغزو الفضاء على النحو الذى نسمع به ونراه اليوم . وذلك فى وقت لم يكن فيه العرب يستخدمون أية وسيلة للسفر سوى الدواب(٢٨٥) .

وذكر أن القرآن أمر المسلمين بالتدبر فى أنفسهم وفيما حولهم ليلمسوا عناية الله فى كل شئ(٢٨٦) .

وأعلن أن العلم الحديث والقرآن يتفقان فى النظرة إلى الظن واليقين . فالتفرقة بين الظن واليقين والحقيقة والخيال هى الأساس المتين الذى عليه قام صرح العلم الحديث ، وينبه القرآن الأذهان إلى عدم الأخذ بمجرد الظن أو التخمين(٢٨٧) .

وخلص إلى أن الإسلام جدير بحق أن يسمى دين عصر العلم(٢٨٨) :

وقال فى «قصة السموات والأرض» : يلزم المؤمن أن يلم بالناحية العلمية الحديثة ليدرك التوافق الجميل بين العقل والدين ، وبين العلم والدين(٢٨٩) .

ولسنا نعتقد أن الخصام الذى فى مخيلات الكثيرين تنادى به الأديان السماوية أو تحث عليه(٢٩٠) .

ولا ندعى أن الكتب السماوية مراجع علمية بالمعنى المعروف ، تسوق الحقائق العلمية مفصلة كاملة(٢٩١) ، إلا أنهـا - ولاشك - تحتوى على قدر من الحقائق العلميـة التى تناول أغلبها النشأة الأولى وقصة السماوات والأرض(٢٩٢) .

لقـد ظهـر إعـجـاز القـرآن بالذات فى صـورة رائعـة فى هذا العصر الذى تقاس فيه الأمور ، بل تقاس فيه درجات الأمم ، بما توافر لدى الأفراد من علم حديث ومعرفة(٢٩٣) .

وصـرح فى «من روائع الإعـجـاز» : فى القرآن قضـايا علميـة عامة تبهر العقول المتفتحة(٢٩٤) .

الجاهلون بالقضايا العلمية هم وحدهم الذين يعتبرون كتاب الله وقفا على ما ألفوا من إعجاز لغوى أو سحر فى فنون البلاغة . ولكنهم نسوا أن القرآن معجزة خالدة ، ولابد أن يؤمن به أهل كل عصـر ، فهل البلاغة لغة هذا العصر ؟ وهل يفهم سكان الأرض اليوم لغة غير لغة العلم(٢٩٥) ؟

وقال فى «الله والكون» : كل آية عبارة عن قانون طبيعى على حد تعبيرنا الحديث(٢٩٦) .

وعاد ثانية إلى قضية تغير العلوم فأعلن أن الحقائق العلمية لا تتغير وإنما قد تعدل أو تحور داخل إطار ضيق . ولا يقبل العلماء

أية حقيقة ولا يوافقون على صحتها إلا بعد أن يتم التأكد من سلامتها ، وبعد أن يعيدوا إجراءها ومشاهدتها أو دراستها عدة مرات(٢٩٧) .

وكان يعقوب يوسف حاسما فى القول بأن القرآن ليس كتاب علم (٢٩٨) . ونجد شرح هذه العبارة فى قوله : بمعنى أنه لا يهدف إلى أن يزيد فى المعرفة النظرية لبنى البشر(٢٩٩) ، وقوله : القرآن ليس كتاب نظريات علمية(٣٠٠) .

ولكنه كان حاسما أيضا فى وجود الاشارات العلمية فى القرآن . نتبين ذلك فى قوله : القرآن حافل باللفتات إلى تكوين الكون والإنسان(٣٠١) ، وقوله : حوى إشارات كثيرة إلى بعض الحقائق الطبيعية والطبية وغير ذلك من العلوم(٣٠٢) ، وقوله : فى كل مرة تقرؤه تجد فيه لفتات لم تكن صادفتك فى المرة السابقة(٣٠٣) .

وكان حاسما فى القول بالإعجاز العلمى . قال : يكتشف فيه كل جيل من المعانى ما يبهره(٣٠٤) ، ويجعله يعيش فى مهرجان دائم من المعجزات(٣٠٥) . وقال : كلما تقدم العلم البشرى ، وجد فى هذا القرآن معجزات علمية جديدة ، لم تكن معلومة لدى من سبق من الأجيال(٣٠٦) .

ووصف محمود أبو الفيض المنوفى القرآن فقال : أنزله الله معبرا عن الحقائق الكونية والروحية(٣٠٧) . فكان الموسوعة الكبرى لكل معرفة أو معتقد(٣٠٨) . وبهذا وذلك صار مرجعا أعظم للعلوم والمعارف الطبيعية والروحية والإلاهية فى أسلوبه المعجز الخاص به(٣٠٩) .

وذكر عبدالقهار داود العانى أن بعض الباحثين المتأخرين أضاف الإعجاز العلمى إلى وجوه إعجاز القرآن . وهو ورود حقائق علمية فيه لم يستطع العلم الحديث إثباتها إلا متأخرا(٣١٠) .

وعاب الإسراف فى تفسير الآيات علميا من بعضهم ، حتى أغرق المكتبات بكتبه دون تمحيص أو تدقيق(٣١١) . ووصم هذا المسلك بأنه مسلك غير سليم ، ومنهج غير صحيح(٣١٢) .

وكان د. محمد أحمد الغمراوى أول علماء العلوم البحتة اتفاقا مع فقهاء الدين الذين ضموا السنة - بل كل ما دخل تحت نص قرآنى عام عند بعضهم - إلى الآيات ، وعدها مما نص عليه القرآن(٣١٣) .

وأعلن أن العلم تفسير عملى فى عالم المادة لآيات القرآن(٣١٤). وفى القرآن آيات تنطوى على حقائق كونية ، لم تثبت إلا بالعلم

الحديث . فكل منها معجزة علمية قرآنية تثبت نوعا من الإعجاز يرجع إلى العقل والحس الملموس لا إلى اللغة(٣١٥) ، وتلزم حجته عقلاء الناس جميعا(٣١٦) . وتظهر الحكمة فى آيات الأحكام(٣١٧) .

وعقد فصلا سماه «العلم قرآنى بطبيعته» ذكر فيه مواضع التلاقى بين القرآن والعلم ، ذكرت منها آنفا أشياء ، أضيف إليها:

١ - أن العلم لا يقول عن شئ إنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقينى القاطع . والقرآن يأمر كذلك بألا يقبل الإنسان شيئا على أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان(٣١٨) .

٢ - توافق الحقائق ، أى أنه لا تناقض مطلقا بين الحقائق(٣١٩) .

٣ - اطراد الفطرة واستقلالها ، فما ثبت أنه حق فى وقت ما سيكون دائما حقا ، أو بعبارة أخرى : الحق مستقل عن الزمان والمكان(٣٢٠) .

٤ - سلوك طريق المشاهدة الصحيحة(٣٢١) .

وأعلن أن القرآن سبق العلم الحديث إلى حقائق كونية :

بعضها صحح لفلاسفة اليونان من أخطائهم الفلكية(٣٢٢) .

وبعضها من القضايا الكلية التى ينطوى تحتها قضايا جزئية ، ثبت بعضها(٣٢٣) . ولا تزال صالحة لتشمل ما يمكن أن يكشف

عنه العلم فى مجالها(٣٢٤) . ومعروف أن القضايا الكلية هى أرقى ما يمكن أن يصل إليه العلم فى ميادينه المتعددة .

والتدرج فى إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة مطابقة لحكمة الله فى جعله الإسلام آخر الأديان ، وجعله القرآن معجزة الدهر(٣٢٥) ، أى معجزة خالدة متجددة(٣٢٦) : يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبين ، فيكون هذا التجدد فى الإعجاز العلمى هو تجديد للرسالة الإسلامية . كأنما رسول الإسلام قائم فى كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ، ويريهم دليلا على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة والقرآن(٣٢٧) .

هذا النوع من الإعجاز يعجز الإلحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل . فإن الحقيقة العلمية التى لم تعرفها الإنسانية إلا فى القرن التاسع عشر أو العشرين مثلا – والتى ذكرها القرآن – لابد أن تقوم عند كل ذى عقل دليلا محسوسا على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن(٣٢٨) .

ويتوقف على فقه الآيات الكونية تيسير الدعوة إلى دين الله فى هذا العصر ، عصر العلم الحديث(٣٢٩) .

ورد على من تساءلوا – اعتمادا على آية الأنعام – : هل فى القرآن إشارة إلى القمر الصناعى ؟ فقال : لهم بعض العذر .

لكنهم يخطئون إن كانوا ينتظرون أن يشير القرآن إشارة خاصة إلي هذا القمير أو غيره . فما القمير إلا اختراع من الاختراعات الكثيرة التى هدى الله إليها الإنسان بما منحه من العلم . ومن التعسف أن ينتظر إنسان إشارة فى القرآن إلى اختراع مخصوص دون غيره من الاختراعات . ومن غير المعقول أن يشار إلى كل منها بالذات اختراعا اختراعا .

صحيح أن حكمة الله اقتضت ذكر بعض آياته الكونية بالذات كالشمس والقمر . لكن ما ذكر بالذات منها إنما هو المرئى المشاهد لكل الناس في كل العصور . أما ما استتر منها مستقلا عن هذا المشاهد أو منطويا فيه فلا يمكن أن يحيط به عد ، ومع ذلك فقد أحاط به القرآن عن طريق التعميم لا التخصيص ، أى عن طريق الكلى الذى يحيط بكل ما يندرج تحته من جزئى(٣٣٠) .

وذكر أن بعض القضايا العلمية جاءت فى القرآن عن طريق الإشارة لا صريح العبارة ، مراعاة لمقتضى الحال فى خفائها(٣٣١)، وعدم إحساس الناس بها(٣٣٢) . فلو أن القرآن صارحهم بها لكذبوه(٣٣٣) ، وحيل بينهم وبين هدايته(٣٣٤) .

والتفسير العلمى ليس بدعة ابتدعها أصحابه فى هذا العصر ، بل تجد بين قدامى المفسرين من ينتهجه ، مطبقين فى عصرهم ما

يقابل العلم فى عصرنا ، كالزمخشرى ، والفخر الرازى الذى يمتلئ تفسيره بالتفسير العلمى فى عصره ، وكالشيخ محمد عبده(٣٣٥) .

وذهب د. محمد محمد أبو شهبة إلى أن القرآن – حينما دعانا إلى النظر فى الآيات الآفاقية والأنفسية – لم يقف بنا عند حد الاعتبار والاتعاظ بالظواهر والصور والأشكال حسب . وإنما أراد – إلى ذلك – استكشاف المستور ، واستكناه الأسرار ، والتقصى عما فيها من عجائب وسنن وخواص ، عن طريق الملاحظة حينا ، والتجارب أحيانا أخرى(٣٣٦) .

وبذلك يكون القرآن فتح أبوابا للعلوم التجريبية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان(٣٣٧) .

ولو أن المسلمين استفادوا بما فيه من توجيهات وإرشادات ، لكانوا – كما كان الشأن فى سلفهم الأولين – أسبق الأمم إلى الكشوف العلمية والاختراع والابتداع(٣٣٨) ؛ ولصاروا سادة الدنيا، وبيدهم زمام الأمور(٣٣٩) .

وقال أحمد عبدالسلام الكردانى : لا يجوز أبدا أن تحول الغيرة على القرآن – كما يزعم البعض – دون إظهار الإعجاز العلمى لآيات القرآن ، بالمطابقة التامة بين ظاهر معناها الحرفى وبين الثابت اليقينى من حقائق العلم الحديث .

ودهش موريس بوكاى لثراء الموضوعات التى عالجها القرآن[٣٤٠] . فهناك الخلق وعلم الفلك وبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالمي الحيوان والنبات والتناسل الإنساني[٣٤١] .

وذكر أن القرآن أتى بمعتقدات علمية ، لم تكن أحيانا مقبولة فى ظاهرها . ولكنها - عند ما درست اليوم على ضوء المعارف الحديثة الثابتة ، ظهر أنها تنطوى على معطيات علمية ، استطاع العلم فى العصر الحديث فقط أن يثبت حقيقتها[٣٤٢] .

ثم استدرك فصرح أن القرآن لا يهدف إلى عرض بعض القوانين التى تتحكم فى الكون[٣٤٣] ، وإنما هدفه دينى جوهرى .

ونوه بالجانب ذى الطابع السلبى من القرآن ، وأراد به عدم ذكره النظريات السائدة فى عصر تنزيله ، عن تنظيم العالم السماوى ، تلك النظريات التى أثبت العلم - فيما بعد - عدم صحتها[٣٤٤] .

والتفت إلى الفروق بين دقة المعلومات القرآنية وصحتها - بصدد العلوم - وعدمها فى بعض الأحاديث . واستدل من ذلك على أن مصدر القرآن هو الله ، ومصدر الأحاديث هو محمد[٣٤٥] .

وأفاض فى البرهنة على أن محمدا لم يعتمد على التوراة ، ذلك القول الذى يجمع عليه اليهود والمسيحيون والملحدون فى البلاد الغربية[٣٤٦] .

وذهب د. السيد الجميلى إلى أن الإعجاز الطبى يظهر جليا فيما احتواه القرآن من حكم طبية ، بلغت شأوا بعيدا من العظمة ، وأثبتها الطب بعد قرون عديدة[٣٤٧] ، وأنه الإعجاز العملى التطبيقى[٣٤٨] ، ولا يقل أهمية عن الإعجاز البيانى[٣٤٩] ، وأنه يثبت صلاحية القرآن لكل زمان ومكان[٣٥٠] .

ومن ثم فكتابه مرجع طبى للفقهاء ، ومرجع دينى للأطباء[٣٥١].

وجعل أحمد عز الدين عبدالله خلف الله من الإعجاز الذى يحير العالمين : اشتمال القرآن على حقائق علمية قبل اكتشافها بمئات السنين[٣٥٢] ، بطريقة لا تثير أى جدل أو اعتراض عليها[٣٥٣] ، ومن بينها حقائق عوقب من صرح بها بالإحراق فى أوربا بعد نزول القرآن بأكثر من ثمان مائة عام[٣٥٤] .

وختم محمد اسماعيل إبراهيم كتابه بالتأكيد بأن إعجاز القرآن – سواء من ناحيته البيانية أو العلمية – حقيقة كبرى ، واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ويتجلى وضوحها لكل من درس علوم القرآن دراسة صحيحة ، واستطاع أن يزداد علما

بما وصل إليه العلماء المتخصصون فى مباحث العلوم الطبيعية أو الاجتماعية والنفسية والكونية[٣٥٥] .

فقد وصف الله فيه كل ما أبدعه من مخلوقاته وصف العليم بأسرارها وأحوالها ومقوماتها[٣٥٦] .

وعندما جدد العلماء النظر فى القرآن ، وحاولوا فهمه فهما عصريا وتفسيره فى ضوء هذه العلوم الحديثة ، ظهر بوضوح أن آياته لها معان أوسع وأشمل مما فهم العلماء السابقون منها[٣٥٧].

وكلما اكتشف العلماء جديدا من كليات العلوم وأصولها ، أو أى شئ من كنوز الحكمة ، وجدوا له فى كتاب الله مواضع وإشارات تنم عنها وتدل عليها[٣٥٨] .

وعلى الرغم من ذلك فرق محمد اسماعيل بين القرآن وكتب العلوم ، لأن القرآن عندما يعرض أى قضية من قضايا الكون العلمية لا يعرضها بأساليب البشر ، باستعمال المقدمات والدلائل والمعادلات والتجارب والبراهين واستنباط النتائج ، وإنما يقدمها بالإشارة أو الرمز أو المجاز أو الاستعارة أو بالعبادات التى تومض فى العقل بنور روحى باهر ، وذلك خلال ما يلقيه من الحكم والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، والأوامر والنواهى ، والأحكام والشرائع[٣٥٩] .

ويجب أن يؤمن كل مسلم بأن ما يجد فى عصرنا من إدراك علمى لآيات القرآن ليس معناه أن حقائق القرآن تغيرت أو تطورت فى ذاتها . وإنما الذى يتغير ويتطور هو عقل الإنسان الذى يتسع إذا استنار وفكره إذا استقام ، مع كثرة البحث والدرس والتجريب. فيبدو له القرآن على حقيقته الأصيلة الخالدة(٣٦٠) .

ولم يفهم السلف الصالح الآيات العلمية على وجهها العلمى . وإنما رأوا أنها شاهدة على أنه – سبحانه – بديع السماوات والأرض(٣٦١) .

ولا شك أن النبى – ﷺ – لم يتعرض فى تفسيره لمثل هذه الآيات ، من الناحية العلمية التفصيلية(٣٦٢) ، التى هى فوق مستوى عقولهم ، لتفشى البداوة والجهل فى ذلك الحين(٣٦٣) . ولكنها كانت مفهومة فهما دينيا رائقا فى قلوب الذين آمنوا إيمانا خالصا ، وكانت روح الإيمان تضئ أرواحهم فيرون آيات الله وبهاءها فى نفوسهم ساطعة الرواء(٣٦٤) .

لذلك كان علماء الفلك والطب أكثر الناس إيمانا بعظمة الخالق المبدع ، وأسبقهم إقرارا بألوهيته(٣٦٥) ، لما رأوه رأى العين من أن القرآن هو نهاية العلم الذى يصلون إليه كلما جد جديد فى بحثهم، وهو العلم الذى جاء به النبى الأمى ، الذى لم يكن هو ولا قومه ولا

عصره يعرف شيئا من هذه العلوم[٣٦٦] ، ولم يكن له أى نشاط فى تحصيل العلم أو الاجتماع بأهل الكتاب لتلقى علومهم[٣٦٧] .

وفى القرآن من العلوم والمبادئ والآداب أضعاف أضعاف ما جاء فى الكتب المقدسة السابقة[٣٦٨] . وتناول القرآن الحقائق الكونية وما يدور حولها من مظاهر بصورة أصح وأدق بكثير عما جاء فى هذه الكتب[٣٦٩] .

وإذا اختلفت النظرة العلمية ، فى وقت من الأوقات ، مع الآية القرآنية ، فيرجع ذلك إلي أن العلم الذي يتطور من وقت لآخر لم يصل بعد إلى مستوى مفهوم الآية[٣٧٠] .

لا عجب أن تكون الثمرة النهائية للكتاب أن القرآن هو المعجزة الإلاهية الخالدة[٣٧١] .

وجعل محمد الصادق قمحاوى الإعجاز العلمى الوجه السابع من وجوه القرآن . وعرفه مرة بأنه اشتمال القرآن على العلوم التى لم تعرف إلا بعد الكشوف العلمية[٣٧٢] ، ونقل عن القائلين به أن ليس المراد بالإعجاز عندهم الكشف عن النظريات العلمية التى تتجدد وتتغير وتكون نتيجة لجهود بشرى ، وإنما المراد منه الحث ولفت الأنظار للتفكر والتدبر فى صنع الله[٣٧٣] . مما يدل على غموض التعريف فى ذهنه والتردد فى قبوله.

وكان أكثر توفيقا فى قوله : إن وافقت الحقيقة العلمية الحقيقة القرآنية فهو الإعجاز العلمى(٣٧٤) ، وإن لم تتفق مع القرآن فإنها لم تصل بعد لأن تكون علمية ، وإنما هى لا تزال فى طور التجربة(٣٧٥) .

ومع ذلك استبعد الإعجاز العلمى من التحدى ، لأن القوم كانوا لا يخطر ببالهم هذه الكشوف والمخترعات ، ولا يعرفون عنها شيئا(٣٧٦) .

وذهب محمد وفا الأميرى إلى أن التقدم العلمى كشف عظمة القرآن(٣٧٧) . ومهما فسره المفسرون ، وكشف أسراره العلماء ، فهو لايزال - إلى يوم القيامة - بكرا لم تفض أسراره ، ولم تكشف عجائبه(٣٧٨) . وهذا إعجاز القرآن(٣٧٩) .

واتخذ من الآيات العلمية دليلا على دقة التقدير العظيمة فى خلق كل شئ فى هذا الكون(٣٨٠) ، مع الضبط المحكم(٣٨١) ، والهدف النافع للحياة(٣٨٢) .

وصرح بأن العلوم العربية والكونية بدأت تتدخل فى تفسير القرآن وتمتزج به ، من اعتبار أن هدايته وإعجازه لا يفهمان على الوجه الصحيح كاملا إلا من طريقها(٣٨٣) ، وقد ساعد ذلك على أن يساير التفسير أفكار الناس(٣٨٤) ، ويدفع مزاعم القائلين

بوجود عداوة بين العلم والدين[٣٨٥] ، ويستميل غير المسلمين إلى الإسلام[٣٨٦] .

وقصور علمنا وفهمنا هو الذى جعلنا نقف أمام محيط القرآن ولا نخوض فى عبابه ، أو نخطئ فى فهم بعض إشاراته[٣٨٧] .

وقد أجاز العلماء هذا اللون من التفسير بشرط ألا يخالف أصول الدين والعقيدة أو يعارضهما .

وتساءل : لو فرضنا بأن النظرية التى نقولها ظهر فى زمان ما نظرية بخلافها أو تعاكسها ، فهل فى هذا ضرر ؟

ثم أجاب : إن النظرية والفرضية العلمية لا تبطل بنظرية وفرضية علمية أخرى ، بل تبطل بحقيقة علمية ، لأن كلتيهما فرضيتان ، وبخاصة إذا كانت هذه النظرية توافق ظاهر كلام الله. فهذا يقويها ويجعلها حقيقة علمية لا تبطل بفرضية أو نظرية معاكسة لها[٣٨٨] .

وجاهر د. أحمد شوقى إبراهيم بأننا – مهما أوتينا من علم – لن نستطيع أن نصل إلى كل ما فى النص القرآنى من علم ، فالعلم الإلاهى لا يمكن أن يحيط به الإنسان أبدا[٣٨٩] . وفيه من الحقائق الكونية والعلمية ما لم نستطع أن نصل إلى فهمه إلا منذ سنوات معدودات فحسب[٣٩٠] .

وعندما نفسر أى نص قرآنى ينبغى ألا نعتبره تفسيرا حتميا له(٣٩١) . فإن النص الكريم قد يعنى ما توصلنا إليه من فهم ، وقد يعنى معنى آخر ، لم تصل إليه أفهامنا وعلومنا بعد . وربما توصلت إلى فهمه عصور تأتى من بعدنا(٣٩٢) .

وكل ما نهدف إليه أن نوسع من مداركنا ونزيد من تصوراتنا ، لعلنا نسمو إلى مستويات من العلم أعلى تتيح لنا رؤية المزيد من العلم الإلاهى(٣٩٣) .

وابتعد عبدالله النورى فقال : الحقيقة إن القرآن كتاب علم ومعرفة شاملة ، لا يعجزه من شئ فى السموات والأرض(٣٩٤) .

وذكر حسين فؤاد طلبة أن المسلمين - عندما تليت الآيات العلمية وقت نزولها - لم ينتبهوا إلى مدلولها العلمى(٣٩٥) . ولكنها عندما تتلى على الأجيال المتعاقبة يدرك الباحثون ما فيها من إعجاز علمى ، بحكم ارتقاء العقل البشرى جيلا بعد جيل(٣٩٦) .

وعد على على المرسى من الإعجاز أن نمعن الفكر فيما ورد فى القرآن - بعد أن قفز العلم الحديث قفزة هائلة خلال القرن الأخير فقط - فيزيدنا ذلك إيمانا ، ويملأ قلوبنا رهبة(٣٩٧) ، وعظمة الدين الحنيف(٣٩٨) .

وحدد د. عدنان زرزور العلم الذى يتحدث عنه بالعلم

التجريبى[399] . وقال : إن الحديث عن التفسير العلمى أو دور القرآن فى تطور العلوم يمكن أن ينظر إليه من جانبين :

جانب المنهج الذى جاء به القرآن .

وجانب تاريخ تطور العلوم التجريبية .

والقرآن كتاب علمى نظرا إلى الجانب الأول ، جانب المنهج الذى جاء به القرآن ، وأتاح للإنسان أن يطور علومه . فلا صده عن ذلك صاد ، ولا يلقى أى معارضة جدلية أو دينية على نحو ما حصل فى أوربا فى العصر الوسيط[400] . وأراد بالمنهج المناخ العقلى والشروط النفسية والاجتماعية التى أوجدها القرآن فى المجتمع الإسلامى ، وحث هذا المجتمع على أن يلاحظ[401] ويعتبر[402] .

أما جانب ما قدمه القرآن فى تاريخ تطور العلم ، وأضافه من حقائق أو نظريات ، فليس هو بالجانب الأهم[403] أو الجانب الذى يجب أن ينظر منه إلى هذا الموضوع . ومع ذلك ، فقد جاء فى القرآن إشارات كثيرة ومتنوعة ، شملت أغلب فروع المعرفة العلمية[404] . وقد جاءت هذه الإشارات كإطار أو حوافز للعقل الإنسانى[405] ، وعلى نحو يتم إدراكه تماما خلال العصور اللاحقة[406] .

وذهب د. أحمد محمد سليمان إلى أن القرآن رسم الطريق الصحيح للبحث العلمى(٤٠٧) .

وقال د. شعبان محمد اسماعيل : الناس – أمام الإعجاز القرآنى وعلاقته بالحقائق العلمية فريقان :

أحدهما : يحاول إخضاع الحقائق العلمية للقرآن

والفريق الثانى : ينكر ذلك .

ونحن نقول لهم : إن الذين منعوا مجانبون للصواب ، والذين غالوا مجانبون للصواب أيضا . لأن القرآن كلام الله ، والكون خلق الله . وما خلقه الله لابد أن ينسجم مع كلام الله .

فإن حصل ما ظاهره التضارب : فإما أنك فهمت حقيقة قرآنية، وهى ليست حقيقة قرآنية ، وليس هذا المراد منها ؛ وإما أنك أتيت بشئ ليس حقيقة علمية ، وقلت هو حقيقة علمية(٤٠٨) . لكن إذا تأكدنا أن هذه حقيقة قرآنية وهذه حقيقة علمية ، فلابد أن تلتقيا(٤٠٩) . فإن لم يكن فى القرآن ما يؤيد الحقيقة العلمية ، فليس فيه قطعا ما يعارضها.

وقال د. عبدالله شحاته : من إعجاز القرآن إشارته إلى نشأة علوم حديثة لم يعرفها السابقون(٤١٠) . وقد حملت آياته بذور التقدم العلمى ، وأرشدت إليه ، وتركت للعقل البشرى بعد ذلك

استكمال رسالته[٤١١] حتى يتحقق من صواب نظريته أو خطئها[٤١٢] . ورغم أن المقصود الأسمى منه هو الهداية ، حوى - مع ذلك - أصول الإعجاز التشريعى والنفسى والبيانى والعلمى[٤١٣] .

ومن آياته يتضح لنا أن لله كتابين :

كتاب مفتوح ، هو الكون ، يقرؤه العالم والجاهل ، والكبير والصغير ، والمتعلم والأمى .

وكتاب مقروء ، أنزله على نبيه ليرشد الناس إلى آثار قدرة الله بديع السماوات والأرض[٤١٤] .

وأفاض د. شوكت محمد عليان فى قضية الخلاف بين الدين والعلم . فذكر أن الصدام التقليدى بينهما من نتاج القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[٤١٥] ، عندما اتضح لدى العلماء التجريبيين أن جميع وقائع الأرض والكون مقيدة بنظام واحد معلوم ، سموه قانون الطبيعة ، وجعله معارضو الدين بديلا للإله[٤١٦] .

ثم أخذت القوى المعادية للإسلام تصور للمسلمين وجود التنافر بين الإسلام بخاصة والكشوف الحديثة[٤١٧] .

ولما وضع الإنقلاب الصناعى الأوربيين فى مركز الصدارة فى العالم ، ظن الجهلة أن المسلمين - إذا أرادوا النهوض كأوربا - فعليهم أن يتجردوا من الدين ، لأنه سبب التخلف[٤١٨] .

ورد على هذه الدعاوى بأن الواقع الذى لا ينكره كل ذى عقل سليم أن المسلمين لم يتخلفوا إلا نتيجة تركهم الدين[٤١٩] . ولو أن هذا النفر من الناس نظر إلى حقيقة الإسلام والتاريخ الإسلامى – بعيدا عن الأهواء والنحل – لما رأى أدنى صراع[٤٢٠] . فالشواهد التاريخية تؤكد التلاحم الوثيق بين العلم التجريبى ورجاله وبين الدين وحملته[٤٢١] .

لذلك لا نعجب حين نجد د. شوكت عليان يصرح بأن القرآن حوى كثيرا من العلوم والنظريات التى أسهمت فى دفع عجلة التقدم العلمى الحديث[٤٢٢] ، وأن هناك وجها من وجوه الإعجاز ظل مختفيا فى زوايا الغموض : ألا وهو الإعجاز العلمى[٤٢٣] . ولم يجد العرب فى مبدأ نزول القرآن حافزا للبحث فى الآيات العلمية[٤٢٤] ، كما لم تهيئهم بيئتهم ومحصولهم العلمى أن يدققوا وراء تلك الآيات[٤٢٥] . فلما تقدم العلم تفتحت الأذهان إلى ناحية من الجلال لم تدركها عقولهم[٤٢٦] .

ولكنه – فى الوقت نفسه – أعلن أن موضوع الدين يختلف عن موضوع العلم التجريبى[٤٢٧] ، وأن مراجع العلوم الدينية القرآن والسنة ، ومراجع العلوم التجريبية المختبرات والنظريات والظواهر الطبيعية[٤٢٨] ، وأن المحور الرئيسى لرسالة القرآن هو السعادة

الأخـروية ، فـهـو - بذلك لا يدخل فى دائـرة أى من عـلومـنا وفنوننا الحـديثـة(٤٢٩) ، وأن إحاطته بكثير من الحقائق العلمية الحديثة ضـمن إشارات غير مقصودة لذاتها(٤٣٠) ، وأن البـحث فـيـه - باعـتـبـاره مـصـدرا للعلوم - من شـأنه أن يفـرغـه من محتواه(٤٣١) .

وأعلن يوسف السـويدى : إن مـا سـجله التـاريخ من صـراع مـرير بين العلم والدين فى أوربا - أو بالأحـرى بين رجـال الدين ورجال العلم والفكر - لم يكن مرجعه دين الله ، بل هو دين تعاونت على إيجـاده أهـواء ومـصـالح مـجـمـوعـة من الرجـال لتـضليل الناس(٤٣٢) .

ولو أن العلمـاء اطلعـوا على الإسـلام لوجـدوا أنه لم يقم أى صراع بينه وبين العلم ، ولم يكن فى تاريخـه مـحاكم تفتيش ، ولا أى إرهاب لأصحاب الفكر(٤٣٣) .

وقسم من يزعمـون وجـود تناقض بين الدين والعلم الأقسـام التالية :

١ - أناس جاهلون بالعلم ، يخلطون بين ما هو نظرى وما هو يقينى(٤٣٤) .

٢ - أناس مـتـضلعـون فى العلم ، ولكنهم جـاهلون بالدين ، ينظرون إليه على أنه معتقدات غيبية(٤٣٥) .

٣ - أناس يعيشون فى مجتمعات ضلت طريقها لفهم الدين ، فاعترتها الشكوك ووقعت فى الإلحاد ، وأشاع القائمون على الأمور فيها أن الدين أفيون الشعوب[٤٣٦] .

٤ - المتطاولون على الدين ، لإشباع رغباتهم فى إيجاد مجتمع متحلل الأخلاق والقيم[٤٣٧] .

ونقد نعيم الحمصى طنطاوى جوهرى وعلى فكرى ومحمود مهدى الاستانبولى ومحمد متولى الشعراوى فى بعض الأفكار الجزئية التى ربطوا فيها بين آيات وظواهر علمية [٤٣٨] .

وخالف أستاذه أمين الخولى فى قوله بأن الإعجاز العلمى فورة اصطدام مع الثقافة الأوربية ، إذا كان يريد بها أنها لا تلبث أن تهدأ وتزول [٤٣٩] ؛ وبأن عمل أصحابه محاولة حاولوا فيها أن يستفيدوا من الكلمات والجمل التى يمكن أن تتحمل تأويلات واسعة تتيح إمكان اتساع الخيال ، لأن ذلك يظهر عملهم كأنه كهانة وشعوذة[٤٤٠] .

وأعلن أن له رأيه الخاص ، ولخصه فيما يلى :

١ - أن هدف القرآن الأساسى هو هداية البشر ، لا أن يكون موسوعة علوم[٤٤١] .

٢ – أن القرآن أنبأ ببعض المعلومات التى لم يعرفها البشر إلا حين تقدمت العلوم الحديثة فى العصر الحاضر ، إنباء لا يقبل الشك ، ويدل على الإعجاز(٤٤٢) .

٣ – أننا يجب ألا نبالغ فى استنباط هذه المعلومات من القرآن،(٤٤٣) ولا أن نتصنع الأدلة ، لأن ذلك يحدث ردة فعل فى نفس القارئ أو السامع ، ولا يعطى النتيجة المتوخاة(٤٤٤) . بل يجب أن نتريث(٤٤٥) ، ونلتزم بالحقائق ، ولا نقول بشئ من ذلك إلا بعد أن تثبت صحته(٤٤٦) ، وأن هناك مكرمة للقرآن – لا ينكرها إلا مكابر – وهى حثه الإنسان على النظر فى عظمة الكون ، ليدرك عظمة الخالق وحكمته(٤٤٧) .

وتأثر بمن سبقه فذكر أن فى مبادئ القرآن السامية ، وبثه الروح الإنسانية الخيرة الرفيعة ، وفى بلاغته الرائعة وأثره فى النفوس ، ما يغنى عن التكلف فى الربط بين الآيات والعلوم(٤٤٨) .

وجهر د. منصور حسب النبى بأن العلم قرآنى فى موضوعه ، فالعلوم الطبيعية تبحث – عن أسرار الظواهر الكونية ، ويأمرنا القرآن بالبحث فيها(٤٤٩) ، وأن القرآن والعلم مرتبطان ارتباطا مصيريا ، لأنهما يقرران – معا – مصير الإنسان وكماله(٤٥٠) ،

وأنهما متماثلان فى الغاية ، ومتحدان فى الهدف ، لأن مصدرهما واحد وهو الله(٤٥١) .

ويحتوى القرآن على حقائق علمية غاية فى الأصالة والموضوعية والإعجاز . ولن أكون مبالغا إذا قلت : إن الإعجاز العلمى للقرآن قد شمل أهم الأحداث العلمية فى القرن العشرين(٤٥٢) .

وينبغى ألا يكون إدراك الإعجاز قاصرا على الإعجاز اللغوى البيانى(٤٥٣) . فالإنسانية كلها - بجميع شعوبها على اختلاف لغاتهم - مخاطبة به ، ومطالبة بالتسليم أنه كلام الله . ولابد إذن أن يكون للإعجاز نواح غير الناحية البلاغية والبيانية(٤٥٤) . وهذه النواحى هى - بالتأكيد - النواحى العلمية ، التى تظهر فى كل مكان وزمان ، والتى سيظل إعجازها حتى قيام الساعة(٤٥٥) ، ولا سيما أن العصر الذى نعيش فيه الآن عصر مادى لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلا عن الاقتناع(٤٥٦) ، ولا سيما أيضا أن هذه اللغة العلمية هى اللغة الدولية التى لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين(٤٥٧) . كما أن الإعجاز العلمى للقرآن لا يجرؤ أى مكابر أو ملحد أن يجد موضعا للتشكيك فيه(٤٥٨) .

وللقرآن أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون . فالهداية التى جاء من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون

بما ينكرون فـيكذبونه ، وتقـتـضـى ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية ، فى عصر نزول الوحى به ، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور العلم المتقدمة . وتجنب هذين العائقين هو من بدائع إعجاز أسلوبه(٤٥٩) .

ورد على من يهاجمون التفسير العلمى بدعوى أن العلم يتغير ، فقال : هذه مغالطة ، لأن العلم الصحيح لا يتغير ، لأنه نتيجة لحقيقة ثابتة ثبوتا قطعيا(٤٦٠) . ويمكن القول بأن العلم - الآن فى نهاية القرن العشرين - يتطور دون أن يتغير فى حقائقه الأساسية الثابتة(٤٦١) .

وأعلن مصطفى الدباغ أن القرآن - لو كان من تأليف محمد - ﷺ - لما أقحم نفسه بقضايا علمية ربما تكشف الأيام بطلانها(٤٦٢) ، وأنه لم يكن فى مكنة البشر - قبل أربعة عشر قرنا - أن يطلعوا على دقائق من العلم لم يتوصل إليها إلا بعد ١٣٠٠ سنة(٤٦٣) ، وأن الاعتماد على القوانين العلمية الراسخة ، والكشوف المؤيدة بالدليل ، فى تفسير الآيات الواضحات ، يبتعد بنا عما يخشاه البعض من بناء التفسير على مجرد آراء ونظريات قابلة - بفعل الزمن - للتبديل أو البطلان أو الخطأ ، فيثبت معه عجز القرآن لا إعجازه(٤٦٤) .

وذهب د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر إلى أن ما يشاع من معارضة العلم للإسلام والقرآن هو – بلاشك – خطة موضوعة من القوى الملحدة فى العالم لزرع الشك فى الدين الإسلامى[٤٦٥] .

والقرآن كتاب كامل فى موضوعه ، ونهائى فى حقائقه[٤٦٦] ، معجز سواء طابقته الكشوف العلمية المتأرجحة أو لم تطابقه[٤٦٧]، بل فى كل حرف من الآيات إعجاز لا يأتى بمثله إلا الخالق الأعظم وحده[٤٦٨] .

وذهب د. محمد كمال عبدالعزيز إلى أن القرآن يوجه القلوب والعقول دائما إلى مشاهد الكون وخلق الإنسان ، ويربط بينها وبين العقول والقلوب ، ويوقظ المشاعر لاستقبالها بحس جديد متفتح[٤٦٩] .

وأرجع محمد السيد أرناؤوط التعارض – المتوهم أحيانا – بين القرآن والعلم إلى الخلط بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية[٤٧٠]، أو عدم الفهم الجيد للقرآن وأسراره[٤٧١] .

وذكر أنه لو أبان الرسول – ﷺ – كل كنوز القرآن وتفاصيله لحدث أحد أمرين :

١ – إما أن تتوقف الدنيا عن التجدد بالصورة التى أرادها الله[٤٧٢] .

٢ – وإما أن يتجمد القرآن ، وهو المعجزة التى تكتنز كنوز الكون(٤٧٣) .

ومن إعجاز القرآن أن عطاءه – فى كل زمن يناسب حملة التشكيك فيه(٤٧٤) .

وتساءل د. يحيى سعيد المحجرى : كيف نستطيع أن نطبق القرآن بكلماته التى لم – ولن – تتغير على الإنسان المتطور المتغير؟

وكان جوابه : السؤال يعكس عدم إحاطة سائله إحاطة كاملة بآيات القرآن ومعانيها . فالقرآن – وإن ثبتت ألفاظه وكلماته – فإن معانيه متطورة ، يقرؤها البدوى – منذ ألف سنة أو يزيد – فيفهمها على سجيته وحسب منطقه . ثم يقرؤها عالم الفلك – فى القرن العشرين . فيفهم منها معانى جديدة ، وذلك لأن قسطه من العلم قد زاد، وأن دائرة معارفه وإدراكه قد اتسعت(٤٧٥) .

وبنى إبراهيم حسن النصيرات كتابه على النقاش العلمى المبنى على أسس منطقية موضوعية ، بعيدة عن التعصب الفكرى أو الطائفى(٤٧٦) . وصرح أنه لا يريد إلباس القرآن ثوب الجغرافيا كما كساه الآخرون ثوب الاشتراكية والرجعية من أجل بلشفة الإسلام(٤٧٧)، وأن القرآن يذكر كليات العلوم وقواعدها كقضايا

عـامـة دون تفـصـيل[٤٧٨] ، ويأتى دور العلمـاء فى هذا العـصـر ليفصلوا القول فيـها[٤٧٩] ، فقد اعتبر الآيات مفاتيح لبعض المواضيع[٤٨٠] .

★ ★ ★

نخرج من هذه الجولة بوجوب التفرقة بين أصحاب الإعجاز العلمى وأصحاب التفسير العلمى، لأنه قد تبين لنا أن بعض من ناصروا التفسير لم يصرحوا بالإعجاز ، على حين أعلن آخرون الإعجاز صراحة بل جعله بعضهم عنوانا لكتبهم .

وقد بدت بوادر الإعجاز العلمى الأولى فى القرن الرابع عند من روى ابن سراقة أقوالهم . أما التفسير العلمى فيمكن أن نجد جذوره عند القائلين باحتواء القرآن على كل شئ من الصحابة والتابعين، وأن هذه الجذور ظهرت لها بعض سيقان عند بعض المفسرين ، حتى من غلب عليهم الاتجاه البيانى مثل الزمخشرى فى أوائل القرن السادس ، ثم آتى أولى ثماره الجنية عند الفخر الرازى فى أواخر ذلك القرن .

وأعطانا ابن سراقة قولين فى وجوه الإعجاز . اقتصر أولهما على الرياضيات وحدها ، واتسع الثانى بعض الاتساع فشمل علوما يشق حصرها . وفى القرن الخامس وصل الماوردي بالأمر إلى أقصى مداه ، فجعل القرآن جامعا لما لا يحيط به البشر من

العلوم . وكان هذا القول من الماوردي الأصل الذي فرع منه كل من رأى القرآن محيطا لكل شئ ، حتى وصل به إلى الإفراط في القول .

ولكن الطبيب الاسكندراني في القرن الثالث عشر/ التاسع عشر وأمثاله جعلوا وجه الإعجاز السبق العلمي للقرآن ، وعدوه نوعا من وجوه الإعجاز بالغيب .

وعدد مصطفى صادق الرافعي وجوه الإعجاز . فجعل أحدها اجتماع كل العلوم تحت قوله تعالى : ﴿في الآفاق وفي أنفسهم﴾ : وثانيها : خطأ الناس في بعض العصور في فهمه ثم تصحيح الفهم في عصور تالية ، وثالثها احتواء القرآن على ما احتوى عليه من علوم مع نزوله في بيئة يسود فيها الجهل ، ورابعها إيماؤه إلى ترقي الإنسانية ، وأن الدين سيكون عقليا ، وأن العقل آخر أنبياء الأرض . وأرى أن الوجه الأول عنده يؤول إلى الإيجاز ، فيندرج بذلك تحت الإعجاز البياني لا العلمي .

وأضاف عبدالرزاق نوفل إلى وجوه الإعجاز العلمي احتمال الآية أكثر من حقيقة ، وعبدالحليم كامل ثباته مع مسايرته الرقي العلمي ، وأحمد عز الدين خلف الله الطريقة التي لا تثير جدلا ولا اعتراضا والتي احتوى بها على العلوم . وكل هذه الوجوه تؤول

إلي الطريقة التي عبر بها عما حوى من علوم ، أي إلى الإعجاز البياني .

وانفرد محمد الصادق قمحاوى عن زملائه ، حين نقل عن القائلين بالإعجاز أن ليس المراد عندهم السبق وإنما لفت الأنظار للتدبر في صنع الله .

وأود هنا أن أشير إلى ما قاله أصحاب تفسير المنار والزرقاني من وجوه ، تحدثت عنها في فصل رفض التفسير العلمي .

وجعل عبدالعزيز اسماعيل الإعجاز العلمي وجه إعجاز للمتأخرين من العرب الذين يعجزون عن تقدير الإعجاز البياني ، وصلاح الدين خشبة لجميع شعوب العالم عربهم وعجمهم ، وحنفى أحمد لغير العرب بخاصة . وتلك لفتات طيبة منهم ، أكثرها توفيقا ما لصلاح الدين خشبة ، فإن الإشارات العلمية القرآنية لا تفقد صلاحيتها للإقناع عندما تخاطب العرب .

ووصف عبدالرزاق نوفل الإعجاز العلمي بالإعجاز الذي يخرس كل مكابر ، لعدم حاجته إلى دليل يبينه ، ومحمد أحمد الغمراوى بالإعجاز الذي يعجز الإلحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل ، ومحمد اسماعيل إبراهيم بالحقيقة الكبرى الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار عند من درسوا علوم

القرآن والعلوم الطبيعية والاجتماعية والنفسية . والأقوال الثلاثة تؤول إلى حقيقة واحدة .

وجعل عبدالرزاق نوفل الإعجاز العلمى من أهم وجوه الإعجاز، ورمى محمد جمال الدين الفندى من قصروا الإعجاز على البلاغة بالجهل بالقضايا العلمية . وعد السيد الجميلى الإعجاز العلمى لا يقل أهمية عن الإعجاز البيانى . واستبعده محمد الصادق قمحاوى من نطاق التحدى ، مع إيمانه به . واعتدل منصور حسب النبى فنادى بوجوب عدم قصر الإعجاز على البيانى وحده . وتجاوز عبدالعليم خضر كل حد حين صرح بأن فى كل حرف من حروف القرآن إعجازا .

وأعلن عبدالرحمن الكواكبى - الذى كان يهاجم الحكام المسلمين - أنهم لو منحوا العلماء حرية الرأى ، وفتحوا لهم ميدان العلم ، لأظهروا فى ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز، ولرأوا فيه كل يوم آية تتجدد - مع الزمان - تبرهن على إعجازه . وذهب مصطفى صادق الرافعى إلى أن القرآن معجزة التاريخ العربى ، بل معجزة الدهر ، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء الله. ووصف يعقوب يوسف تلك الظاهرة بالمهرجان الدائم من المعجزات . ووصفها محمد أحمد الغمراوى بأنها معجزة خالدة

متجددة ، يتبين للناس منها – على مر الدهور – وجوه لم تكن تبينت من قبل ، وتكسب الرسالة الإسلامية تجديدا مستمرا .

وذكر ابن سراقة واحدا من الظروف التى يجب أن تتوفر لتكون لهذه العلوم التى ضمها القرآن دلالتها المقنعة ، هذا الظرف هو عدم تلقى محمد – ﷺ – للعلم .

وخصص الماوردى العلم الذى لم يتلقه النبى بما أشار إليه القرآن من علوم . وأضاف إلى هذا ظرفين آخرين ، هما أمية محمد، وأمية العرب . وعلى الرغم من شيوع القول بأمية العرب فإننى لا أعدها محتمة ، وإنما هى أمر يؤكد أمية النبى – ﷺ .

ويماثلها ما أضافه القاضى عياض من جهل جميع البشر – عند نزول القرآن – لما ضمه من لفتات علمية .

وأضاف عبدالفتاح طبارة بُعد محمد – ﷺ – عن الحضارات الكائنة فى الأقطار المتاخمة لبلاد العرب ، ومحمد اسماعيل إبراهيم عدم أخذه عن أهل الكتاب . وقد شاع الحديث عن هذه الظروف بين الكتاب عن الإعجاز العلمى ، وبخاصة عن أمية محمد – ﷺ – يليها فى الشيوع أمية العرب .

ونص ابن سراقة على نتيجتين دلت عليهما الآيات العلمية ، أولاهما صدق محمد – ﷺ – ، وثانيتهما كون القرآن ليس من

تأليفه . وأهمل الماوردى الأولى . وحور الثانية فجعلها كون القرآن تنزيلا من الله .

وصرح الرازى بأن هذه الكونيات تؤدى إلى إزالة الشبهات عن الشاك ، وتقوية إيمان المؤمن ، وإثبات وجود الله ووحدانيته وقدرته وبقية صفاته ؛ وعبدالعزيز اسماعيل بأنها تؤدى إلى زيادة إيمان المؤمن ، ومحمد عبدالله دراز إلى الفضيلة وإيمان غير المؤمن ، والسيد الجميلى إلى إثبات صلاحية القرآن لكل زمان ومكان ؛ وجعلها حنفى أحمد وسيلة إلى نشر الدعوة الإسلامية .

وإذا تركنا الحديث عن الإعجاز العلمى ، وجدنا إجماعا من المسلمين – من أيد منهم التفسير العلمى ومن لم يؤيد – على وجود لفتات علمية فى القرآن ، وأنها لا تصادم الحقائق العلمية .

فذكر ابن أبى الفضل فى القرن الخامس أن القرآن حوى جميع ما وقع ويقع فى الكائنات ، والشربينى الخطيب فى القرن العاشر : لا نهاية لأسرار علوم القرآن ، وفى العصر الحديث الغازى أحمد مختار احتواء القرآن على ما لا تزال العلوم تحاول كشفه .

وبالغ عبدالرزاق نوفل حتى ذكر أن الدراسات أظهرت أن كل واحدة من آيات القرآن تتضمن علوما عدة . وجرى مجراه محمد

جمال الدين الفندى فذكر أن كل آية عبارة عن قانون طبيعى .
وسار سيرهما محمود أبو الفيض المنوفى . فذكر أن القرآن هو الموسوعة الكبرى لكل معرفة ومعتقد ، ومحمد اسماعيل إبراهيم فذكر أن الله وصف فى القرآن كل ما أبدعه من مخلوقاته . ووصل محمد وصفى إلى غاية بعيدة كل البعد حين ذكر أنه سيأتى يوم يبحث فيه العلماء عن بغيتهم فى القرآن ليصلوا إلى ما يريدون من علم طبيعى .

وعلى الرغم من ذلك ذكر أحمد شوقى إبراهيم أننا .. مهما أوتينا من علم - لن نستطيع أن نصل إلى كل ما فى النص القرآنى من علم .

وذكر عدنان زرزور أن ما أضافه القرآن من قضايا علمية ساعدت فى تطور العلوم ليس هو الجانب الأهم .

وعمد موريس بوكاى إلى الموازنة بين القرآن والتوراة والإنجيل فذكر أن القرآن يفوق زميليه فى كثرة القضايا العلمية وصحتها . فاحتذاه محمد اسماعيل إبراهيم ، مع التوسع والإبعاد ، فذكر أن فى القرآن من العلوم والمبادئ والآداب أضعاف أضعاف ما فيهما .

ولم يقنع المحدثون برصد ظاهرة احتواء القرآن على العلوم ، وحاولوا أن يدرسوا الجوانب المختلفة لها .

فأعلن عبدالرحمن الكواكبى : الإسلام أول دين حض على العلم ، وطنطاوى جوهرى : الإسلام دين العلوم والحكم ، وقد أوجب العلوم العقلية على الأمة ؛ ومحمد جمال الدين الفندى : الإسلام جدير بحق أن يسمى دين عصر العلم . وأحسب أن التوفيق خان الكواكبى فى قوله هذا ، فما أظن أن هناك دينا سماويا لا يحض على العلم .

كذلك التفت الكواكبى إلى دلالة الآية من سورة العلق – وهى أول آية فى النزول – على العلاقة الحميمة بين القرآن والعلم ، ودعوة إليه ، وتلاه طنطاوى جوهرى فى الالتفات إلي أن القرآن أقسم بالأجرام السماوية عشرين مرة إجلالا لها ، ثم عبدالرزاق نوفل فى الالتفات إلى القسم بأدوات الكتابة .

ونفى محمد بخيت المطيعى أن يوجد أى تعارض بين القرآن وعلم الفلك . ولم يكتف بذلك بل تجاوز رصد الظاهرة إلى تعليلها . فردها إلى أن القرآن لم يتعرض لمواضع الخلاف ، ولا لمذهب دون مذهب ، ولا للعلل التى تختلف باختلاف آلات الرصد واختلاف الأفهام ، وإنما اعتمد على ما يقول به الجميع ويصح أن يتفرع على كل المذاهب . أما عبدالعزيز إسماعيل فقد رد ذلك إلى صدور القرآن والسنن الطبيعية كليهما من الله . ولا شك أن تعليل المطيعى يدل على فطنة مرهفة .

وانتبه جماعة إلى آثار التقدم العلمى على ما بين القرآن والعلم. فذكر مصطفى صادق الرافعى أن العلوم كلما تقدمت ظهرت حقائق القرآن الطبيعية ناصعة ، وعبدالعزيز اسماعيل أنه كلما تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن ، وأن كل ما لا يتفق معه باطل ، وصلاح الدين خشبة أنه كلما اتسعت معلومات الإنسان وجد فى آيات القرآن معانى أعمق وأدق ، ومحمد الغزالى أنه كلما زادت معارفنا أحسسنا بعظمة المبدع ، ومحمد اسماعيل إبراهيم أن التقدم العلمى يكشف أن لآيات القرآن معانى أوسع ، وأشمل مما فهم العلماء السابقون منها ، وأن كل جديد يكتشفه العلماء يجدون القرآن قد سبق أن أشار إليه ، ومحمد وفا الأميري أن التقدم العلمى كشف عظمة القرآن .

وفطن الرافعى إلى أن العلوم تعين على حسن تفسير القرآن ، وحنفى أحمد إلى قلة ما عرفناه من معانى حديث القرآن عن الكائنات وأسباب تلك القلة ، ومحمد أحمد الغمراوى إلى أن نهج رجال العلوم البحتة شبيه بنهج رجال الدين فى الوصول إلى الحقائق ، وأن هذه العلوم تفسير عملى لآيات القرآن؛ وتصحيح القرآن لبعض ما وقع فيه فلكيو اليونان من أخطاء ، ومحمد الغزالى إلى أن كل عمل طيب مخلص يقوم به الإنسان هو صلاة

تصل ما بينه وبين الله ؛ وعبدالرزاق نوفل إلى إشادة القرآن بالعلم والعلماء ، ومظاهر ذلك فيه ؛ ومحمد جمال الدين الفندى إلى أن العلم صار لغة هذا العصر ووسيلة الإقناع فيه ؛ وموريس بوكاى إلى عدم وقوع القرآن فى أخطاء كانت شائعة ثم تبين عدم صحتها، وعدم اعتماد القرآن على التوراة ، والفروق بين القرآن والحديث ؛ ومحمد اسماعيل إبراهيم إلى أن علماء الفلك والطب أكثر الناس وأسبقهم إيمانا بالمبدع وعظمته ، ومصطفى الدباغ إلى أن القرآن لو كان من تأليف محمد - ﷺ - لما أقحم نفسه فى خضم الكونيات ؛ ومنصور حسب النبى إلى أن القرآن والعلم مرتبطان ارتباطا مصيريا .

وتعرض بعض العلماء لما قد يبدو بين القرآن والعلم من اختلاف . فأعلن محمد الغزالى أن ذلك الاختلاف ليس بين علم ودين ، بل بين دين وجهل أخذ سمة العلم ، أو بين علم ولغو لبس سمت العلم . واستقصى عبدالرزاق نوفل ما ظنه اسباب الإشاعة الرائجة عن التعارض بين القرآن والعلم . ورد محمد اسماعيل إبراهيم هذا الخلاف إلى أن القضية التى يقع فيها مثل هذا الاختلاف لم تصل بعد إلى مستوى مفهوم الآية ، ومحمد الصادق قمحاوى إلى أنها مازالت فى طور التجربة ولم تصل إلى أن تكون

علمية حقا ، وشوكت محمد عليان إلى العقيدة التى غلبت على الأوربيين فى القرنين ١٨ ، ١٩ ويوسف السويدى إلى أهواء رجال الدين ورجال العلم فى أوربا ومصالحهم المتضاربة ، وعدد أصناف من تبعهم فى الإيمان بوجود هذا النزاع . ورده محمد السيد أرناؤوط إلى الخلط الذى يقع فيه بعض العلماء بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية أو عدم الفهم الجيد للقرآن وأسراره .

وهنا يواجهنا السؤال الآتى : هل القرآن كتاب علم ؟

إن الاجماع تام بين المسلمين - وربما غير المسلمين أيضا - أنه كتاب دعوة وإرشاد وتشريع . ولكن ذلك لم يصد المفكرين عن محاولة الإجابة عن السؤال الذى قدمته .

وكانت إجابة عبدالعزيز اسماعيل صريحة باتة : إنه ليس كتاب أى علم من العلوم . وربما كان محمد عبدالعظيم الزرقانى يقصد تفسير هذا التصريح حين ذهب إلى مثل مذهب عبدالعزيز ، وقال : لأنه لم يقصد - من ذكر العلوم - أن يشرح حقيقة علمية ، ولا أن يحل مسألة ، ولا أن يزيد بابا ، ولا أن يدلل على نظرية ، ولا أن يقرر قانونا من القوانين العلمية . وأضاف يعقوب يوسف إلي تفسير الزرقانى أن القرآن لا يهدف إلى أن يزيد فى معارف

البشر النظرية . كذلك أعلن شوكت محمد عليان أن القرآن لا يدخل فى دائرة أى من علومنا وفنوننا .

ولكن غير هؤلاء شغلوا الطرف الآخر . فقال عبدالرزاق نوفل إن التقدم العلمى فى العصر الحديث أثبت أن القرآن كتاب علم . وشرح ذلك بأنه جمع أصول كل العلوم والحكمة ، ووجه النظر إلى كل مستحدث من العلم أو أشار إليه . وتبعه عبدالله النورى فأعلن أن القرآن كتاب علم ومعرفة شاملة . ووافقهما عدنان زرزور فى أن القرآن كتاب علمى ، غير أنه فسر هذا القول تفسيرا انفرد به ، إذ أعلن أنه يريد بذلك المناخ المشجع للتطور العلمى الذى أوجده القرآن .

ويتصل بذلك ما أعلنه محمد جمال الدين الفندى من أنه لا يدعى أن الكتب السماوية مراجع علمية بالمعنى المعروف ، تسوق الحقائق العلمية مفصلة كاملة . واتفق معه شوكت عليان الذى فرق بين مراجع العلوم الدينية ومراجع العلوم التجريبية .

وخالفهم محمود أبو الفيض المنوفى فعد القرآن مرجعا أعظم للعلوم والمعارف الطبيعية والروحية .

واعتدل السيد الجميلى ، فجعله مرجعا طبيا للفقهاء ، ومرجعا دينيا للأطباء .

وأجمعوا - أو كادوا - على أن القرآن لا يعنى بتفاصيل ما تحدث عنه من ظواهر طبيعية أو معظمها . واختلفت نظرات العلماء فى تفسير ذلك .

فقال محمد مصطفى المراغى : إن القرآن - بذلك - ترك الباب مفتوحا أمام العلماء ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا من العلم ، وعبدالحليم كامل : إن النبى - ﷺ - اكتفى بإبانة ما فى كتاب الله من الشرائع والشعائر وترك بقيته دون تفسير لتنكشف آياته مع الأيام فتكون معجزة للخلق ، ومحمد اسماعيل إبراهيم : إن النبى ﷺ لم يتعرض لهذه الآيات - التى كانت فوق مستوى عقولهم - لتفشى البداوة والجهل فيهم .

وحاول بعض العلماء أن يخمنوا ماذا كان يحدث لو صارح النبى - ﷺ - معاصريه بكنه ما يضمه القرآن من كونيات . فأعلن الغمراوى أنه لو فعل ذلك لكذبوه ، وامتنعوا عن الدخول في الإسلام ؛ ومحمد السيد أرناؤوط لتوقفت الدنيا عن التجدد كما أراد الله ، أو تجمد فهم القرآن .

واتفق مؤيدو التفسير العلمى على أن تفسير الآيات العلمية له جوانبه التى تختلف عما يحتاج إليه تفسير بقية آيات القرآن .

فذهب أبو حامد الغزالى إلى أنها يختص بإدراكها أهل الفهم،

والشربينى الخطيب إلى أن كل جيل يدرك منها أشياء لم يدركها من سبقهم ، وعبدالرحمن الكواكبى إلى أن ما خفى على القدماء إنما ستر عنهم ليكون معجزة جديدة كلما انكشف للأجيال المتوالية.

وانفرد محمد بخيت المطيعى بالقول بوضوح القرآن ، ومن ثم اضطر إلى أن يرد ما خفى على العرب إلى قصور عقولهم ، وأعلن أن كل إنسان يفهم منه ما يؤهله له استعداده وميوله .

وأرجع مصطفى صادق الرافعى هذا الخفاء إلى سببين : واحد يتفق معه فيه بقية العلماء وهو أمية العرب . وأما السبب الثانى : وهو أمية النبى - فلا دخل له فى هذا الخفاء .

وخالف عبدالعزيز اسماعيل المطيعى واعترف بأن هذه الآيات كانت صعبة الفهم على العرب وقت نزولها ، ومازالت على صعوبتها إلا على من درسوا العلوم الحديثة ، لأنهم - وحدهم - الذين يفهمونها . وعلى الرغم من ذلك فإن الناس - قديما وحديثا- فهموها على نحو ما ، لأن القرآن يخاطب الناس على قدر عقولهم.

واتفق حنفى أحمد مع عبدالعزيز اسماعيل على نحو ما . فرأى أن هذه الآيات موجهة إلى أهل النظر والبحث ، لأنهم - وحدهم - القادرون على إدراكها ولعله كان يعلل قول عبدالعزيز الثانى

حين قال إن هذه الآيات لها معان ظاهرة يستطيع الشخص العادى أن يفهمها لوضوحها ، ومعان أخرى دقيقة لا يدركها إلا العلماء .

وسار فى ركبهم محمد اسماعيل إبراهيم الذى أعلن أن السلف لم يفهموها على وجهها العلمى ، لأنها كانت فوق مستوى عقولهم ، بسبب تفشى البداوة والجهل ، وإنما فهموها فهما دينيا رائقا .

واتجه حسين فؤاد طلبة وشوكت محمد عليان اتجاها آخر . فصرح أولهما أن الناس - وقت نزولها - لم ينتبهوا إلى مدلولها العلمى ، وثانيهما أنهم لم يجدوا حافزا للبحث فيها .

والتفت محمد محمد أبو شهبة إلى ما كان يحدث لو كان المسلمون فهموه واستفادوا منه ، فقال : لو كان هذا وقع لكان المسلمون أسبق الأمم إلى الكشوف العلمية والاختراع ، ولصاروا سادة الدنيا .

وعنى جماعة بالرد على خصوم التفسير العلمى . فصرح محمد الغزالى : لا يصدنك عن الحق وجود علماء ملحدين ، ولا يغض من العلوم أنها لم تهد بعض الملحدين .

ورد عبدالرزاق نوفل على من يقولون : إن القرآن كتاب دين وهداية فقط ، بأنه كتاب جمع ، وعلى من قالوا إنه ليس كتاب علم، بالاشارة إلى ما جاء فيه من حض على العلم وإشادة به ، وعلى من يخشون من وقوع المفسرين فى الخطأ ، بالقول بأن الخطأ سينسب إلى المفسر لا إلى القرآن .

وأعلن أحمد عبدالسلام الكردانى : إن الغيرة على القرآن لا تجوز الحيلولة دون إظهار الإعجاز العلمى .

وأحسن محمد اسماعيل إبراهيم الكشف عن طريقة القرآن فى عرض ما يعرض له من قضايا علمية ، منفردا بذلك . والتفت منصور حسب النبى إلى جانب آخر من جوانب هذه الطريقة ، وعده من بدائع إعجاز أسلوب القرآن . وقد التفت قبلهما - إلى تلك الطريقة : الزرقانى من الرافضين للتفسير العلمى ، وعدها واحدا من وجوه إعجاز القرآن . وواضح أن ما قاله الزرقانى وحسب النبى يجعل الإعجاز فى الوجوه البيانية .

وذكر الرازى أن الله أمر بالنظر والتأمل والتفكير ، وعبدالعزيز جاويش أنه لا يوجد كتاب سماوى يضارع القرآن فى الحث على النظر والتفكير ، وطنطاوى جوهرى أن الإسلام مدح العقل ،

ومحمد بخيت المطيعى أن القرآن حرر العقول من قيود التقليد ، وأوجب الاجتهاد .

وأخيرا نخرج من هذه الجولة بما يؤكد قول من قبلنا بأن أبا حامد الغزالى أفاض فى الحديث عما تضمنه القرآن من علوم . فقد وجدناه تعرض لها فى ثلاثة من كتبه التى وصلت إلينا ، دون أن نحاول الرجوع إلى بقية كتبه الكثيرة . ثم حذا حذوه فى الإكثار الطبيب الإسكندرانى وعبدالرزاق نوفل ومحمد جمال الدين الفندى وآخرون . وتجلى الفخر الرازى أول من اعتمد على الجدال العقلى فى الدفاع عن التفسير العلمى . وتأكدت لنا تخطئة نعيم الحمصى للرافعى فيما قاله عن ابن رشد ، وتبين وجه الصواب الذى فات الحمصى . كما اتضحت إجادة المطيعى وعبدالعزيز اسماعيل والفندى والغمراوى واعتدالهم النسبى ، ومبالغة محمد وصفى وعبدالرزاق نوفل ومحمود أبو الفيض المنوفى وإسرافهم . وانفرد ابن أبى الفضل فيما سرد ، وبدا يعقوب يوسف حائرا بين القبول والرفض . ويلفت النظر موقف موريس بوكاى الذى كاد يضعه فى صف المسلمين .

وأود - قبل أن أفرغ - أن أقدم ما يلى :

١ - أرى أن أبا حامد الغزالى لم يوفق فى بعض ما اعتمد

عليه ليدل على أن العلوم لا تخرج عن القرآن . فقد كانت النتائج عنده أوسع من المقدمات .

٢ - وأرى أن أبا حامد خلط بين ما لله وما للقرآن . فقد جعل القرآن محيطا بعلم الله أو كاد . والقرآن واحد من أفعال الله ، يمكن القول بأنه دال على الذات الإلاهية ، وعلى ما تتصف به من كمال الصفات ، أما الإحاطة بمدلول الصفات - ومنها العلم - فقول أرى أن فيه شططا .

ولا أستطيع أن أتفق مع ابن أبى الفضل المرسى فى أمرين أيضا :

١ - الإشادة بما ذكر القرآن من صناعات وآلات ومأكولات ومشروبات ... فإن ما أتى به المرسى أشبه بالقائمة المجردة التي لا تتحلى بأى جمال أدبى فضلا عن الإعجاز .

٢ - القول بأن الصحابة والتابعين أحاطوا بما فى القرآن من علوم ، ثم تقاصر الهمم بعدهم ، وتنوع العلوم وتفرقها بسبب ذلك التقاصر ، فإن ما حدث هو الأمر الطبيعى فى التطور العلمى ، إذ يبدأ العلم جملة ، ثم تشتق منه فروع ، بل ثم تشتق من الفروع نفسها فروع ، تصير - مع الزمن - علوما مستقلة . ويتعذر القول بأن القدماء كانوا يعرفونها فضلا عن الإحاطة بها .

الهوامش

(١) معترك ١/٢٢ . الإتقان ٢/١٤٩ . نظرات ١٥٦ . قمحاوى ١٢/٣ .

(٢) نفسها .

(٣) معترك ١/٢٢ . الاتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٢ .

(٤) معترك ١/٢٢ . الاتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٢ .

وانظر عتر ٣٨١ . الحمصى ٢٤٣ . حسب ٧ ، ٩ . الدباغ ٧٤ . أمير ١٣٣ . الظواهر ١١ – ٢.

(٥) الاتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٢ . وفى معترك ١/٢٢ : إن .... بدون واو .

وانظر الصابونى ١٢٥ أبو زهرة ٥٢٠ . بوكاى ١٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٧. الاستانبولى ٦ . الإشارات ٣ – ٤ ، ١٨. فودة ٢٤٣ . داود ٨٤ وكررها.

(٦) معترك ١/٢٢ . الإتقان ٢/١٤٩ . قمحاوى ٣/١٢ .

(٧) إعلام ١٧ . جواهر الغزالى ٢٦ . عياض ١/٥٣٦ . ابن القيم ٢٤٩ . معترك ١/١٤ . الحمصى ١٤٢ . محمد ٩٢ .

(٨) إعلام ١٧ . ولا يخلو كتاب فى الإعجاز العلمى من هذا القول ،

إن لم يكثر من ترديده وانظر مثلا الكواكبى ٤٤ . والمنار ٢١٢/١ . الزرقانى ١٨/١ - ٩ ، ٢٥١/٢ . حنفى ٣٧ . الحمصى ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٧٤ ، ٣٩٣ ، ٤٣٧ . الله لنوفل ١٣٨ . نظرات ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ - ٥. بين للغمراوى . بين لنوفل ١٧٦ ، الذهبى ٤٩٩ . الخطيب ٢٦/٢. عبدالحليم ١١-٣ . طبارة ٤٨ ، ٦٤ . القرآن للفندى ١٢ ، ١٦ ، ٥١ . أبو زهرة ٥٤ ، ٥٢٠ . الصابونى ١٢٥ . الرازى لمحسن ١٣٣ . الغمراوى ف ٢٢١ . الكردانى ٨ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . شوقى ٧ . عبدالقادر ٩٢ . الاستانبولى ٦ ، ٨ . الجبرى ٣٦ . محمد اسماعيل ٥١، ٥٥ ، ١٦٥ . الإشارات ٤ ، ١٩ . شوقى ٦ ، ٧ . قمحاوى ١٢/٣ . حسب ٦ ، ٩ . الأميرى ٥٢ . الشاعر ١١٩ . فودة ٢٤٣ . الدباغ ٧٤ ، ١١١ - ٢. أمير ١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٤٣ . داود ٨٢ . الظواهر ١٢ . الكومى ٢٢ .

(٩) إعلام ١٧ . عياض ٥٣٦/١ . نظرات ١٥٦ . بوكاى ١٤٥ . محمد اسماعيل ٥٥ . أمير ١٣٣ . داود ٨٢ . الظواهر ١٢ .

(١٠) إعلام ١٧ .

(١١) إعلام ١٧ . ولا يكاد يخلو كتاب فى الإعجاز عامة والعلمى خاصة من هذا القول . انظر مثلا : الرافعى ١٣٢ . الزرقانى ١٩/١ ، ٢٣٨/٢ . الحمصى ١٩١ ، ٢٤٢ - ٣ ، ٢٥٣ . فقيهى ١٨٩ . محمد

لنوفل ٩٢ . عرجون ٢٦٠ - ١ ، ٢٧٥ . طبارة ٤٨ ، ٦١ . أبو زهرة ٥٢٠ . الصابونى ١٢٥ . عطا ٢٣٦ . الاستانبولى ٦ . محمد اسماعيل ٥٥ ، ١٦٥ . الجميلى ١٨ . شبهات ١١٥ - ٦. الإشارات ١٨ . الأميرى ٥٢ . فودة ٢٣٩ . أمير ١٣٣ . داود ٨٢ ، ١٣٣ . الظواهر ١٢ .

(١٢) إعلام ١٧ . ولقى هذا القول بعض الترديد . أنظر مثلا : الرافعى ١٣٢ . الزرقانى ١٩/١ ، ٢٣٨/٢ . الحمصى ٢٥٠ . طبارة ٤٨ . الصابونى ١٢٥ . محمد إسماعيل ٤ . الأميرى ٥٢ . فودة ٢٣٩ - ٤٠ . أمير ١٣٣ . داود ١٣٣ .

(١٣) إعلام ١٧ . محمد لنوفل ٩٢ . عرجون ٢٦١ . الصابونى ١٢٥. أبو زهرة ٥٢٠ . عطا ٢٣٦ . محمد اسماعيل ١٦٥ . حسب ٩ . أمير ١٣٣ .

(١٤) إعلام ١٧ . الحمصى ٢٤٢ - ٣ . عرجون ٢٦١ . طبارة ٤٨ . محمد اسماعيل ٥٥ ، ١٦٥ . قمحاوى ١٢/٣ . حسب ٩ . أمير ١٣٣ . داود ٨٢ . الظواهر ١٢ .

(١٥) إعلام ١٧ . وانظر بشأن دلالة الكونيات على الإعجاز عند المحدثين مثلا : الكواكبى ٤٤ . المنار ٢٠٨/١ ، ٢١٢ . الرافعى ١٤٨ . الزرقانى ٢٧٨/٢ . خشبة ٣ . حنفى ٥ ، ١٧ . الحمصى ٤٢ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ - ٥ ، ١٢٦ - ٨ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ،

٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ – ٢ ، ٢٩٤ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ – ٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٣٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ . نظرات ١٣٢ . فقيهى ١٩٠ . بين لنوفل ١٥٢ ، ١٧٥ – ٦ ، ١٩٦ . القرآن لنوفل ٦ ، ٢٣ ، ٢٦ . الذهبى ٢/٤٩٨ . محمد لنوفل ٨٨ – ٩ ، ٩١ . الخطيب ١/٢٧ . عبدالحليم ١٢ – ٣. عرجون ١٤١ ، ٢٣٦ . طبارة ٤٨ . القرآن للفندى ١٦ ، ٤٧ . روائع ٥ . يعقوب ٦ ، ٩ . الصابونى ١٢٥ . الرازى لمحسن ٢٣٣ . الغمراوى س ، ص ، ف ، ٢٢١ – ٢ ، ٢٦٧ . الصباغ ٢٠٣ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . عبدالقادر ٩٢ ، ١٠٥ . عطا ٢٣٥ – ٧ ، ٢٥٥ – ٦٣. الاستانبولى ٥ – ٦ ، ٨ . محمد إسماعيل ٤ ، ٦ ، ٥٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ . خلف ٢٥٣ – ٤ . الجميلى ١١ ، ٢٠. منير ٤٣ . شبهات ١١١ . الإشارات ٤ ، ١٢ ، ١٨ ، ٨٠ . شوقي ٦ . حمزة ٣ . على ٥ . دياب ١١ – ٢ . شحاتة ١٦٥ . شوكت ٥٣ . حسب ٥ – ٩ . الأميرى ٥٢ – ٣ . الشاعر ١٠١ ، ١٠٣ . فودة ٢٤٣ – ٤ ، ٢٥١ . داود ٨٢. الجندى ٢٩ – ٣٠ . الكونية ٢٠ . الظواهر ١٢ . الحواس ٨ . الرياضيات ٨ . أرناؤوط ٦٤ – ٥ . المحجرى ٨ .

(١٦) ٨ . الذهبى ٢/٤٧٥ .

(١٧) ٢٦ . الذهبى ٢/٤٧٥ – ٦. الرازى لمحسن ٢٧٨ . وانظر : تنبيه المطيعى ٧ .

(١٨) ٢٦ . الذهبى ٢/٤٧٦ . الرازى ٢٧٨ . تنبيه ٧ .

(١٩) سورة الشعراء ٨٠ .

(٢٠) ٢٦ . الذهبى ٢/٤٧٦ . عرجون ٢٥٦ .

(٢١) إحياء ٣/١٣٥ . الشربينى ١/٢ . حنفى ٢٨ . الحمصى ١٧٢ . الذهبى ٢/٤٧٥ . فاضل ٣٠١ .

(٢٢) دائرة ٥/٣٥٧ . الذهبى ٢/٤٧٤ . الرياضيات ٩ .

(٢٣) فكرة ٩٢ ، ٩٩ .

(٢٤) الشفا ١/٥٣٦ . وانظر بشأن جهل العرب بتلك العلوم : ابن القيم ٢٤٩ . المنار ١/٢١٠ ، ٢١٢ - ٣ . الزرقانى ١/١٩ . الحمصى ٩٢ . طبارة ٤٨ . القرآن للفندى ٤٧ . الصابونى ١٢٥ . أبو زهرة ٥٢٠ . الاستانبولى ٦ . بوكاى ١٤٥ . محمد اسماعيل ٤ . السويدى ٥ .

(٢٥) الشفا ١/٥٣٦ . معترك ١/١٤ . الإتقان ٢/١٤٢ . نظرات ١٥٦ .

(٢٦) إعجاز ٢٩٩ . الحمصى ٩٨ .

(٢٧) فكرة ٩٨ .

(٢٨) فصل ٢٢ .

(٢٩) مفاتيح ١٤ / ١٢١ . توفيق ٢٥٠ .

(٣٠) مفاتيح ١٤/١٢١ . المنار ١/٢١٢ . توفيق ٢٥٠ . حنفى ٥ ، ٣٤ . الخطيب ١/٢٦ . عرجون ٢٧٤ . محمد اسماعيل ٥١ .

(٣١) مفاتيح ١٤/١٢١ . المنار ١/٢١٢ . توفيق ٢٥٠ . الرافعي ١٤٨ - ٩ . ضو ١٣ . حنفي ٥ ، ٣٤ ، ٣٦ - ٩ ، ٤١ . الحمصي ٢١١ . نظرات ١٢٩ . القرآن لنوفل ٦ . الخطيب ١/٢٦ . عرجون ٢٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٣٦٨ . القرآن للفندي ١٦ ، ٣٠ . يعقوب ٩ . الرازي لمحسن ٢٥٧ ، ٢٦٢ . الإسلام للغمراوي ٢٤٥ ، ٣٦٧ . عتر ٣٧٨ . بوكاي ١٤٦ . محمد اسماعيل ٤٩ . خلف ٢٥٢ . الإشارات ١٢، ٨٠ . شبهات ١١٢ . فاضل ٣٢٠ . طلبة ١٢٣ . دياب ١٢. السويدي ٦، ٧ ، ١٦ ، ٣٥ . شحاتة ١٦٦ . حسب ٥ . الشاعر ١١٤ . فودة ٢٤٤ ، ٢٤٨ - ٩ ، ٢٥١ . منهج ٢٠٣ . الظواهر ١٠ . حواس الإنسان ١٢ ، ٢٤ . الكومي ٢٢ . والحق إنه يتعذر تتبع الإشارة إلى دلالة الكونيات على كل واحدة من صفات الله .

(٣٢) مفاتيح ١٤ / ١٢١ . المنار ١/٢١٢ . توفيق ٢٥٠ . حنفي ٥ ، ٣٤ . الحمصي ٢١٩ . الخطيب ١/٢٦ . عرجون ٢٦٥ ، ٢٧٤ . الإسلام للغمراوي ٢٤٥ ، ٣٦٧ . محمد اسماعيل ١٦٤ . الإشارات ٢٣ ، ٢٤ . شبهات ١١٢ .

(٣٣) مفاتيح ١٤ /١٢١ . توفيق ٢٥٠ ، ٢٥٥ . الاستانبولي ٩. منهج ٢٠١ . وانظر بشأن الدعوة إلى البحث : التاج ١٠٠ . جاويش ١/٧٢ . تنبيه ٢٣ . الرافعي ١٢٧ . العدوي ٩ . شلتوت ٥٨١ . السيد

١٧ . عبدالحليم ١٣ . الله والكون ٥٥ . الإشارات ٧٦ . دياب ١١ . السويدى ٣٧ . شحاتة ١٥٨ . شوكت ٨٧ . حسب ٥ . النصيرات ٧ . فودة ٢٤٨ . الكونية ٢١ ، ٢٢ . أرناؤوط ٤٥ .

(٣٤) مفاتيح ١٤/١٢١ . توفيق ٢٥٠ ، ٢٥٥ . الاستانبولى ٩ . منهج ٢٠١ - ٣ . وانظر بشأن الدعوة إلي التأمل : جاويش ١/٣٠ . شلتوت ٥٨١ . دراز ١٧٥ . حنفى ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٦ . الحمصى ٤٣٥ ، ٤٣٧ . نظرات ١٢٩ . السيد ١٥ . يعقوب ١٥ ، ٩٥ . محمد اسماعيل ٥٠ ، ١٦٤ . فاضل ٣٢٠ . دياب ١١ . صالحة ٨٤ . أرناؤوط ٤٥ .

(٣٥) سورة ق ٦ .

(٣٦) مفاتيح ١٤ /١٢١ . توفيق ٢٥١ . منهج ٢٠٢ .

(٣٧) سورة غافر ٥٧ .

(٣٨) سورة الذاريات ٢١ .

(٣٩) مفاتيح ١٤ /١٢١ . توفيق ٢٥١ .

(٤٠) سورة آل عمران ١٩١ .

(٤١) مفاتيح ١٤/١٢١ . توفيق ٢٥٠ .

وقد ردد كل من كتب عن الآيات الكونية - مؤيدا التفسير العلمى أو رافضا - فكرة حث القرآن على التفكير . انظر مثلا : الكواكبى ١٣٧ .

التاج ٩٣ ، ١٠٢ . جاويش ٧٢/١. تنبيه ٦ ، ١٠ . توفيق ٢٢٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ . القرآن لطنطاوى ٢٦ . على فكرى ١٤/١ - ٥ . كتاب التفكير فريضة إسلامية للعقاد . حنفى ٦ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٤ . الحمصى ٢٠٩ . نظرات ١٢٩ . السيد ١٤ . بين الدين والعلم لنوفل ١٦٤ - ٥ . عرجون ٢٣٠ . قصة ٤ . الاستانبولى ٩ . محمد إسماعيل ٥٠ . شبهات ١١٢ . الإشارات ٧٦ . شوقى ٨ . حمزة ٥ ، ٧٩ . فاضل ٣٠٤ - ٥ . البار ٧ . دياب ٩ . السويدى ٧ ، ٣٧ . زرزور ٢٧ . شحاتة ١٥٨ . شوكت ١٠. حسب ٧ . الشاعر ١١٤ . فودة ٢٤٨ . الجندى ٣١ . الظواهر ١٣. حواس ١٢ . منهج ٢٠٠ ، ٢٠٢ -٣ .

(٤٢) مفاتيح ١٢١/١٤ .

(٤٣) مفاتيح ١٤ / ١٢١ . أبو زهرة ٥١٩ .

وطبيعى أن هذه الفكرة ترددت فى كتابات التفسير العلمى . انظر مثلا : جاويش ٧٢/١ . توفيق ٢٥٤ ، ٢٥٩ . الزرقانى ٢٥١/٢ . دراز ١٧٥ . حنفى ١ ، ٥ ، ١١ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ . الله لنوفل ٦ ، ٧ ، ١٥ - ٧ ، ١٩ - ٢٠ ، ٥٧ ، ١٣٥ ، ١٣٨ - ٩ . الإسلام لنوفل ١٠ ، ١٤ . بين للغمراوى ٢٧ - ٣٧ . السيد ٢٥ . القرآن لنوفل ٦ . عرجون ٢٧١ ، ٢٧٤ . طبارة ٦٥ ، ٦٧ . الغمراوى ٥٢ ، ٢٤٥ ، ٣٦٧ ، عتر ٣٧٨ . عطا ٢٣٦ . الله للفندى ٥٣ . خلف ٢٥٢ . شبهات ١١٢ .

الإشارات ١٢ . دياب ٩ ، ١٢. السويدى ١٦ ، ٣٥ . شوكت ١٠ . حسب ٥ ، ٧ ، ١٣ . النصيرات ٧ . الجندى ٣١ . منهج ٢٠٢ – ٣ .

(٤٤) مفاتيح ١٤/١٢١ – ٢. الرافعى ١٤٥ . العدوى ٢ . عبدالعزيز ٢ . ضو ٤٢ – ٣ . حنفى ٣٢ . الحمصى ٢٠٩ ، ٢١٥ . الله لنوفل ٥٧. القرآن لنوفل ٦ . قصة ٤ . شوقى ٦ . فاضل ٣١٥ ، ٣٢٠ . سليمان ١٠ . على ٥ . السويدى ٦ ، ٧ ، ١٦ . حسب ٧ . شوكت ٨٧ . داود ٤٨ .

(٤٥) مفاتيح ١٤/١٢٢ . بين للغمراوى ٣٤ . السويدى ٦ ، ٧ .

(٤٦) مفاتيح ١٤/١٢٢ .

(٤٧) الرازى ٢٣٣ .

(٤٨) التاج ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٢ . القرآن لطنطاوى ٢٦ . على فكرى ١٤/١ . حنفى ٥ . السيد ١٥ . عرجون ٢٦٧ . الإشارات ٧٦ . الجندى ٣٠ – ٢ . حواس ١٢ . منهج ٢٠٣ .

(٤٩) شوكت ١٠ ، ١١ . منهج ٢٠٢ – ٣ .

(٥٠) الرافعى ١٤٧ . خشبة ٣ ، ١١ . الحمصى ٢١٩ . الله لنوفل ١٣٨ – ٩ . نظرات ١٢٩ . السيد ٢٥ . عرجون ٢٦٥ ، ٢٧٥ – ٦ . الغمراوى ٥٣ ، ٢٤٥ . عتر ٣٧٨ . محمد اسماعيل ٤٩ . خلف ٢٥٢ . الإشارات ١٢ ، ٨٠ . طلبة ١٢٣ . دياب ١٢ . السويدى ٦ ، ٧ ، ٣٥ .

شـوكت ١١ ، ٢٨ - ٩ . سـليـمـان ١٠ . الشـاعـر ١١٤ . آفـاق ٤ .
هـنـدسـة ١١ . الظـواهـر ١٠ . حـواس ١٢ . الرياضـيـات ٤ .
منـهج ٢٠٣ .

(٥١) جـاويش ١/٧٢ . الله لنوفل ١٧ - ٢٠ . بين للغـمـراوى ١٤ ،
٣٧ - ٤٤ . عرجون ٢٧٤ . طبارة ٩٦ - ٧٠ . الإسلام للغمراوى ٤٩ ،
٥٢ ، ٢٤٥ ، ٣٦٧ . أبـو شـهـبـة ١١ . عـتـر ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٣٧٨ .
عطا ٢٣٦ ، ٢٥٨ . خلف ٢٥٢ . الحـسـيني ١٧ ، ١٢٦ . شـوكت ١٠ ،
١١ . حـسب ٥ ، ٧ ، ٣٧ . أبو عـلى ٣٦ . الكومى ٢٢ . وغـيـرها .
منهج ٢٠٣ .

(٥٢) الحـمـصى ٢١١ . أبو شـهبة ١١ . الإشـارات ٢٩ . البار ٨ .
منهج ٢٠٣ .

(٥٣) المنار ١/٢١٢ . والسـيد ٢٥ . عرجون ٢٦٥ . القرآن للفندى
٣٠ . الاستانبولى ٦ . منهج ٢٠٣ .

(٥٤) نظرات ١٣٠ .

(٥٥) معترك ١/١٧ . الإتقان ٢/١٤٧ . الإكليل ٦ . الآلوسى ١٤/
٢١٦ . الذهبى ٢/٤٧٨ . عـرجـون ٢٥٥ . عطا ٢٥٩ . عـبدالقـادر ٨٨ .
فاضل ٣٠٢ . قمحاوى ٣/٦. الرياضيات ٩ .

(٥٦) مـعـتـرك ١/١٧ . الإتقـان ٢/١٤٧ . الإكليل ٦ . الآلوسى

٢١٦/١٤ . الذهبى ٤٧٨/٢ – ٩ . عطا ٢٥٩ . عبدالقادر ٨٨ . قمحاوى ٦/٣ .

(٥٧) معترك ١٧/١ . الإتقان ١٤٧/٢ . الإكليل ٧ – ٩ . الرافعى ١٢٩ – ٣٢ . الذهبى ٤٧٩/٢ – ٨١ . عرجون ٢٥٥ . عطا ٢٥٩ . عبدالقادر ٨٨ – ٩١ . فاضل ٣٠٢ –٣ . قمحاوى ٦/٣ – ١١ . الرياضيات ٩ .

(٥٨) سورة الأعراف ٢٢ وطه ١٢١ .

(٥٩) سورة سبأ ١٠ .

(٦٠) معترك ٢١/١ – ٢ . الإتقان ١٤٩/٢ . الإكليل ٩ . الذهبى ٤٨٢/٢ – ٣ . عرجون ٢٥٥ – ٦ . عبدالقادر ٩١ . فاضل ٣٠٣ . قمحاوى ١١/٣ – ٢ . أبو على ٣٤ .

(٦١) معترك ٢٢/١ . الإتقان ١٤٩/٢ . الإكليل ٩ . الذهبى ٤٧٤/٢ ، ٤٨٢ . عرجون ٢٥٦ . قمحاوى ٣ /١٢ . عطا ٢٥٨ . فاضل ٢٠١ . أرناؤوط ٧ ، ٥٩ .

(٦٢) نفسها .

(٦٣) السراج ٢/١ . الحمصى ١٧٢ – ٣ .

(٦٤) السراج ٢/١ . الكواكبى ٤٤ . الحمصى ١٧٣ . بين لنوفل ١٧٥ . يعقوب ١٠ .

(٦٥) الحمصى ١٩١ .

(٦٦) الحمصى ١٩٢ .

(٦٧) نفسه .

(٦٨) نفسه .

(٦٩) الحمصى ٢١٠ . وانظر السعدى ٢٨ . أبو زهرة ٥٢٣ – محمد إسماعيل ٥٥ .

(٧٠) الحمصى ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٣١١ . وانظر الكواكبى ٤٤ . التاج ٨٨ . المنار ١/٢٠٧ ، ٢١٠ . تنبيه ٤ ، ٧ ، ٨ . الله لنوفل ٦ . القرآن ٦، ٢٣ ، ٢٦ . بين لنوفل ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٩٦ . محمد لنوفل ٩١ . الخطيب ١/٢٨ . عطا ٢٥٨ . خلف ٢٥٤ . سلطان ٤٣ – ٤. شبهات ٢٨ . الإشارات ٤ . حمزة ٣ . زرزور ٢٦ . الأميرى ٥٢ . أمير ١٣٣ .

(٧١) الحمصى ٢٣١ – ٣ ، ٣١٧ . وانظر : الرافعي ١٤٢ ، ١٤٥ . عبدالعزيز ١١٥ . الإسلام لنوفل ١٤ . المقدم ٥ . حنفى ٦ ، ٧ . بين للغمراوى ٢٥ ، ٥١ – ٢ . القرآن ٢٣ ، ٢٦ . بين لنوفل ٢٣ ، ١٤٣ ، ١٩٦ . محمد لنوفل ٩١ . الذهبى ٢/٤٩٩ ، ٥٠١ – ٢ . طبارة ١٠٤٨ . الصباغ ٢٠٣ . عتر ٣٧٨ . عبدالقادر ٩٣ . الاستانبولى ٦ . محمد اسماعيل ٦. خلف ٢٥٤ . سلطان ٤٣ – ٤. الإشارات ٤ . فاضل ٣١٥.

دياب ٩ - ١٠ . زرزور ٢٦ . شحاتة ١٦١ . شوكت ٥٦ . حسب ٦ . الدباغ ١١١ .

(٧٢) الحمصى ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٧٤ . وانظر : الكواكبى ٤٤ . تنبيه ٢٤ . الزرقانى ٢٧٨/٢ . ضو ١٣ . القرآن لنوفل ٦ ، ٢٦ . بين لنوفل ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ، ١٧٥ . محمد لنوفل ٨٩ ، ٩١. الذهبى ٥٠٢/٢ . طبارة ٤٨ ، ٦١ . القرآن للفندى ٤٧ ، ٥٠ . الصابونى ١٢٤ - ٥ . أبو زهرة ٥٢٣ . المنوفى ٨ . الغمراوى ٢٦٧ . الصباغ ٢٠٣ . الكردانى ٩ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . عبدالقادر ٩٣ . الاستانبولى ٦ . بوكاى ١٤٦ . محمد إسماعيل ٦ . خلف ٢٥٤ . سلطان ٤٣ - ٤ . فاضل ٣١٥ . الأميرى ٥٣ . النصيرات ٧ . الدباغ ١١١ . أمير ١٣٣ . داود ٨٠ ، ٨٢ . العفيفى ٨ .

(٧٣) الحمصى ٢١٠ ، ٣٩٠ . وانظر الكواكبى ٤٦ . المنار ٢١٠/١. الزرقانى ٢٧٨/٢ . القرآن للفندى ٤٧ . الغمراوى س ، ص ٢٦٧ . الكونية ٢٠ .

(٧٤) الحمصى ٢١١ - ٢ .

(٧٥) على فكرى ١٥/١ . وانظر : الرافعى ١٣٢ . حنفى ٥ ، ٦ ، ٣٧ . بوكاى ١٤٦ . الإشارات ٧٩ .

(٧٦) روح ١٤٤/٧ ، ٢١٥/١٤ . عبدالعزيز ١ . على فكرى ٧/١.

(٧٧) روح ٧/١٤٤ . فاضل ٣٠٢ .

(٧٨) روح ٧/١٤٤ . المنار ٧/٣٩٥ .

(٧٩) روح ٧/١٤٤ – ٥ .

(٨٠) روح ١٤/٢١٦ .

(٨١) الآلوسى ٣١٠ .

(٨٢) روح ٢٩ / ٩.

(٨٣) طبائع ٥٣ . التاج ٤٥ ، ١٠١ –٢ ، ١٦٦ – ٧٠ . تنبيه ٢٤ . القرآن لطنطاوى ٢٧ ، ٧٤ . الرافعى ١٢٧ . الزرقانى ١/١٨ ، ٢ / ٢٥٣ . خشبة ١١ . الحمصى ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ . التفكير ٦٠. كتاب الإسلام والعلم لنوفل . القرآن لنوفل ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ . بين لنوفل ١٦. . عبدالحليم ١٣ . عرجون ٢٦٧ . القرآن للفندى ٧ ، ١٨ . روائع ٤، ١٠٤ . المنوفى ١٦ . الغمراوى ط ، ٣١ . الاستانبولى ٩ . الله والكون ٦، ٥٥ . بوكاى ١٤ ، ١٤٠ . محمد اسماعيل ٥ ، ٢٨ ، ١٦٦ . خلف ٢٥٣ . الجميلى ١١ . سلطان ٤٤ . الإشارات ٧٦ . حمزة ٥ . فاضل ٣٠٤ – ٥ ، ٣٢٠ . على ٦ . دياب ٩ . السويدى ٧ ، ٨ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ١٠٠ . زرزور ٢٧ . شحاتة ١٥٧ . شوكت ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢. حسب ٥. النصيرات ٧ ، ٢٩٧. العلم لسليمان ١٠ . العلم لسليمان ١٠ – ٢ . الشاعر ١١٢ – ٣ ، ١١٥ . الإنسان ٥ . صالحة ١٠٨ .

الجـنـدى ٣٠ ، ٣٢ . الكـونيـة ٢٠ – ١ . الظـواهر ١٣ . الرياضـيات ٧ – ٨ . أرناؤوط ٣٤ .

(٨٤) طبائع ٥٣ . القرآن لنوفل ٢٣ . القرآن للفندى ١٨ ، ٥٢ . الله والكون ٦ . العلم لسليمـان ١٠ . فـاضل ٣٠٥ . زرزور ٢٧ . شـحـاتة ١٥٧. الجندى ٣١ . الكونية ٢٠. الرياضيات ٢٠ . الفكرى للجميلى ١١.

(٨٥) طبائع ٤٤ .

(٨٦) طبائع ٤٤ . الذهبى ٢/٩٩ .

(٨٧) طبـائع ٤٦ . الرافـعى ١٤٨ . عبـدالعـزيز ١١٤ – ٥ . القـرآن لنوفل ٣٠ . مـحمد ٨٩ . القرآن للفندى ٩ ، ٣٠ . يعقـوب ٦ ، ٩ . عتـر ٣٧٨ . عطا ٢٣٥ . مـحـمـد اسمـاعيل ٤ ، ٤٩ ، ١٦٦ . سلطان ٤٤ . الإشارات ١٢ ، ١٨ . السويدى ٦ . الأميرى ٥٤ . حواس ٨ .

(٨٨) إعجاز ١٤٦ . التفسير ٧ .

(٨٩) الرافعى ١٤٥ . المقدم ٥ . نظرات ١٣٤ ، ١٣٩ . مـحمد ٩١ . طبـارة ٩٦ . المنوفى ٩ . أبو شـهبة ١٢ . الصبـاغ ٢٠٣ . عتـر ٣٧٨ ، ٣٨١ . عـبدالقـادر ٩٣ . الاسـتـانبـولى ٦ . حـمزة ٣ . علـى ٥ . الدباغ ١١١٠ . داود ٨٢ . الظواهر ١٢ . حواس ٨ .

(٩٠) الرافعى ١٤٦. بين لنوفل ١٧٢، ١٩٦. الكردانى٩. حواس ٨ .

(٩١) تفسير أسرار ٧٢/١ . محمد اسمـاعيل ٤٩ – ٥٠ . شوكت ١٠ – ١ .

(٩٢) التاج ١٠١ . وانظر : تنبيه ٢٤ . القرآن للفندى ٧ . روائع ٤. الغمراوى ط . الله والكون ٦ . سليمان ١٠ .

(٩٣) التاج ٩٣ .

(٩٤) التاج ١٠٢ ، ١٦٦ - ٧٠ . قصة ٣ . الطب لسليمان ١٢ . الأهرام ١٨ - ٣ - ١٩٩١ .

(٩٥) التاج ٩٣ . ١٠٢ . القرآن ٢٦ . وانظر جاويش ٧٢/١ . توفيق ٢٥١ ، ٢٥٨ . الرافعي ١٢٧ . شلتوت ٥٨١ . حنفى ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ - ٤ ، ٣٤ ، ٣٦ . الحمصى ٢١٩ . نظرات ١٣٠ . السيد ١٤ - ٧ . القرآن لنوفل ٢٤ . بين لنوفل ١٦٢ . وجدى ٣٥ . عرجون ٢٧٥ - ٦ . يعقوب ١٠١٥ . أبو شهبة ١٠ - ١. الكردانى ٣ . الاستانبولى ٩ . محمد اسماعيل ٥٠ ، ١٦٤ . سلطان ٤٤ . شبهات ١١٢ . شوكت ١٠ ، ١١ ، ٨٧ . البار ٧ . دياب ١١ . السويدى ٧ ، ٣٧ . زرزور ٢٧ . شحاتة ١٥٨ . حسب ٥ . الشاعر ١١٤ . فودة ٢٤٨ . آفاق ٤ . الكونية ٢٢ . الرياضيات ٨ . أرناؤوط ٣ ، ٤٥ . منهج ٢٠٠ - ١ .

(٩٦) التاج ١٠٢ . وانظر بين لنوفل ١٦٢ - ٣.

(٩٧) التاج ٩٦ - ٧ . الغمراوى ٢٣٣ - ٥ .

(٩٨) التاج ٩٦ - ٧ ، ١٠٠ . الغمراوى ٢٣٣ . آفاق ٤ . أرناؤوط ٣٤ .

(٩٩) التـاج ٩٢ . وانظر بين للغـمـراوى ١٩ . زرزور ٢٦ . شـوكت ٢٧. سليمان ١٢ . الشاعرة ١١ . السويدى ١٦ .

(١٠٠) سورة فاطر ٢٨ .

(١٠١) التاج ٩٢ .

(١٠٢) فكرة ٢٢٤ . عبدالعزيز ١٥ . الحمصى ٢٢٤ ، ٣١١ ، ٣٩٠، ٤٣٦ . السـيـد ٣٣ . عبـدالحليم ١٦ . عـرجـون ٢٣٥ ، ٢٧٤ . محـمـد اسـمـاعـيل ٤٩ . شـبـهـات ١١١ . دياب ١٢ . الحسـينى ٢٥ ، ١٢٥ . شعبان ٣٣٣ . فودة ٢٤٤ .

(١٠٣) تنبيه ٤ ، ٧ ، ٨ .

(١٠٤) تنبيه ٧ . يعقوب ١٢ . الغمراوى ٢٢٢ . الكردانى ٤ ، ١٤ . وغيرهما . شوقى ٧ ، ٩ . السويدى ٥ . المحجرى ١٧ .

(١٠٥) تنبيه ٧ .

(١٠٦) تنبيـه ٨١ . توفـيق ٢٥٠ . وطبـيـعى أن يسـود القـول بعـدم الاختلاف بين القرآن والعلوم عامة كل الكتابات مؤيدة ومعارضة ، أنظر مـثـلا : العدوى ٩ . شلتـوت ٥٨١ . دراز ١٧٦ . حنفى ١٧ . الحـمـصى ٢٤٣ - ٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧ ، ٣٣٨ ، ٤٣٧ . نظـرات ١٣١ . الإســلام لنوفل ٥ ، ٦٩ . بين لنوفل ١٤٦ . عـرجـون ٢٣٨ . الصـابونى ١٢٤ . يعقوب ١٣ . المنوفى ٤ ، ٣٠ . الرازى لمحسن ٢٣٣ . الغمراوى

س ، ٣٣ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ . الكردانى ١٤ . عتر ٢٧٥ ، ٣٧٨ . عبدالقادر ٩٣ . بوكاى ١٣ . محمد اسماعيل ٥ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥٥ . السويدى ٣٦ ، ٣٨ . زرزور ٣٠ . شوكت ٢٩ ، ٥٣ . شعبان ٣٣٣ . حسب ٧ . الدباغ ٧٤ ، ١١١ ، ١١٣ . الكونيــــة ٢٠ . أرناؤوط ٦٤ . الكومى ٢٢ – ٣ المحجرى ١٧ .

(١٠٧) توفـيق ٣٥ . والقـول بالاتفـاق بين القـرآن والعلوم فى الشـيوع مثل عدم الاختلاف . وانظر مثلا : عبدالله فكرى ٩. الرافعى ١٢٧ . العدوى ٩ . عبدالعزيز ١ . ضـو ٥ . دراز ١٧٦ . حنفى ٣٤ ، ٤٠ . الإسـلام لنوفل ١٠ ، ١٤ . نظرات ١٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٥ . عبدالحليم ١٢ – ٣ . طبارة ٤٩ . قصة ٣ . روائع ٣ ، ٥ . المنوفى ٤ ، ٥ ، ٩ . الغمراوى ن ، س ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٢٢٣ ، ٢٦٧ . عبدالقادر ٩٢ . عطا ٢٥٨ . بوكاى ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ . محمد اسماعيل ٥٠ ، ٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ . سلطان ٤٣ . شوقي ٦ . فاضل ٣٠٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ . دياب ٩ . السويدى ٣٥ – ٧ . زرزور ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٠٤ . شحاتة ١٦١ . شوكت ٥٣ ، ٥٦ . شعبان ٣٣٣ ، ٣٣٥ . الطب لسليمان ١٠ –٢ . حسب ٧ . أميرت ١٣٣ . هندسة ١١ . داود ٨٠ – ٣ . الكونية ١٩ . الظواهر ١٠ ، ١٢ . أرناؤوط ٦٤ . الكومى ٢٢ – ٣ .

(١٠٨) تنبيه ٧ . توفيق ٢٥٧ .

(١٠٩) تنبيه ٧ . على فكرى ١٦/١ .

(١١٠) تنبيه ٤ . حنفى ٢٤ - ٤ . السيد ١٥ . القرآن للفندى ١٧ . الغمراوى ٣٥ . الإشارات ٧٦ . زرزور ٢٧ . شوكت ١٠٧ . صالحة ١٠٨ . الجندى ٣١ ، ٤٦ - ٩ .

(١١١) تنبيه ٤ .

(١١٢) سورة القيامة ١٩ .

(١١٣) سورة الأنعام ٦٧ .

(١١٤) سورة ص ٨٨ . القرآن ٢ -٣ .

(١١٥) القرآن ٣ . الرافعى ١٤٣ . عبدالعزيز ١ . محمد ٨٩ . محمد إسماعيل ٥٥ . سلطان ٨٩ . شوقى ٨ . شوكت ٥٣ .

(١١٦) القرآن ٣ .

(١١٧) القرآن ٣ .

(١١٨) القرآن ٢ . نظرات ١٣٢ . بين لنوفل ١٣٥ - الحمصى ٢٥٠، ٢٥٣ . الخطيب ٢٦/١ . شوقى ٧ . السويدى ٦ - ٧ . الأميرى ٥٣ .

(١١٩) إعجاز ١٢٦ . خشبة ١٢ . الحمصى ٣١١ . القرآن لنوفل ١١ . بين لنوفل ١٧٥ - ٦ . محمد ٨٨ . الخطيب ٢٧ ، ٣٢ ، ٣١٤ .

روائع ٣ ، ٥ ، ١٠٧ . الغمراوى ص ، ٢٢٢ . عتر ٣٨١ . الله والكون ٦، ١٧ ، ٥٣ . حمزة ٣ . حسب ٦ ، ٧ ، ٩ . الأميرى ٥٤ . وغيرها .

(١٢٠) إعجاز ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٤١ . الذهبى ٢/٥٠١ . الغمراوى ٢٢٢ . عطا ٢٥٨ . زرزور ٢٩ .

(١٢١) إعجاز ١٤٢ . الحمصى ٢١٨ . الذهبى ٢/٥٠١ - ٢ . أبو زهرة ٥٢٣ .

(١٢٢) إعجاز ١٤٢ - ٤ . وصفي ٤ . المقدم ٥ . الحمصى ٢١٨ ، ٣١٢ . الله لنوفل ٦ . الإسلام لنوفل ٦٩ . نظرات ١٥٨ . بين للغمراوى ٢٤ . محمد ٨٩ . الخطيب ١/٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ . عبدالحليم ١٢ . عرجون ٢٧٤ . الغمراوى ٢٢٢ . محمد اسماعيل ٤ . خلف ٢٥٤ . منير ٤٤ . الإشارات ٨٠ . طلبة ١٢٣ . شوكت ٥٣ ، ٥٦ . أبو علي ٣٣ ، ٣٦ .

(١٢٣) إعجاز ١٤٣ . الذهبى ٢/٥٠٢ . طلبة ١٢٣ .

(١٢٤) إعجاز ١٤٣ - ٣ . الإشارات ٨٠ . شحاتة ١٦٦ .

(١٢٥) إعجاز ١٤٤ . الخطيب ٢/٢٨ . عتر ٣٧٨ . فاضل . شحاتة ١٦٦ . شوكت ٥٦ .

(١٢٦) إعجاز ١٤٤ .

(١٢٧) إعجاز ١٣٢ .

(١٢٨) إعجاز ١٣٢ - ٣ .

(١٢٩) إعجاز ١٤٥ . الصابوني ١٢٥ . الاستانبولى ٦ . الظواهر ١٢ .

(١٣٠) إعجاز ١٤٥ . بين لنوفل ٤٨ . عبدالقادر ٩٣ . دياب ٣٣ . الظواهر ١٢ .

(١٣١) إعجاز ١٤٥ .

(١٣٢) إعجاز ١٤٥ . وانظر بشأن كون الكونيات وسيلة إلى الإيمان: عبدالعزيز ١٤ . خشبة ١١ -٢ . دراز ١٧٥ . الحمصى ٢٢٣ . بين للغمراوى ٣٤ . عرجون ٢٧٦ . القرآن للفندى ٧ . الغمراوى ف ، ٥٢ ، ٢٦٧ . أبو شهبة ١١ . الاستانبولى ٨ . الطب لسليمان ١٠ . الاشارات ١٨ . شوقى ٦ . دياب ٩ . السويدى ٦ ، ٢٨ . شوكت ٨٧ . حسب ٧ . الدباغ ١١٣ . داود ٨٠ . الجندى ٣١ .

(١٣٣) إعجاز ١٤٦ .

(١٣٤) الإسلام ١٣ . الاستانبولى ٥ - ٦ .

(١٣٥) الإسلام ١٣ ، ١١٥ . وقد ردد العلماء - من المؤيدين والرافضين - القول بأن القرآن ليس كتاب علم عامة أو بعض العلوم خاصة . انظر مثلا : شلتوت ٥٨١ . الحمصي ٩٨ ، ٢٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٣٨ . نظرات ٢٤ . السيد ١٩ . الخطيب ٢٩/١ ، ٣٥ . عبدالحليم ١٣. عرجون ٢٥٦ . قصة ٤ . روائع ١٠٧ . يعقوب ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ .

الصابونى ١٢٤ . عبدالقادر ٩٢ ، ١٠٥ . الاستانبولى ٨ . بوكاى ١٤٦.
الله والكون ٦ . دياب ١١ . السويدى ٥ . شوكت ٥٦ . اسماعيل ٣٣٥ .
النصيرات ٩ . الشاعر ١١٩ . الدباغ ٧٤ . صالحة ١٠٤ .

(١٣٦) الإسلام ١١٥ . حنفى ٦ ، ١٧ ، الحمصى ١٠٤ . بين للغمراوى ٢٥ . الذهبى ٥٠٢/٢ . عتر ٣٧٨ . اسماعيل ٤ . على ٥.

(١٣٧) الإسلام ١١٥ . الأميرى ٥٢ . حسب ٩ .

(١٣٨) الإسلام ١٧ . الحمصى ٢٧٨ . محمد لنوفل ٨٩ . بين لنوفل ١٣٩ . عبدالحليم ٧ . القرآن للفندى ٩ . روائع ١٠٧ . عبدالقادر ٩٣ . حواس ٨ .

(١٣٩) الإسلام ١١٤ - ٥ . القرآن لنوفل ٣٠ . إسماعيل ٤٩ . الأميرى ٥٤ . حواس ٨ .

(١٤٠) الإسلام ١٣ . حنفى ٣٤ . نظرات ٣ ، ١٣٢ . السيد ١٩ ، ٣٠ . الذهبى ٥٠٢/٢ . عبدالحليم ١٣ . يعقوب ١٣ . السويدى ٥ . منهج ٢٠٠ .

(١٤١) الإسلام ١٣ . نظرات ١٣١ ، ١٣٣ . السيد ١٩ ، ٣٠ . السويدى ٥ . حسب ٧ . الكونية ٢١ . الكومى ٢٢ .

(١٤٢) نفسها .

(١٤٣) الإسلام ١٣ .

(١٤٤) الإسلام ١١٤ – ٥ . حنفى ٥ ، ٢٤ ، الغمراوى س ، ص ، ٢٥٤ . الاشارات ٤ ، ١٨ . حسب ٦ .

(١٤٥) الإسلام ١١٤ – ٥ .

(١٤٦) الإسلام ١٤ . حنفى ٣٦ ، ٤١ . عرجون ٢٧٥ . الذهبى ٥٠٢/٢ . عرجون ٢٧٥ . منهج ٢٠١ .

(١٤٧) الإسلام ١٤ .

(١٤٨) الإسلام ١٤ .

(١٤٩) الإسلام ٦٧ .

(١٥٠) الإسلام ٦٧ .

(١٥١) الإسلام ١٤ ، ١١٥ . السيد ١٩ .

(١٥٢) نفسها .

(١٥٣) الإسلام ١٣ . السيد ١٩ . الذهبى ٥٠٢/٢ .

(١٥٤) الإسلام ١٤ . شلتوت ٥٨١ . الحمصى ٢٠٩ . قصة ٤ . الله والكون ٥ . شوقى ٦ . على ٥ . السويدى ٦ ، ٧ ، ٣٥ . شوكت ١١ . حسب ٧ . داود ٨٠ .

(١٥٥) الإسلام ١١٥ .

(١٥٦) عبدالعزيز ٥ .

(١٥٧) عبدالعزيز ٥ .

(١٥٨) عبدالعزيز ٥ - ٦ . السيد ١٩ .

(١٥٩) عبدالعزيز ٦ . السيد ١٩ . بين لنوفل ١٦٧ . القرآن للفندى ٤٨ ، ٥٠ .

(١٦٠) عبدالعزيز ٦ .

(١٦١) عبدالعزيز ٥ ، ٧ .

(١٦٢) القرآن ٤ . محمد لنوفل ٨٩ . القرآن للفندى ٣٠ . يعقوب ٩، ٩١ - ٢ . عتر ٣٧٨ . محمد اسماعيل ٤ ، ١٦٦ . الإشارات ١٢ ، ١٨ . السويدي ٦ .

(١٦٣) القرآن ٤ .

(١٦٤) القرآن ٤ .

(١٦٥) القرآن ٤ .

(١٦٦) القرآن ١٠ .

(١٦٧) القرآن ١٣ . السيد ١٧ ، ٢٥ . أبو شهبة ١١ .

(١٦٨) القرآن ١٣ . الخطيب ٢٧/١ . الإشارات ٤ ، ١٢ ، ١٨ .

(١٦٩) القرآن ١٣ .

(١٧٠) القرآن ١٣ .

(١٧١) القرآن ١٣ .

(١٧٢) ينبوع ١٥/١ .

(١٧٣) ينبوع ١٤/١ . حنفى ٥ . حمزة ٥ . الكونية ٢١ .

(١٧٤) ينبوع ١٤/١ . القرآن للفندى ٣٠ . شوكت ١١ . حسب ٧ .

(١٧٥) رسالة ١١ . القرآن لنوفل ٢٤ . الجندى ٣٢ . الكونية ٢٢ . حواس ١٢ . أرناؤوط ٤٥ .

(١٧٦) رسالة ١٢ . القرآن لنوفل ١١ . بين لنوفل ١٧٥ – ٦ . محمد ٨٨ . الخطيب ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ . روائع ٥ ، ١٠٧ . الغمراوي ص ، ٢٢٢ . الله والكون ٦ ، ١٧ ، ٥٣ . حمزة ٣ . حسب ٦ ، ٧ ، ٩ . وغيرها .

(١٧٧) رسالة ١٢ . الحمصى ٤٤٧ . القرآن لنوفل ٧ ، ٢٥ . بين للغمراوى ٢٦ . الغمراوى ف ، ٢٢١ ، ٢٦٢ . عبدالقادر ٩٢ . حسب ٦.

(١٧٨) رسالة ١٢ . محمد ٨٩ . القرآن للفندى ٩ . سلطان ٤٤ . السويدى ٦ .

(١٧٩) مدخل ١٧٥ .

(١٨٠) مدخل ١٨٠ .

(١٨١) مدخل ١٨٠ . منهج ٢٠١ .

(١٨٢) مدخل ١٨٠ .

(١٨٣) مدخل ١٨٠ .

(١٨٤) شواهد ٥ . شوقى ٧ . فاضل ٣١٥ ، ٣٢٠ .

(١٨٥) التفسير ٣٤ . الإسلام للغمراوى ٢٤٥ .

(١٨٦) التفسير ٥ ، ٣٢ . السيد ٢٥ . الاستانبولى ٦ .

(١٨٧) التفسير ٣٤ . وانظر الغمراوى ٢٤٥ .

(١٨٨) التفسير ٣٤ . منهج ٢٠٠

(١٨٩) التفسير ٦ ، ٣٨ ، ٤١ . شحاتة ١٥٧ .

(١٩٠) التفسير ٦ . منهج ٢٠١ .

(١٩١) التفسير ٦ ، ٨ .

(١٩٢) التفسير ٦ – ٧ .

(١٩٣) التفسير ٧ ، ٣٨ .

(١٩٤) التفسير ٨ . بين لنوفل ١٣١ – ٢ . شوقى ٧ . السويدى ٣٥.

(١٩٥) التفسير ٨ .

(١٩٦) التفسير ٨ .

(١٩٧) التفسير ٥ ، ٨ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤١ . عتر ٣٧٨ . بوكاى ١٤٦. فاضل ٣١٥ . الدباغ ٧٤ . آفاق ٤ . المحجرى ٨ .

(١٩٨) التفسير ٦ . الخطيب ٢٨/٢ . آفاق ٤ . الظواهر ١٠ .

(١٩٩) التفسير ٦ ، ١٧ . الله لنوفل ١٣٨ . القرآن لنوفل ٢٦ . بين لنوفل ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٩٦ . محمد ٩ . الذهبى ٤٩٩ . الكردانى ٤ .

(٢٠٠) التفسير ١٧ ، ٤١ .

(٢٠١) التفسير ٤١ . الغمراوى ص . الأميرى ٥٣ . الجميلى ٢٠.

(٢٠٢) التفسير ١٧ .

(٢٠٣) التفسير ١٧ . الأميرى ٥٣ . قصة ٤ . الأميرى ٥٣ . حسب ٦ .

(٢٠٤) التفسير ١٧ ، ٤١ . عبدالقادر ٩٣ .

(٢٠٥) التفسير ١٧ . الصباغ ٢٠٣ .

(٢٠٦) التفسير ١٧ . القرآن لنوفل ٢٦ . محمد ٨٨ . منير ٤٣ . الاستانبولى ٥ – ٦ . سلطان ٤٣ . الإشارات ٨٠ .

(٢٠٧) التفسير ١٧. بين لنوفل ٧ . القرآن لنوفل ٢١ ، ٢٦ . السيد ٤ . محمد ٨٨ – ٩ . الغمراوى ف . سلطان ٤٤ .

(٢٠٨) التفسير ٩ . القرآن لنوفل ٦ ، ٧ . القرآن للفندى ٧ . الغمراوى ٢٦٧ . حسب ٨ منهج ٣٠ .

(٢٠٩) التفسير ٥ ، ٩ ، ٢٤ ، ٣٤ . الحمصى ٢٤٣ .

(٢١٠) التفسير ٥ .

(٢١١) التفسير ٥ ، ٣٨ – ٩ . نظرات ١٢٩ . عرجون ٢٧٤ . أبو سهب ١١ . الاستانبولى ٦ . خلف ٢٥٢ . السويدى ٣٥ . الجندى ٣١ .

(٢١٢) التفسير ٤١ . الحمصى ٢٣٨ ، ٢٧٤ . بوكاى ١٤٥ .

الجميلي ١١ . شوقي ٧ . الأميري ٥٢ . الدباغ ١١١ – ٣ . أرناؤوط ٦٥.

(٢١٣) التفسير ٧. الصباغ ٢٠٤ ، ٢١٠ – ٢ .

(٢١٤) نظرات ١٣٣ . الإسلام للغمراوي ٣٣ . الرياضيات ٨ .

(٢١٥) نظرات ١٣١ ، ١٣٣ . بين لنوفل ٥ .

(٢١٦) نظرات ١٣٣ – روائع ٣ . الله والكون ١٧ . شعبان ٣٣٣ . حسب ٥ . آفاق ٨ . الظواهر ١٢ . أرناؤوط ٦٥ .

(٢١٧) نظرات ١٣٢ – ٣ .

(٢١٨) نظرات ١٥٦ . عبدالحليم ١٢ .

(٢١٩) نظرات ١٢٩ – ٣٠ . الحواس كله .

(٢٢٠) نظرات ٢٢ . عطا ٢٣٦ . طلبة ١٢٣ . أمير ١٣٣ . آفاق ٤.

(٢٢١) نظرات ١٥٨ . بين لنوفل ١٤٨ . محمد ٩١ . عتر ٣٧٨ . عبدالقادر ٩٣ . شوقي ٥٢ . الإشارات ٤ .

(٢٢٢) نظرات ١٢٩ .

(٢٢٣) نظرات ١٣١ .

(٢٢٤) نظرات ١٣١ .

(٢٢٥) نظرات ١٣١ –٢ .

(٢٢٦) نظرات ١٣٠ .

(٢٢٧) ١٣٨ . القرآن ٢٦ . محمد ٩٠ . بين لنوفل ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٩٦ .

(٢٢٨) ١٣٨ . العدوى ٩ . بين لنوفل ٨ . القرآن للفندى ٢١ - ٢ ، ٥١ - ٢ .

(٢٢٩) ١٣٨ . بين لنوفل ٨ . القرآن للفندى ٢١ -٢ .

(٢٣٠) ٢٣ .

(٢٣١) ٢٣ .

(٢٣٢) ٢٣ . بين لنوفل ١٥٩ . روائع ٥ ، ١٠٥ . الله والكون ٦ . محمد اسماعيل ٥٦ . العلم لسليمان ١٠ . زرزور ٢٧ .

(٢٣٣) شحاتة ١٥٧ . الكونية ٢٠. روائع ٥، ١٠٥ . محمد اسماعيل ٥٦ . الجندى ٣٠ . الكونية ٢١ . أرناؤوط ٣٤ .

(٢٣٤) ٢٤ . شحاتة ١٥٧ .

(٢٣٥) ٢٤ . بين لنوفل ١٦٠ . العلم لسليمان ١٠ .

(٢٣٦) ٢٥ . بين لنوفل ١٥٩ . الغمراوى ٣١ .

(٢٣٧) ٢٦ .

(٢٣٨) ٦ .

(٢٣٩) ٦ . الإسلام لنوفل ١٤ . روائع ١٠٧ . الحمصى ٢٣٨ ،

٢٤٣ ، ٢٤٩ – ٥٠ . الكردانى ٩ . شوقى ٦ . دياب ١٢ . الأميرى ٥٢ .
النصيرات ٢١ . هندسة ١٠ – ١ . منهج ٥ .
(٢٤٠) ٢٣ . بين لنوفل ١٤٣ . شوقى ٦ .
(٢٤١) ٢٣ ، ٢٦ . الغمراوى ٢٢٢ . الكردانى ٤ . عبدالقادر ٩٢ .
(٢٤٢) ٦ .
(٢٤٣) ٦ ، ٣٢ .
(٢٤٤) ١٣٤ .
(٢٤٥) ١٣٤ – ٨ .
(٢٤٦) ١٣٨ .
(٢٤٧) ١٣٩ . بين لنوفل ١٣٩ .
(٢٤٨) ١٤٠ .
(٢٤٩) ١٤١ ، الصباغ ٢٠٣ .
(٢٥٠) ١٤٢ – ٤ .
(٢٥١) ١٤٤ .
(٢٥٢) ١٦٠ .
(٢٥٣) ١٦٠ .
(٢٥٤) ١٦١ . فاضل ٣٠٥ .
(٢٥٥) ١٦٢ . روائع ٥ ، ١٠٥ . العلم لسليمان ١٠ . شحاتة ١٥٧.
الجندى ٣٠ .

(٢٥٦) ١٩٦ . قطب ١٨٢ ، ١٨٥٨ . القطان ٢٧٤ . السديس ٣١ . السويدى ٦ . الآفاق ٨ . صالحة ١٠٥ .

(٢٥٧) ١٩٣ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ .

(٢٥٨) ١٩٦ .

(٢٥٩) ١٩٦ . فاضل ٣٠١ .

(٢٦٠) ١٧٥ . محمد ٨٩ . عطا ٢٣٥ - ٦ ، ٢٦٥ . سلطان ٤٣ .

(٢٦١) ١٤٤ - ٥ ، ١٩٦ . بين للغمراوى ١٩ - ٢١ . الحمصى ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٩٩ . بين لنوفل ٨ . بوكاى ١٤٨ . فاضل ٣٠٤ . شعبان ٣٣٣ . الدباغ ٧٤ . عبادة ١٦ ، ٧٠ . أرناؤوط ٦٤ . الكومى ٢٣ . المحجرى ١٩ .

(٢٦٢) ١٤٥ . محمد ٨ . بين لنوفل ١٤٥ . بين لنوفل ٨ . الغمراوى ٢٦٧ . الإشارات ٧٩ . شوكت ٥٦ . عبادة ١٧ ، ٨١ .

(٢٦٣) ٨٨ . سلطان ٤٣ .

(٢٦٤) التفسير ٢/٤٧٤ . الصباغ ٢٠٣

(٢٦٥) القرآن ١١ .

(٢٦٦) القرآن ١٢ . السويدى ٣٥ .

(٢٦٧) القرآن ١٢ .

(٢٦٨) القرآن ١٢ .

(٢٦٩) القرآن ١٢ . الخطيب ١/٢٦ . عبدالقادر ٩٢ . محمد اسماعيل ٥٥ . شوقى ٧ . السويدى ٦ .

(٢٧٠) القرآن ١٢ .

(٢٧١) القرآن ١٢ . الأميرى ٥٤ . الفكرى للجميلى ١٠ . أرناؤوط ٦٥ .

(٢٧٢) القرآن ١٢ - ٣ .

(٢٧٣) القرآن ٤٨ .

(٢٧٤) القرآن ٤٨ .

(٢٧٥) القرآن ٤٨ . يعقوب ٩ . الصابونى ١٢٤ . الاستانبولى ٦ . فاضل ٣٠٤ . داود ٨٠ ، ٨٣ .

(٢٧٦) القرآن ٤٨ ، ٩٦ . الله لنوفل ١٣٨ . الغمراوى ٢٦٧ . عتر ٣٧٨ . شوقى ٨٠٧ . أمير ١٣٣ .

(٢٧٧) ٩٦ .

(٢٧٨) ٩٦ .

(٢٧٩) ١٩ . شوقى ٨ . حسب ٧ .

(٢٨٠) ٧ ، ١٧ ، ١٩ .

(٢٨١) ١٧ .

(٢٨٢) ٢٠ - ١ . الله والكون ٥٨ .

(٢٨٣) ٤٧ ، ٥٠ . الحمصي ٢٥٠ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . الله والكون ٣ . الاستانبولي ٦ . بوكاى ١٤٥ . دياب ٣٣ . الأميرى ٥٢ . النصيرات ٧ . الظواهر ١١ .

(٢٨٤) ٤٧ ، ٥٠ .

(٢٨٥) ٤٧ .

(٢٨٦) ٣٠ .

(٢٨٧) ١٧ . الغمراوى ٣٤ .

(٢٨٨) ٧ . روائع ٤ .

(٢٨٩) ٣ ، ٤ .

(٢٩٠) ٤ .

(٢٩١) ٤ . روائع ١٠٧ . الله والكون ٦ .

(٢٩٢) ٤ .

(٢٩٣) ٤ .

(٢٩٤) ٣ .

(٢٩٥) ٣ . وانظر ١٠٧ .

(٢٩٦) ٦ .

(٢٩٧) ٥٨ .

(٢٩٨) لفتات ٦ ، ٩

(٢٩٩) لفتات ٦ .

(٣٠٠) لفتات ١٥ .

(٣٠١) لفتات ١٥ .

(٣٠٢) لفتات ٩ . طبارة ٤٨. الصابونى ١٢٥ .

(٣٠٣) لفتات ٩ .

(٣٠٤) لفتات ١٠ .

(٣٠٥) لفتات ١٠ .

(٣٠٦) لفتات ٩ ، ٩١ - ٢ . عتر ٣٧٨ . عطا ٢٣٥ . السويدى ٦.

(٣٠٧) القرآن ٥ .

(٣٠٨) القرآن ٥ .

(٣٠٩) القرآن ٥ .

(٣١٠) دراسات ١٨٤ .

(٣١١) دراسات ١٨٤ .

(٣١٢) دراسات ١٨٤ .

(٣١٣) بين ٤٥ .

(٣١٤) بين ٢٤ .

(٣١٥) بين ٢٦ .

(٣١٦) بين ٢٦ .

(٣١٧) بين ٢٦ .

(٣١٨) الإسلام ٣٣ .

(٣١٩) الإسلام ٣٦ .

(٣٢٠) الإسلام ٣٦ .

(٣٢١) الإسلام ٣٨ .

(٣٢٢) الإســلام ٢٦٧ . الكردانى ٩ . عطا ٢٣٦ – ٧ . دياب ١١ . الحمصى ٢٥٨ ، ٢٦٩ .

(٣٢٣) الإسلام ٢٦٧ . الكردانى ٩ .

(٣٢٤) الإسلام ٢٦٧ .

(٣٢٥) الإسلام ٢٢٢ . حسب ٦ .

(٣٢٦) الإســلام ص ، ٢٢٢ . عـتـر ٣٨١ . حـسب ٦ ، ٧ ، ٩ . أرناؤوط ٦٤ .

(٣٢٧) الإسلام ٢٢٢ . الكردانى ٤ ، ١٤ .

(٣٢٨) الإسلام ٥٢ ، ٢٢٢ . الإشارات ٨ .

(٣٢٩) الإسلام ٢٦٧ . الكردانى ٨ – ٩ . عطا ٢٣٦ . حسب ٨ .

(٣٣٠) الإسلام ٣٦٥ – ٦ .

(٣٣١) الإسلام ٢٣٢ .

(٣٣٢) الإسلام ٢٣٢ .

(٣٣٣) الإسلام ٢٣٣ . الكرداني ١٣ . الحمصي ٢٩٨ . الإشارات ٤ ، ١٨ . زرزور ٢٩ . الأميري ٥٤ . حسب ٩ . أرناؤوط ٥٣ .

(٣٣٤) الإسلام ٢٣٣ . زرزور ٢٩ . حسب ٦ . أرناؤوط ٥٣ .

(٣٣٥) الإسلام ٢٦٠ - ١ . الكرداني ١١ - ٢ .

(٣٣٦) المدخل ١١ .

(٣٣٧) المدخل ١١ -٢ . الشاعر ١١٢ .

(٣٣٨) المدخل ١٢ . أرناؤوط ٤٥ .

(٣٣٩) المدخل ١٢ .

(٣٤٠) نماذج ٩ .

(٣٤١) دراسة ١٤٥ . الحمصي ٢٥٠ .

(٣٤٢) دراسة ١٤٥ .

(٣٤٣) دراسة ١٤٦ .

(٣٤٤) دراسة ١٧٥ .

(٣٤٥) دراسة ٢٧٧ . الكومي ٢٣ .

(٣٤٦) دراسة ١٤٩ ، ١٧٢ .

(٣٤٧) الإعجاز ٢٠ .

(٣٤٨) الإعجاز ١١ ، ٢٠ .

(٣٤٩) الإعجاز ١١ ، ٢٠ .

(٣٥٠) الإعجاز ١٢ . الإشارات ١٢ .
(٣٥١) الإعجاز ١١ .
(٣٥٢) القرآن ٢٥٤ . محمد إسماعيل ٦ . الدباغ ٧٤ .
(٣٥٣) القرآن ٢٥٤ .
(٣٥٤) القرآن ٢٥٤ . الأميرى ٤٩ .
(٣٥٥) القرآن ١٦٤ .
(٣٥٦) القرآن ١٦٥ .
(٣٥٧) القرآن ٦ . حواس ١١ .
(٣٥٨) القرآن ٢٨ ، ٥٥ . الحمصى ٢٨١ .
(٣٥٩) القرآن ٥٥ ، ١٦٤ – ٥ .
(٣٦٠) القرآن ٥٦ .
(٣٦١) القرآن ٤٨ – ٩ . الحمصى ٢١١ . الإشارات ٤٩ . السويدى ٣٥ . شحاتة ١٦٦ . شوكت ٢٨ – ٩ . حسب ٥ . فودة ٢٤٤، ٢٤٨ – ٩ ، ٢٥١ .
(٣٦٢) القرآن ٤٩ .
(٣٦٣) القرآن ٤٩ ، ٥٥ ، ١٦٥ .
(٣٦٤) القرآن ١٦٥ .
(٣٦٥) القرآن ٥٥ . حواس ١٢ .

(٣٦٦) القرآن ٥٥ .

(٣٦٧) القرآن ١٦٥ .

(٣٦٨) القرآن ٤٩ - ٥٠ . عطا ٢٥٨ .

(٣٦٩) القرآن ٥٠ .

(٣٧٠) القرآن ٤٩ . شبهات ١١١ .

(٣٧١) القرآن ٢٨ ، ١٦٥ .

(٣٧٢) شبهات ١١١ .

(٣٧٣) شبهات ١١١ - ٢ .

(٣٧٤) شبهات ١١١ .

(٣٧٥) شبهات ١١١ . السويدى ٣٧ .

(٣٧٦) شبهات ٩٦ ، ١١١ .

(٣٧٧) الإشارات ١٢ ، ١٨ .

(٣٧٨) الإشارات ١٢ . أرناؤوط ٥٢ .

(٣٧٩) الإشارات ١٢ .

(٣٨٠) الإشارات ٢٣ . شوكت ٢٨ - ٩ . الكومى ٢٣ .

(٣٨١) الإشارات ٢٣ .

(٣٨٢) الإشارات ٢٣ .

(٣٨٣) الإشارات ٨٠ .

(٣٨٤) الإشارات ٨٠ .

(٣٨٥) الإشارات ٨٠ .

(٣٨٦) الإشارات ٨٠ .

(٣٨٧) الإشارات ٨٠ .

(٣٨٨) الإشارات ٧٩ .

(٣٨٩) سنريهم ٧ .

(٣٩٠) سنريهم ٧ .

(٣٩١) سنريهم ٨ .

(٣٩٢) سنريهم ٨ .

(٣٩٣) سنريهم ٨ .

(٣٩٤) سنريهم ٦ .

(٣٩٥) القرآن ١٢٣ . السويدى ٥ .

(٣٩٦) القرآن ١٢٣ .

(٣٩٧) موجز ٥ .

(٣٩٨) موجز ٥ .

(٣٩٩) القرآن ٢٦ .

(٤٠٠) القرآن ٢٧ .

(٤٠١) القرآن ٢٧ .

(٤٠٢) القرآن ٢٧ . شوكت ١١ . الحمصي ٢٣٧ . أبو على ٣٥ – ٦ . منهج ٢٠٣ .

(٤٠٣) القرآن ٢٧ .

(٤٠٤) القرآن ٢٧ .

(٤٠٥) القرآن ٢٩ .

(٤٠٦) القرآن ٢٩ .

(٤٠٧) الطب ١٢. الظواهر ١١ . الجندى ٢٩ – ٣٠ . المدخل ٣٣٣.

(٤٠٨) المدخل ٣٣٣ .

(٤٠٩) المدخل ٣٣٣ ، ٣٣٥ .

(٤١٠) علوم ١٦١ .

(٤١١) علوم ١٦١ .

(٤١٢) علوم ١٦١ .

(٤١٣) علوم ١٦٦ .

(٤١٤) علوم ١٦٦ .

(٤١٥) الإسلام ٥١ .

(٤١٦) الإسلام ٥١ – ٢ .

(٤١٧) الإسلام ٥٢ .

(٤١٨) الإسلام ٥٢ - ٣ .
(٤١٩) الإسلام ٥٣ .
(٤٢٠) الإسلام ٥٣ .
(٤٢١) الإسلام ٥٣ .
(٤٢٢) الإسلام ٥٥ .
(٤٢٣) الإسلام ٥٣ .
(٤٢٤) الإسلام ٥٣ .
(٤٢٥) الإسلام ٥٣ .
(٤٢٦) الإسلام ٥٣ .
(٤٢٧) الإسلام ٥٤ - ٥ .
(٤٢٨) الإسلام ٥٤ .
(٤٢٩) الإسلام ٥٦ .
(٤٣٠) الإسلام ٥٦ .
(٤٣١) الإسلام ٥٥ .
(٤٣٢) الإسلام ٣٥ .
(٤٣٣) الإسلام ٣٦ .
(٤٣٤) الإسلام ٣٧ .
(٤٣٥) الإسلام ٣٧ .

(٤٣٦) الإسلام ٣٧ – ٨ .

(٤٣٧) الإسلام ٣٨ .

(٤٣٨) فكرة ٢٢٦ ، ٢٣١ – ٢ ، ٢٣٩ ، ٢٩٧ .

(٤٣٩) فكرة ٢١٨ .

(٤٤٠) فكرة ٢١٨ .

(٤٤١) فكرة ٢١٩ .

(٤٤٢) فكرة ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢١٩ .

(٤٤٣) فكرة ١٥٥ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ – ٣ .

(٤٤٤) فكرة ٢١٩ ، ٢٣٢ .

(٤٤٥) فكرة ٢١٩ .

(٤٤٦) فكرة ٥٥٥ ، ٢١٩ .

(٤٤٧) فكرة ٢١٩ .

(٤٤٨) فكرة ٢٣٣ .

(٤٤٩) الكون ٥ .

(٤٥٠) الكون ٧ .

(٤٥١) الكون ٥ – ٦ .

(٤٥٢) الكون ٦ .

(٤٥٣) الكون ٦ .

(٤٥٤) الكون ٦ .
(٤٥٥) الكون ٦ .
(٤٥٦) الكون ٨ .
(٤٥٧) الكون ٨ .
(٤٥٨) الكون ٨ .
(٤٥٩) الكون ٦ .
(٤٦٠) الكون ٨ .
(٤٦١) الكون ٨ .
(٤٦٢) وجوه ٧٤ .
(٤٦٣) وجوه ١١١ .
(٤٦٤) وجوه ٧٤ – ٥ .
(٤٦٥) الكونية ٢٠ .
(٤٦٦) الكونية ١٩ .
(٤٦٧) الكونية ١٩ .
(٤٦٨) الكونية ٢٠ .
(٤٦٩) حواش ١٢ .
(٤٧٠) الإعجاز ٦٤ .
(٤٧١) الإعجاز ٦٤ .

(٤٧٢) الإعجاز ٥٣ .
(٤٧٣) الإعجاز ٥٣ .
(٤٧٤) الإعجاز ٦٥ .
(٤٧٥) آيات ١٦ – ٧ .
(٤٧٦) ظواهر ٩ .
(٤٧٧) ظواهر ٩ .
(٤٧٨) ظواهر ٩ .
(٤٧٩) ظواهر ٩ .
(٤٨٠) ظواهر ٩ .

الفصل الثالث

رفض التفسير العلمى

عرفنا أن من التابعين من رفض القول باحتواء القرآن على كل الأشياء والعلوم ، وقصر احتواءه على المعارف الدينية ، وأن أحد أبناء القرن السادس من الرافضين أعلن إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه من أمور دينية ، فتبعه آخرون ، متأخرين عن الفريق الآخر بأكثر من قرن .

وكان الفخر الرازى أول من تصدى - من مراجعى - لتعليل موقفه والدفاع عن رأيه . فقال : يجب أن يكون قوله : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) مخصوصا ببيان الأشياء التى تجب معرفتها والإحاطة بها . وبيانه من وجهين :

الأول : أن لفظ التفريط لا يستعمل نفيا وإثباتا إلا فيما يجب أن يبين ، لأن أحدا لا ينسب إلى التفريط والتقصير فى أن لا يفعل ما لا حاجة إليه (1) .

الثانى : أن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة - بالمطابقة أو التضمين أو الالتزام - على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب

بيان الدين ، ومعرفة الله وأحكامه . وإذا كان هذا التقييد معلوما من كل القرآن ، كان المطلق هاهنا محمولا على ذلك المقيد [٢] .

والتزم يحيى بن حمزة العلوى (٦٦٩ - ٧٤٥ / ١٢٧٠ - ١٣٤٤) بثانى وجهى الرازى وقال : الغرض بهذه العمومات هو ما يحتاجه الخلق فى إصلاح أديانهم من العلوم . وما هذا حاله فإنه قد تضمنه القرآن . وقال : ليس فى هذا إلا أن العموم مخصوص، وهذا لا مانع منه ، فإن أكثر العمومات الشرعية مخصوص [٣] .

ووصم القول بأن وجه إعجاز القرآن اشتماله على الحقائق والأسرار والدقائق التى لا تزال غضة طرية على وجه الدهر : بالفساد ، للأمرين التاليين :

١ - الأصل فى وجه الإعجاز أن يكون القرآن متميزا به ، لا يشاركه فيه غيره . وما قاله أصحاب هذا الوجه مشترك . فإننا نرى بعض من صنف كتابا فى العلوم الإسلامية ، واغتنى فى جمعه واختصاره ، لا يزال من بعده يجتنى منه الفوائد فى كل وقت . وإذا كان الأمر كما قالوا ، وجب الحكم بإعجاز هذه الكتب، وهم لا يقولون به [٤] .

٢ - قوله تعالى : (وإلهكم إله واحد) [٥] وأمثاله صريح فى إثبات الوحدانية لله بظاهرها وصريحها .

وما عدا ذلك من المعانى لا يخلو حاله : إما أن يستقل العقل بإدراكه أولا يستقل .

فإن استقل بإدراكه ، فقد أحاط به كغيره من سائر الكلام . فلا تفرقة بينه وبين غيره .

وإن كان العقل لا يستقل بدركه ، فذلك هى الأمور الغيبية ، وهى باطلة (٦) .

وأضاف الحمصى إلى ما سبق أن العلوى ذكر أيضا أن العلوم الكونية ليست فى جميع الآيات . فإذا عددناها وجه الإعجاز، كانت الآيات الخالية منها غير معجزة (٧) .

وأبان محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١ / ١٢٩٢ – ١٣٥٠) أن هناك من اعترض على القول بالإعجاز العلمى ، مستندا إلى أنه قد وجد فى السنة وكلام العرب مثل هذا ، ولم يعدّ معجزة (٨) .

ولكن الذى حمل لواء رفض التفسير العلمى من القدماء هو ابراهيم بن موسى اللخمى المعروف بالشاطبى (١٣٨٨/٧٩٠) .

فقد أعلن أن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد . وأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين ، من علوم الطبيعيات والتعاليم كالهندسة والمنطق وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها (٩)

ورفض تلك الدعوى رفضا صريحاً قائلا : هذا لم يصح [١٠] .
وإنما الذى صح عنده أن القرآن تضمن علوما ، هى من جنس علوم العرب الذين عاصروا نزوله [١١] كالنجوم والأنواء والتاريخ والطيرة والطب ، أو ما ينبغى على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا يتبلغه العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره [١٢] أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا [١٣] .

وفند ما استدل به أصحاب هذه الدعوى على النحو التالى :

١ - أما الآيات فالمراد بها - عند المفسرين - بحال التكليف والتعبد ، أو المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، كما مر [١٤] .

٢ - فواتح السور : تكلم الناس فيها بما يقتضى أن للعرب بها عهدا ، كحساب الجمل الذى تعرفوه من أهل الكتاب ، أو هى من المتشابهات التى لا يعلم تأويلها إلا الله ، وغير ذلك . وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون . فلا دليل فيها على ما ادعوا [١٥] .

٣ - ما ينقل عن على بن أبى طالب أو غيره فى هذا : لا يثبت [١٦] .

واستدل على رأيه بما يأتى من براهين :

١ - أمية الشريعة [١٧] : لأن أهلها كانوا كذلك ، ليس لهم علم بعلوم الأقدمين يدل على ذلك النصوص المتواترة اللفظ والمعنى من

الآيات والأحاديث ، كقوله تعالى : (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) [18] .

ولو كانت الشريعة غير ما عهدوا لم تكن لتتنزل من أنفسهم منزلة ما عهدوا ، وذلك خلاف ما وقع عليه الأمر فيها [19] .

ولو كانت على غير ما يعهدون لم يكن القرآن عندهم معجزا ، ولاحتجوا بأن قالوا : ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام ، فهو ليس بمفهوم ولا معروف لدينا . فلم تقم الحجة عليهم ، ولما قالوا : (إنما يعلمه بشر) [20] .

ألا ترى أنه كان للعرب أحكام عندهم فى الجاهلية أقرها الإسلام . ولم يكتف بذلك حتى خاطبهم بدلائل التوحيد فيما يعرفون من سماء وأرض وكسحاب ونبات ، وبدلائل الآخرة والنبوة ، وأخبرهم بما أنعم الله عليهم مما هو لديهم ، وعن نعيم الجنة وأصنافه بما هو معهود فى تنعماتهم فى الدنيا ، مع تبرئته من الغوائل والآفات التى تلازم التنعيم الدنيوى [21] .

٢ - أن السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين ومن تلاهم ، كانوا أعرف بالقرآن وعلومه ، ولم يبلغنا أن أحدا منهم تكلم فى شىء من هذا المدعى . ولو كان لهم فى ذلك خوض لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن . فدل على أنه غير

موجود عندهم . وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا [٢٢] .

وذهب شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (٩٧٧ - ١٠٦٩/١٥٦٩ - ١٦٥٩) إلى أن إعجاز القرآن بفصاحته لا باشتماله على المغيبات والعلوم الكثيرة [٢٣] .

ورفض صاحب تفسير المنار التفسير العلمي ، اعتمادا على ما قاله الشاطبي عن السلف . كما رفض خبر وقوع ابن عربي ، وقال : إن قبول الناس للخرافة المروية عن ابن عربي هي التي جرأت مثل مسيح الهند أحمد القادياني (١٢٥٥ - ١٣٧٦/ ١٨٣٩ - ١٩٠٨) على ذلك التفسير الذي فسر به الفاتحة ، وزعم أنه معجزته الدالة على كونه هو المسيح المنتظر ، وكله لغو وهذيان . ومن أغربه زعمه أن اسم الرحمن في الفاتحة دليل على بعثة خاتم الرسل محمد ، واسم الرحيم دليل على بعثته هو [٢٤] .

ومع ذلك لم يرفض الإعجاز العلمي رفضا باتا ، وجعله تحت وجهين من وجوه إعجاز القرآن الكريم . فقد جعل الوجه السادس من وجوه إعجازه عجز الزمان عن إبطال شيء منه ، والوجه السابع تحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر .

ووضح الوجه الأول فذكر أن القرآن أبان كثيراً من آيات الله في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ومن أخبار الأمم ، ومن التشريع السوى (٢٥) .

وقد حفظ ذلك كله فيه - بكلمه وحروفه - منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف ، ثم عجزت هذه القرون ، التى ارتقت فيها جميع العلوم والفنون ، أن تنقض بناء آية من آياته ، أو تبطل حكما من أحكامه، أو تكذب خبرا من أخباره (٢٦) .

إن من يتكلم فى بعض مسائل الموجودات لبيان العبرة فيها ، أو الحث على الاستفادة منها ، لا لبيان حقيقتها فى نفسها أو صفاتها الفنية عند أهل فنها ، لا يكلف أن يبين تلك الحقيقة أو تلك الصفات التى لا تتعلق بغرضه من الكلام ، بالاصطلاحات العلمية والفنية . وقد ينتقد منه هذا إذا كان مما يصرف السامع عن مراده منه ، أو يوجب نقصا فى استفادته منه (٢٧) .

فإذا كان هذا النوع من الكلام - الذى لا يعاب فيه مخالفته للمسائل الفنية ، وقد يعاب فيه تكلف موافقتها - جاء إما موافقا وإما غير مخالف لمعارف أهل العصر الذى خوطب أهله به ، ثم ظهر أنه موافق لما تجدد من العلم الحق ، فلا شك فى أن تعد هذه له مزية خارقة للمعتاد فى البشر . وقد ثبت هذا للقرآن وحده(٢٨) .

لهذا صح أن تجعل سلامته ضربا من ضروب إعجازه للبشر، وإن لم يكن هذا مما تحدى به الرسول (٢٩) ، لأن العجز عنه لم يكن ليظهر إلا من بعد زمن نزوله . فادخر ليكون حجة على أهله (٣٠) .

فإن قيل : إن الطاعنين فى الإسلام يزعمون أن العلوم والفنون العصرية قد نقضت بعض آيات القرآن فى موضوعها .

قلت : إن بعض أقوالهم جاء من سوء فهمهم (٣١) ، أو فهم بعض المفسرين (٣٢) ، ومن جمود الفقهاء المقلدين (٣٣) ، وبعضها من التضليل (٣٤) . وإنما العبرة بالنقض الذى لا يمكن لأحد أن يمارى فيه مراء ظاهرا مقبولا (٣٥) .

ووضح الوجه الثانى بأنه اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التى لم تكن معروفة فى عصر نزوله ، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون .. وسنن الله فى الخلق . وجعل هذا الوجه مرتبة فوق الوجه السادس الذى سبق أن ذكره (٣٦) .

فهذا النوع من المعارف – التى جاءت فى سياق بيان آيات الله وحكمته . كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر فى الغالب (٣٧) ، حتى إن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن

ظواهرها ، لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد، أو من نظريات العلوم والفنون الباطلة (٣٨) .

وبدأ أمين الخولي حديثه عن التفسير العلمي بالتصريح بأنه قديم ، وأن العناية به كانت أكثر نوعا ما في العصر المتأخر ، وأن المخالفة في صحته قديمة أيضا . ولعله اليوم أقل رواجا عند المثقفين (٣٩) .

وبعد أن عرض رأي الشاطبي مفصلا ، أضاف إلى الدعامات التي استند إليها في رفضه ما يلي :

١ - الناحية اللغوية : فلو ملكنا بيانا بحياة الألفاظ ، وتدرج دلالاتها ، وتحديد هذا التدرج ، وتأريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وعهد استعمالها فيها، لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وهذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على معان وإطلاقات لم تعرف لها ، ولم تستعمل فيها ؛ أو إن كانت تلك الألفاظ قد استعملت في شيء منها ، كان ذلك باصطلاح حادث بعد نزول القرآن بأجيال (٤٠) .

٢ - الناحية الأدبية أو البلاغية : فالبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فهل كان القرآن - على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي - كلاما يوجه إلى من خوطب به من الناس في

ذلك العهد ، مرادا به تلك المعانى المذكورة ، مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آمادا فسيحة ، وجاهدت جهادا طويلا ، ارتقى به عقلها وعلمها [٤١] !!!

وهب هذه المعانى العلمية المدعاة كانت هى المعانى المرادة بالقرآن ، فهل فهمها أهل العربية منه إذ ذاك وأدركوها [٤٢] ؟!

وإذا كانوا قد فهموها ، فما لنهضتهم العلمية فى علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن ، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المفهمة لدقائقها [٤٣] ؟!

وإن كانت تفهم منها ، ولم يدركها أصحاب اللغة الخلص من عباراتها ، كما هو الواقع ، فكيف تكون معانى القرآن المرادة ؟!

وكيف تكون تلك الألفاظ مفهمة لها ، وهل هذه هى المطابقة لمقتضى الحال [٤٤] !

٣ – الناحية الدينية أو الاعتقادية : وهى التى تبين مهمة كتاب الدين . وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العالمة . عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلمية ؟؟ وكيف يساير ذلك حياتهم ، ويكون أصلا ثابتا لها ، تختم به الرسالات السماوية ، كما هو الشأن فى القرآن ، مع أن هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدودة ، ولا ينتهون منها عند مدى ما ؟!

فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن ، وهى جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير . وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ، ثم تغير تغيرا عظيما فيما تلا (٤٥) !!

وأما ما اتجهت إليه النوايا الطيبة من جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ، ناحية من نواحى بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء .. إلخ . فربما كان ضرره أكثر من نفعه (٤٦) .

على أنه - إن كان لابد لأصحاب هذه النوايا ومن لف لفهم من أن يتجهوا إليه ، ليدفعوا مناقضة الدين للعلم - فلعله يكفى فى هذا ويفى ألا يكون فى كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية ، يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده _ (٤٧) . وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة ، ومسايرة للعلم ، وخلاصا من النقد .

على أنى حين أتسمح بهذا القدر فى سبيل إرضاء رغبات هؤلاء الطيبى النية ، لا أنسى أن أذكرهم بأن التناول الفنى لحقائق الكون ومشاهده ، هو التناول الذى يقصد به الدين رياضة وجدانات الناس ، ويوجهه لعامتهم وخاصتهم ، وعلمائهم وأنصاف

علمائهم بل لجهلائهم أيضا . وهذا التناول إنما يقوم على المشهود البادى من ناحية روعته فى النفس ، ووقعه على الحواس ، لا من ناحية دقائق قوانينه ومنضبط نواميسه فى معادلات جبرية ، أو أرقام حسابية ، أو بيان جاف لخصائصه وحقائقه (٤٨) .

ولو التزم فى شىء من هذا تصحيح المقررات العلمية ، لأخل هذا الالتزام كثيرا بالأهداف الفنية الوجدانية ، التى يريد الدين تحقيقها ونفع الحياة بها ، عن طريق التأمل المتدين ، والاعتبار النفسى العاطفى المريح ، قبل كل شىء آخر (٤٩) .

ومن هنا قد يبدو - فى تعبير القرآن - ما يظهر متعارضا مع شىء من المقررات العلمية ، وإن أمكن التوفيق بينهما . ولا أحسب أن عليه بأسا بشىء من هذا ولا فيه ضير (٥٠) .

فخير لأصحاب هذه الرغبات - الذين يبينون الصدق أو الإعجاز أو الصلاحية لكتاب الدين بهذا النحو من التفسير العلمى - خير لهم أن يقدروا مثل هذا الاعتبار ، فلا يتكلفون ما يتكلفون من ربط الكتاب بالعلم (٥١) .

التفسير العلمى ليس بذى جدوى على القرآن نفسه (٥٢) . والقرآن غنى عن أن يعتز بمثل هذا التكلف (٥٣) الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنسانى الاجتماعى فى إصلاح الحياة ،

ورياضة نفوس الناس جميعا ، على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها (٥٤) .

واتخذ محمد عبد العظيم الزرقانى موقفا خاصا . فقد آمن بالإعجاز العلمى ، وفى الوقت نفسه رفض التفسير العلمى . وكان للإعجاز العلمى – الذى آمن به – مفهومه الخاص .

فقد جعل الوجه الخامس من وجوه الإعجاز : موقف القرآن من العلوم الكونية (٥٥) وأراد بذلك طريقة عرضه لهذه العلوم (٥٦) التى كان موفقا فيها كل التوفيق بل كان معجزا أبهر الإعجاز (٥٧) .

لقد حاكم الناس إلى عقولهم (٥٨) ، وفتح عيونهم إلى الكون وما فيه (٥٩) . وأتى بعلوم لم ينشأ بعضها إلا بعد عهد النبوة بقرون (٦٠) . وذلك هو الذى بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونية ، وأوقع من أوقع منهم فى الإسراف (٦١) ، وعد هذه العلوم من علوم القرآن (٦٢) .

وذكر أن القرآن راعى – بالنسبة إلى العلوم الكونية – اعتبارات خمسة ، لا يصدر مثلها عن مخلوق ، فضلا عن أمى :

أولها : أنه لم يجعل تلك العلوم من موضوعه ، لخضوعها لقانون النشوء والارتقاء ، وفى تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو

على أفهام العامة ، ولهوان أمرها بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العاثرة (٦٣) .

ثانيها : أن القرآن دعا إلى هذه العلوم فى جملة ما دعا إليه من البحث والانتفاع بما فى الكون من نعم وعبر (٦٤) .

ثالثها : أن القرآن - حين عرض لها - أشعرنا أنها مربوبة له، مقهورة لمراده ، ونفى عنها ما علق بأذهان كثير من الضالين الذين توهموها آلة ، وزعموها ذات تأثير وسلطان (٦٥) .

رابعها : أن حديثه عنها حديث المحيط .. (٦٦) .

خامسها : أن الأسلوب الذى اختاره فى التعبير عنها أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال فى سمط واحد (٦٧) ، بحيث يمر النظم القرآنى على سامعيه فى كل جيل ، فإذا هو واضح فيما سيق له من دلالة الإنسان وهدايته . ثم إذا هو مجمل التفاصيل (٦٨) يختلف الخلق فى معرفة تفاريعه ودقائقه ، باختلاف ما لديهم من مواهب ووسائل وعلوم (٦٩) .

وصرح الزرقانى بأن ما خفى من القرآن على المعاصرين لنزوله دفع أعداء الله إلى أن يصوغوا من هذا الخفاء شبهة ، ويلفقوا تهمة (٧٠) .

وفسر موقفه القائل بالإعجاز العلمى والرافض لهذا النوع من التفسير بأن هناك فرقا كبيرا بين الشىء يحث القرآن على تعلمه ،

وبين العلم يدل القرآن على مسائله ، أو يرشد إلى أحكامه ؛ أو يكون ذلك العلم خادما للقرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته . فالأول ظاهر أنه لا يعتبر من علوم القرآن بخلاف الثانى (٧١) .

أما رفض التفسير العلمى فقد أقامه الزرقانى على أن القرآن كتاب هداية وإعجاز . من أجل هذين المطمحين نزل ، وفيهما تحدث، وعليهما دل (٧٢) . فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية هدايته أو إعجازه فهو من علومه . وهذا ظاهر فى العلوم الدينية واللغوية (٧٣) .

أما العلوم الكونية والمعارف والصنائع فلا يجمل عدها من علومه (٧٤) . وذلك لأن القرآن لم يقصد – من ذكرها – أن يشرح حقيقة علمية (٧٥)، ولا أن يحل مسألة (٧٦) ، ولا أن يزيد بابا (٧٧)، ولا أن يدلل على نظرية (٧٨) ، ولا أن يقرر قانونا من قوانينها (٧٩)، وكذلك لم توضع هذه العلوم لتخدم القرآن فى شرح آياته أو بيان أسراره (٨٠) ، وإنما ذكر منها ما ذكر للهداية (٨١) .

ولا يليق أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم القلقة الحائرة التى سجنها العلماء فى سجن ضيق من المادة ، وحدود ما تفهم عقولهم و[illegible]ل تجاربهم ، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلاهية العلوية المستقرة الثابتة (٨٢) .

وعاب الزرقانى من طاب لهم أن يتوسعوا فى علوم القرآن ، ووصمهم بالخطأ والإسراف (٨٣) ، وإن كانت نيتهم نية حسنة وشعورهم نبيلا (٨٤) . فالنية والشعور - مهما حسنا - لا يسوغان أن يحكى الإنسان غير الواقع (٨٥) ، ويحمل كتاب الله على ما ليس من وظيفته (٨٦) ، خصوصا بعد أن أعلن الكتاب نفسه هذه الوظيفة ، وحددها مرات كثيرة (٨٧) . ولا تتوقف عظمة القرآن على أن ننتحل له وظيفة جديدة ما أنزل الله بها من سلطان (٨٨) . فإن وظيفته فى هداية العالم أسمى وظيفة فى الوجود (٨٩) .

ووصف محمود شلتوت (١٣١٠- ١٣٨٣/ ١٨٩٣ - ١٩٦٣) أصحاب التفسير العلمى بأنهم طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث ، أو تلقفوا شيئا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها ، ثم نظروا فى القرآن فوجدوا الله يقول :(ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا فى القرآن فتحا جديدا (٩٠) .

فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن (*) . وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن ، ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله الله (٩١) .

هذه النظرة إلى القرآن خاطئة من غير شك ، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ، ودقائق الفنون ، وأنواع المعارف (٩٢) .

وهي خاطئة – من غير شك – لأنها تحمل أصحابها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا ، يتنافى مع الإعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم (٩٣) .

وخطأ عباس محمود العقاد الربط بين القرآن والعلوم ، كما خطأ القول بأن الأوربيين أخذوا من القرآن كل ما اخترعوه من السلاح الحديث ، لأن القرآن قال وهو يحث المسلمين : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٩٤) خشية أن يقال لأصحاب هذا القول : إن المسلمين سمعوا هذه الآية مئات السنين ، فلم يخترعوا تلك الأسلحة ، وإن الأوربيين لم يسمعوها فاخترعوها (٩٥) .

ورمى أصحاب هذه الدعوى بالجهل ، وقال : خليق بأمثال هؤلاء المعتسفين أن يحسبوا من الصديق الجاهل ، لأنهم يسيئون من حيث يقدرون الإحسان (٩٦) .

وفرق بين ما يطلب من كتب العقائد وكتب العلم :

فلا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم ، كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر (٩٧) .

ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم ، كما تعرض عليهم فى معامل التجربة والدراسة . لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الإنسان وجهوده ، كما تتوقف على حاجاته وأحوال زمانه (٩٨) .

وخير ما يطلب من كتاب العقيدة - الذى يخاطب الضمير - فى مجال العلم : أن يحث على التفكير ، ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ، ما استطاع ، حيثما استطاع (٩٩) .

وانتقل من كتب العقيدة عامة إلى القرآن خاصة . فذكر أنه يجعل التفكير السليم ، والنظر الصحيح إلى آيات خلق الله وسيلة من وسائل الإيمان «إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك ، فقنا عذاب النار» (١٠٠) . وهو يحث المسلم على أن يفكر فى عالم النفس كما يفكر فى عالم الطبيعة : (أو لم يتفكروا فى أنفسهم . ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وأجل مسمى) (١٠١) .

وأعلن : كل ما يجب على المسلم أن يؤمن به : أن كتابه الإلهى يأمر بالبحث والتفكير ولا ينهاه عنهما (١٠٢) ، ولا يصده عن النظر والتأمل فى مباحث الوجود ، وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان (١٠٣) . ولكنه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه ونظريات العلم . بل لا يأمره بالتوفيق بين الكيفيات التى يفهمها العلم والكيفيات التى يقدرها العقل لفهم المسائل الكونية فى بداءتها الأولى ونهايتها الأخيرة بين طوايا الغيب المجهول (١٠٤) .

وجعل فضيلة الإسلام الكبرى أن يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحثهم على ولوجها والتقدم فيها ، وقبول كل مستحدث من العلوم ، على تقدم الزمن وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم (١٠٥) .

وأقام رفضه للتفسير العلمى على ما أقامه الخولى عليه : أن العلوم تتجدد مع الزمن على سنة التقدم . فلا تزال بين ناقص يتم ، وغامض يتضح ، وموزع يتجمع ، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يترقى إلى اليقين . ولا يندر فى القواعد العلمية أن تتقوض بعد رسوخ ، ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون (١٠٦) .

وأخيرا صرح بأن القرآن يطابق العلم ، أو يوافق العلوم

الطبيعية بهذا المعنى الذى تستقيم به العقيدة ، ولا تتعرض للنقائص والأظانين كلما تبدلت القواعد العلمية ، أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم أو يبدل التخمين (١٠٧) .

ونادى بالاستفادة من النظريات العلمية فى تصحيح معانى الكلمات القرآنية دون إقحامها على القرآن أو الذهاب إلى أنه مطالب بموافقتها كلما تغيرت (١٠٨) .

وحدد العلم الذى أمر به القرآن بجملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق من شىء (١٠٩) .

وصرح د . محمد حسين الذهبى بأن الحق مع الشاطبى ، لأن الأدلة التى ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية ، لا يعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل ، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة ، لا تثبت أمامها حججهم ، ولا يبقى معها مدعاهم (١١٠) .

وأعلن عزة دروزة أن القرآن نزل بلسان العرب على قوم يفهمونه وأمر الله نبيه بشرحه وتبيانه ، والنظريات الحديثة لم تكن حينذاك معلومة ولا مكشوفة. ولا يصح لمسلم – مهما حسنت نيته – أن يدعى أن النبى– ﷺ – لم يكن يعرف جميع ما تضمنته آيات القرآن ، أو أن الله أبقى الأسرار الكونية خافية عن النبى (١١١) .

وعاب التفسير العلمى للأمور التالية التى يؤدى إليها :

١ - تحميل كلمات القرآن غير ما تتحمل (١١٢) .

٢ - إخراج القرآن عن نطاق قدسيته (١١٣) .

٣ - تعريض القرآن للجدل (١١٤) .

٤ - إخراج القرآن عن أهدافه السامية (١١٥) .

وخطأ مناع القطان من يحرصون على تضمين القرآن كل نظرية علمية ، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملا فى آية يتأولونها بما يوافقها (١١٦) . ومع ذلك أعلن أن القرآن معجز علميا ، غير أنه جعل إعجازه فى حثه على التفكير ، لا فى اشتماله على النظريات العلمية (١١٧) .

وذهب عبد الكريم الخطيب إلى أن الآيات ألتى تنكشف للناس فى هذا الوجود - مما يطلعهم العلم عليها - تفتح الطريق إلى قولة الحق فى كتاب الله . وعندئذ يرى الناس أن هذا القرآن هو الحق الأبدى (١١٨) ، من عند الله (١١٩) .

ومع ذلك وصف مذهب أصحاب التفسير العلمى بمذهب الذين يتعسفون طريق الفهم لكتاب الله (١٢٠) ، ويشطحون فى تأويل آياته ليأخذوا منها حجة للقرآن على أنه اشتمل على جميع المعارف والعلوم (١٢١) . فهم لهذا يقتسرون المعانى اقتسارا (١٢٢) ،

ويخرجون بالألفاظ عن مدلولاتها [١٢٣] ، بل ويحرفون الكلام عن مواضعه فى أكثر أحوالهم ومحاولاتهم [١٢٤] . وهذه بضاعة رخيصة لا يليق بجلال القرآن أن تستجلب له، وتحسب عليه [١٢٥].

وقد يكون لقائل أن يقول : إذا كان القرآن قد حوى أسرار هذا الوجود ، فكيف غاب ذلك كله عن سلف هذه الأمة، وهم الذين تلقوا القرآن غضا، وكانوا يأخذون كلماته متلوة من أطهر فم [١٢٦]؟ وإذا كانت تلك الحقائق قد انكشفت لهم ، فلماذا لم ينتفعوا بها فى الحياة ؟ ولماذا لم يقيموا منها ما أقام العلم الحديث من معالم المدنية [١٢٧] ؟

وجوابنا على هذا من وجهين :

فأولا : إن القرآن الكريم لم يكن كتابا علميا ، يكشف أسرار الطبيعة ، ويضع مفاتحها فى أيدى أتباعه [١٢٨]. وإنما هو كتاب عقيدة وشريعة [١٢٩]، يتجه أول ما يتجه إلى ضمير الإنسان، ليصحح صلته بخالقه ، ثم يقيم لهذه الصلة من التشريع ما يمسك بها سليمة قوية فى كيانه [١٣٠]. تلك هى المهمة الأولى للقرآن [١٣١].

ثانيا : إذا كانت مهمة القرآن الأولى هى ما أشرنا إليه ، فإن ذلك لا يمنع أن يكون وراء هذه المهمة غايات أخرى يمكن أن يجدها من يطلبها [١٣٢] .

ويبدو هنا سؤال آخر هو : إذا كانت الأسرار والحقائق - التى يقال إن القرآن قد ضم عليها - لا تنكشف إلا بعد أن يكشف العلم عنها ، فما فائدة اشتمال القرآن عليها وبقائها مستورة فيه خلال هذه القرون الطويلة (١٣٣) ؟!

والجواب على هذا من وجهين أيضا :

فأولا : إن هذه الأسرار والحقائق لا يقصد بها الأسرار والحقائق العلمية ، وإنما يقصد بها الحقائق النفسية والروحية التى تعلى من قدر الإنسان ، وتدفع بإنسانيته إلى الكمال (١٣٤) .

وثانيا : ماذا يضير القرآن إذا اشتمل فى كيانه على دلائل إعجازه بما أودع فيه من أسرار وحقائق ، تحدث الناس عن آياته ، فى كل عصر وفى كل جيل ؟ وبذلك يخلد إعجازه ، ويتجدد على الزمن (١٣٥) .

إن هذه الأسرار والحقائق لا تجىء من خارج القرآن ثم تحمل إليه ، فتكون أشبه بالأجسام الغريبة التى تعلق بالماء لتكدر صفوه، وربما أفسدت طبيعته . وإنما تلتمس هذه الحقائق والأسرار من آيات القرآن الكريم ، من غير تعسف فى التأويل ، ولا التواء بالمعنى إلى غير ما أريد له . وبهذا يسلم القرآن من مناقضات النظريات التى يكشفها العلم ، ثم لا تخرج إلى الحياة مرة أخرى (١٣٦) .

ولو كان من تدبير القرآن أن يكون كتابا علميا ، لما جاء على هذا الأسلوب ذى الرنين النفاذ ، والإشعاع اللماح ، من النظم . بل لجرى على ذلك الأسلوب العلمى الذى تبرز فيه الحقائق العلمية مضغوطة فى قوالب من اللفظ ، أشبه بالأرقام الحسابية ، لا يختلف عليها أحد ، ولا تكتم عن أحد شيئا وراءها. ولو كان ذلك من شأن القرآن لما كان معجزة الدهر الخالد(١٣٧) .

إن دعوة القرآن هى إيقاظ مشاعر الإنسان ، وتنبيه ملكاته ، وتوجيه نوازعه وسلوكه إلى العمل فى طريق مستنير مستقيم (١٣٨) .

ومن هنا كانت آياته كلها متجهة إلى القلب أولا ، وإلى المشاعر والوجدانات المائجة فيه ، المتقلبة بين صفو وكدر ، وبين نور وظلام (١٣٩) .

ونقد محمد الصادق عرجون جماعة ممن كتبوا عن التفسير العلمى قبله . ففهم أقوال أبى حامد الغزالى على نحو خاص ، ورحب بها قائلا : هذا المسلك – إذا نظر إليه فى ضوء الهداية القرآنية ، التى تستهدف بيان مقاصد القرآن فى الكشف عن الحقائق الكونية ، لتتبين دلالتها على عظمة خالقها ، ووحدانيته ، وباهر قدرته ، وبالغ حكمته ، ومحكم تدبيره لملكوته. كان مسلكا علميا صحيحاً فى تفسير القرآن (١٤٠) .

فسبيل هذه العلوم الكونية - فى تفسير القرآن - سبيل غيرها من الوسائل التى تساعد على فهم النص القرآنى فهما يحقق الغرض منه . وليس سبيلها أن تكون بنظرياتها تفسيرا للقرآن ، ولا أن تكون مما يعتقد أن القرآن قصد إليها فى آياته ، لتحمل عليها فى تفسيرها (١٤١) .

وعاب على الرازى مبالغته قائلا : وقد جاء بعد الغزالى فخر الدين الرازى ، فحاول أن يطبق هذا المنهج العلمى فى تفسيره ، غير أنه بالغ فى الإيمان بنظريات العلم الكونى الذى عرفه العقل البشرى فى عصره ، مبالغة طمست معالم الهداية القرآنية ، وصرفت الآيات عن مقاصدها فى الهداية إلى التوغل فى بحوث علمية جافة ، ونظريات فلسفية معقدة . وهكذا أتخم كتابه بنظريات العلم الذى ملأ عصره ، والتى نقضها العلم نفسه بنظريات أخرى ، قد ينقضها فى المستقبل القريب أو البعيد (١٤٢) .

ووصم أقوال ابن أبى الفضل المرسى بأنها منهج فى التفسير غريب جدا عن مقصد القرآن وهدايته ، لأن هذه العلوم والفنون والصنائع والآلات التى عرض لذكرها هذا المفسر ، لم يكن المقصود من ورودها فى القرآن ورودا عابرا اقتضاه المقام فى ذكر

قصة أو عظة وعبرة ، أو الإشارة إليها فى آيات القرآن - إنها علوم ومعارف وفنون ، أنزل القرآن بمسائلها وقضاياها وموضوعاتها لتبحث فى تفسيره كما تبحث فى مصانعها ومعاملها بآلاتها ووسائلها التجريبية الخاصة ، لأن ذلك مما لا ينبغى أن يكون مما يعرض له القرآن (١٤٣) .

وفى الوقت نفسه عاب الشاطبى ، لأنه - فى رأيه - ذهب مذهبا عجيبا ، لا يلائم منصبه فى العلم وحرية التفكير ونباهة الذكر . ورمى قوله بأمية الشريعة الإسلامية بأنه موقف متهافت ، لا يقوم على دعائم من الأصول القوية التى تسنده ، إذ لا دخل لأمية النبى - ﷺ - فى الأمر (١٤٤) .

وأفاض فى مناقشة قوله بأن القرآن نزل على ما عهده العرب من علوم، فقال : إن الشريعة التى بعث بها النبى - ﷺ - إلى الناس كافة ، إما أن تكون على نسبة ما كان وتكون عليه عامة الإنسانية كلها فى أممها وشعوبها من المعرفة الحاصلة والمتجددة إلى يوم القيامة ، أو لا تكون كذلك .

فإن كانت على نسبة ما عليه الإنسانية من حصائل الفكر الإنسانى ، وما يكون لها فى مستقبل حياتها من التفكير العلمى المستكشف لحقائق الكون وأسرار الطبيعة ، فذلك هو معنى كونها شريعة علمية (١٤٥) .

وإن لم تكن ، لزم أن تكون على غير ما تعهد الإنسانية وما تعرف من تاريخها العلمى وأطوارها الفكرية فى المعرفة ، فلم تكن لتنزل من أنفس الأمم والشعوب العالمة التى تعنى بالمعرفة منزلة ماعهدوا . وذلك خلاف ما جاءت به الشريعة (١٤٦) .

ورد على قوله بأن القرآن لو لم يكن على ما يعهدون لم يكن عندهم معجزا .. قائلا : هذا الدليل أيضا يمكن أن يعكس على الشاطبى . فلقائل أن يقول : لو لم يكن القرآن - فى هدايته العامة الشاملة لجميع ما يقوم بحاجة الإنسانية الفكرية والاجتماعية قياما عاما ، باقيا ببقاء رسالته على الأرض - على ما تعهد الإنسانية كلها ، باعتبارها مدعوة للإيمان برسالة القرآن ، من العلم والمعرفة الشاملين لجميع فنونهما ، لم يكن عندهم معجزا ، ولكان كثير من الأمم والشعوب يخرجون من مقتضى التعجيز بقولهم : هذا القرآن على غير ما عهدنا ونعهد ، فأسلوبه وألفاظه وعباراته ليست من أسلوبنا وألفاظنا وعباراتنا . ومعانيه وأفكاره قاصرة على ما يعهد الأميون ، وليس فيه مما نعهد من المعانى الفكرية والأفكار العلمية شىء . فلا تلزمنا الحجة به (١٤٧) .

ولم يقصر عرجون نقده على القدماء بل نقد المحدثين أيضا ، فقال : منهم من تعجل واندفع إلى أحضان النظريات

الجديدة ، وآمن بها دون قيد أو شرط ، على أنها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل . فراح يعتسف الطريق اعتسافا ، ليطبق هذه النظريات على تفسير القرآن ، ويخضعه لها [١٤٨]، ويحمله عليها حملا لا ترتضيه لغة العرب التى نزل بها القرآن المبين . ولا يحتمله أسلوب القرآن ، ولا يتفق مع جوه وروحه [١٤٩] .

ولا نعرف تفسيرا كاملا جرى على هذا النهج المتعجل ، الجماع لكل ما وصل إليه صاحبه من نظريات مستحدثة لم تستحكم طاقات فتلها ، سوى تفسير الجواهر لطنطاوى جوهرى [١٥٠] .

وعلى الرغم من إعجاب عرجون الشديد بتفسيرى محمد عبده ومحمد مصطفى المراغى وبالنهج الأدبى الذى اتبعاه فيهما ، ودافعا عنه ، أخذ عليهما التعرض لبعض المسائل العلمية ، وعد ذلك من الضعف البشرى فى جميع أفراد البشرية ، الذى جعله الله برهانا على تفرده بالكمال المطلق [١٥١] .

ونادى بحاجة الآيات العلمية إلى نظر جديد ، يقيم منار الهداية القرآنية على دعائم فهم هذه الآيات فهما علميا ، يقنع العقول بصادق البرهان [١٥٢] .

واحترس أن يسيء فهمه أحد فوضح موقفه بأنه لا يقصد بالفهم العلمي للآيات تفسيرها بنظرياته المستحدثة في الأمور الكونية ، كما يصنع بعض المتحمسين [١٥٣] .

وأجمل مرة أخرى رأيه في وضوح تام إذ قال : لا يجمل بنا أن نتطلب من القرآن شرح نظريات العلم ، والتحدث في تركيب الأشياء ، وبيان جزئياتها وأشكالها وما يطرأ عليها من تغير كيماوي أو طبيعي ، كما تتحدث كتب الطبيعة والكيمياء والفلك وطبقات الأرض ، لأن القرآن كتاب عقيدة وهداية وعبر ، وتهذيب للنفوس ، وتوجيه للعقول ، وتطهير للأرواح والقلوب .

فإذا عرض لشيء من الآيات الكونية – وكثر ما عرض لها – فإنما يعرض لها باعتبارها مصدر هداية إلى عظمة الكون ، لنصل – على ضوئها – إلى تعظيم الله ، خالق الكون وما فيه من آيات وأسرار [١٥٤] .

ولذلك فسر العلماء الذين أثنى الله عليهم بقوله : (إنما يخشى *الله من عباده العلماء)* [١٥٥] بأنهم العلماء بالله ، الذين عرفوه بمعرفة آياته في خلقه ، معرفة تقوم على إدراك أسرار ظواهر ما خلق من أشياء [١٥٦] .

وأعلن سيد قطب أن القرآن لم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي ، كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم (١٥٧) .

وقال : إني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه ، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه ، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها ، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه (١٥٨) .

وميز سيد قطب بين ما يذكره كل من القرآن والعلوم فقال : إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة : أما ما يصل إليه البحث الإنساني - أيا كانت الأدوات المتاحة - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة ، وهي مقيدة بحدود تجارب الإنسان وظروف هذه التجارب وأدواتها (١٥٩) .

هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية ، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى علمية . فهذه كلها ليست حقائق علمية حتى بالقياس الإنساني ، وإنما هي نظريات وفروض ، كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية ، إلى أن يظهر فرض آخر

يفسر قدراً أكبر من الظواهر ، أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق! ومن ثم فهى قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والإضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب ، بظهور أداة كشف جديدة ، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة (١٦٠) .

ورمى كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات وحقائق بالخطأ المنهجى الأساسى (١٦١) ، والانطواء على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن :

١ - الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن ، والقرآن تابع ، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم (١٦٢) .

٢ - سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ومجاله (١٦٣) .

٣ - التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن، كى نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التى لا تثبت ولا تستقر (١٦٤) .

ورد محمد الصباغ الاهتمام بالتفسير العلمى إلى انبهار نفر منا بضياء الحضارة الأوربية التى فتحنا أعيننا على مخترعاتها وثمرات علومها (١٦٥) .

وعارض د . عبد القادر حسين التفسير العلمى للأسباب الآتية:

١ – إقحام العلم فى تفسير آيات القرآن لبيان كونه معجزا – لا يتفق وما نعرفه عن عقلية العرب وثقافتهم ، وقت نزول الوحى [١٦٦] .

٢ – تطبيق النظريات العلمية على النصوص القرآنية لا يتمشى مع سنة التطور . فالنص القرآنى ثابت ومتيقن لا مجال للشك فيه ، أما العلم فإنه متغير [١٦٧] .

٣ – إذا كنا لا نجد تناقضا بين الآيات الكونية وبين ما يكتشفه العلم ، فليس هذا دليلا على إعجازه ، وإنما هو دليل فقط على أنه منزل من قبل الله [١٦٨] .

٤ – لا تشمل الآيات الكونية سور القرآن كلها [١٦٩] .

ووصف د . عدنان زرزور من اعتقدوا بأن كل ما وصل إليه القوم فى الحضارة الأوربية من منجزات علمية متقدمة موجود فى القرآن أو أشار إليه على أقل تفسير بأنهم حملهم على هذا الرأى ظنهم أن القرآن – إذا خلا من مثل هذه الإشارات – لا يكون كتابا علميا [١٧٠] ، أو لا يكون كتابا عصريا يصلح لهذا القرن أو القرون التالية ، كما صلح فى القرون السالفة [١٧١] .

وقال : إننا ننظر إلى محاولات بعضهم تحميل نصوص القرآن ما لا تحمل ، والزعم بأن كل اكتشاف أو قانون له شاهد أو أصل

فى كتاب الله ، ننظر إلى هذه المحاولات على أنها تبرير لواقع الكسل والجمود[١٧٢] ، وعجز عن الامتثال لأوامر القرآن بالنظر والعلم والعمل [١٧٣] ، وجهل بدور القرآن بوصفه كتاب هداية وإرشاد وتشريع فى المقام الأول [١٧٤] ، وتحمل أصحابها على سوء التفسير والتأويل [١٧٥] .

وذكر د . شوكت محمد عليان : حوى القرآن كثيرا من العلوم والنظريات التى ساهمت فى دفع عجلة التقدم العلمى الحديث ، غير أن البحث فيه باعتباره مصدرا للعلوم التجريبية ، من شأنه أن يفرغ القرآن من محتواه كمصدر للهداية والتشريع ، ويصرفه عن مهمته الأساسية التى جاء لها [١٧٦] .

ومع ذلك صرح بأن إحاطة القرآن بالحقائق العلمية هذه كانت ضمن إشارات غير مقصودة لذاتها ، لما علمنا أن المحور الرئيسى لرسالة القرآن هو السعادة الأخروية . فهو بذلك لا يدخل فى دائرة أى من علومنا وفنوننا الحديثة [١٧٧] .

وتابع د. محمود بسيونى فودة محمد عبد العظيم الزرقانى وسيد قطب فى رفض التفسير العلمى ، واعتمد على أقوالهما . ثم ختم حديثه قائلا : نود ألا نخدع بمثل هذا المنهاج ، فنتوسع لدرجة أن نزيد فى أمور الهدف الأسمى للقرآن أعلى منها وأجل .

ولكن نأخذ المسائل العلمية التى وصلت إلى حقائق ، وربطها بآيات الله، كتأكيد على دلائل قدرته ، وبديع صنعه . فهذا أمر لا ينكر .

ومن هنا قال جماعة من العلماء : إن الآيات الكونية وجه من وجوه إعجاز القرآن (١٧٨) .

وذهب د . عبد الله عبادة إلى أن الربط بين القرآن والنظريات العلمية الحديثة خطأ ، يقع فيه بحس نية أحيانا بعض الشباب الباحثين فى العلوم العلمية ، ممن يبهرهم بعض هذه العلوم (١٧٩).

وأعلن محمد بركات حمدى أبو على أنه يعتبر الوجه العلمى من الوسائل الموضحة لما فى القرآن من قيم وفضائل وجمال وصياغة ومحتوى (١٨٠) .

ووصم أغلب الذين يتحدثون عن هذا الوجه بأنهم لا اختصاص لهم بالعربية وأصولها وأسرارها ، ولا اطلاع لهم على طرائق المتكلمين فيها وسبل أصحاب أصول الدين (١٨١) ، وقال أيضا : إن الأمور العلمية فى القرآن ما كانت إلا عبرة أو وسيلة لتقريب المعنى العام فى الآية أو السورة إلى أذهان المخاطبين (١٨٢) .



وصرحت د . صالحة عبد الحكيم شرف الدين بأن تطبيق الآيات على النظريات العلمية المستحدثة لا يسوغها ، ولا يزيد من فضل القرآن وإعجازه (١٨٣) .

★

تبين لنا هذه الجولة أن رفض الخوض فى التفسير العلمى بدأ منذ القرن السادس ، واستمر إلى هذا العصر .

ودار – أول ما ظهر – حول إغراق الفخر الرازى فى القضايا العلمية ، وانتهازه الفرص للاستطراد فى شرح هذه القضايا ، مما أسخط عليه غيره من المفسرين ، وممن ألفوا التفسير بنهجه المعروف .

ولكن حركة الرفض تركت – فى القرن الثامن – الأفراد ، واستهدفت التفسير العلمى فى ذاته ، كما رأينا عند يحيى بن حمزة العلوى .

وفى أواخر ذاك القرن ، نرى الشاطبى يرفض المبالغة – أو ما سماه هو التجاوز – وفسره بإضافة كل علوم المتقدمين والمتأخرين إلى القرآن . وتبعه كثير من المحدثين ، وعلى رأسهم الزرقانى الذى عاب الإسراف حتى لو حسنت النية ، غير أن عرجون كان أهم من عاب الإسراف .

يمكن أن نقول – إذن – إننا لسنا أمام حركة واحدة ، تحت اسم حركة الرفض ، بل أمام عدة حركات :

– حركة ترفض سلوك مفسرين معينين ، مثل تلك الحركة التى رفضت عمل الرازى من المفسرين القدماء ، وطنطاوى جوهرى من

المفسرين المحدثين ، وبعض تفسير محمد عبده ومحمد مصطفى المراغى .

– وحركة ترفض مبدأ التفسير العلمى ، تمثلت قديما فى العلوى والشاطبى . وحديثا فى الخولى والعقاد والخطيب وأمثالهما .

– وحركة ترفض الإسراف ، يمثلها الزرقانى وكثيرون آخرون .

وتبين لنا أن الرافضين فئات :

– فئة رفضت التفسير العلمى ، وتمسكت – فى الوقت نفسه – بما سمته الإعجاز العلمى ، غير أنه كان له مفهومه الخاص عندها ، وتتمثل فى محمد رشيد رضا والزرقانى ومناع القطان .

– وفئة رفضت التفسير والإعجاز العلمى كليهما ، وتضم يحيى ابن حمزة العلوى والشهاب الخفاجى .

– وفئة أعلنت رفض التفسير العلمى . ولم تصرح بشىء عن الإعجاز العلمى ، وإن كانت الدلائل تجعلنى أحدس أنها ترفضه أيضا . وتتمثل فى أكثر الباقين .

وهناك دعائم أساسية وأخرى جزئية استند إليها الرافضون . وأقصد بالدعائم الأساسية ما وجد عند كل الرافضين أوجلهم ، وهى التى أعنى بالوقوف عندها .

وأول هذه الدعائم الخشية مما يلحق الأفكار العلمية من تغير وتبدل ، قد يؤثر فى نظرة الناس إلى القرآن . ذكر الخولى أن ضرر الربط بين القرآن والقضايا العلمية - بغية بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء - أكثر من نفعه . ووصف من يفعل ذلك بالصديق الجاهل ، الذى يسىء من حيث يريد الإحسان . ووصف الزرقانى الأفكار العلمية بالجزر والمد ، والحيرة بين الإثبات والنفى ، وبالتقييد . وفرق سيد قطب بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية .

وثانيها وظيفة القرآن . فمنذ أقدم العصور تردد القول - الذى رددته فى أكثر من موضع - بأن القرآن كتاب دعوة وإرشاد .

وأقام صاحب تفسير المنار على ذلك أن ما جاء به القرآن لم يكن لبيان حقيقته أو صفاته . بل قد يعاب منه ذاك ، إذا كان مما يصرف السامع أو يوجب نقصا فى استفادته . واتفق معه الخولى الذى ذكر أن المقصود بالتناول الفنى رياضة الوجدان ، ويقوم على المشهود من ناحية روعته فى النفس لا من ناحية دقائق قوانينه . وتابعهما العقاد الذى ذكر أن كتب العقيدة لا يطلب منها مطابقة العلوم ولا ذكر تفاصيلها . وذكر الخطيب أن القرآن يدعو إلى إيقاظ المشاعر ويتجه إلى القلب .

وبنى محمود شلتوت على ذلك أن القرآن لم ينزل ليكون كتاب علم يتحدث عن نظريات العلوم . ووافقه الزرقانى الذى ذكرت رأيه آنفا . وتبعهما عبد الكريم الخطيب الذى أعلن أنه لم يكن كتابا علميا ، يشرح أسرار الطبيعة ، ولو كان من تدبيره أن يكون كتابا علميا لما جاء على هذا النظم الموسيقى اللماح . وكذلك فعل سيد قطب .

وبنى الخولى على ذلك أن دعوى التفسير العلمى توشك أن تخرج بالقرآن عن هدفه . وانتشر هذا القول انتشارا كبيرا ، مع بعض التغير فى صورته . فصرح الزرقانى أن ذلك يحمل كتاب الله على ما ليس من وظيفته التى هى أسمى وظيفة فى الوجود ، وأن عظمة القرآن لا تتوقف على انتحال وظيفة جديدة له ؛ وعزة دروزه أن ذلك إخراج للقرآن عن نطاق قدسيته وأهدافه السامية ؛ وعدنان زرزور أنه جهل بدور القرآن ؛ وشوكت عليان أنه تفريغ للقرآن من محتواه وصرف له عن مهمته الأساسية .

وثالثها النص القرآنى . فقد ذهب الفخر الرازى إلى أن آية سورة الأنعام لا تفيد العموم الذى توحى به عبارتها . ووافقه العلوى ووسع قوله فذكر أن أكثر عمومات القرآن كذلك . وجاهر الشاطبى بأن المراد بالآيات التكليف ، وقد يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ .

وذهب أمين الخولى إلى أن التطور اللغوى والأدبى للغة العربية لا يجيز ذلك ، وعزة دروزة بأن فى ذلك تحميلا لكلمات القرآن غير ما تتحمل .

ورمى عبد الكريم الخطيب التفسير العلمى بالتعسف فى فهم القرآن واقتسار المعانى ، والشطح فى التأويل ، وإخراج الألفاظ عن مدلولها ، وتحريف الكلام عن مواضعه ؛ ومحمود شلتوت بالتأويل المتكلف وتعريض القرآن للدوران مع العلوم المتغيرة . ووصف شوكت عليان الإشارات القرآنية بأنها غير مقصودة .

وتساءل الخولى على سبيل الإنكار : إذا كان العرب المعاصرون للتنزيل فهموا الإشارات العلمية كما يفهمها أصحاب التفسير العلمى فلم لم تقم نهضتهم عليها ، وتأخرت إلى أن نقلت إليهم حضارات الأمم المجاورة لهم ؟ وعلى الرغم من ذلك أنكر عزة دروزة على المسلم أن يدعى أن فى القرآن ما لم يفهمه النبى - ﷺ .

وأول الدعائم الجزئية ما يتصل بالإعجاز . فقد رأى العلوى أن الأصل فى الإعجاز التميز ، وأن العناية بالعلوم مشتركة بين القرآن وغيره . فلا يمتاز بها وحده إذن ، يضاف إلى ذلك أن هذه الإشارات لا تعم القرآن كله . ونقل ابن القيم أن السنة وكلام

العرب يوجد فيهما إشارات علمية ، ولم يعدّ أحد ذلك معجزة . وذهب عبد القادر حسين إلى أن عدم التناقض بين القرآن والعلم ليس دليلا على الإعجاز ، وإنما على أنه تنزيل من الله .

وثانيها أحوال العرب عند التنزيل فقد وصف الشاطبى العرب بالأمية والجهل إلا من بعض المعارف التى كانت نتيجة تجاربهم فى الحياة . وخلص من ذلك إلى وصف الإسلام بالأمية ، والاقتصار على ما كان لدى هؤلاء العرب من معارف . ولو كانت الشريعة غير ما عهدوا لما شغلت عندهم منزلة كبيرة ، بل ولم يكن القرآن عندهم معجزا . ولكن عرجونا - وهو من الرافضين للتفسير العلمى - عاب آراءه وفندها . وذهب عبد القادر حسين إلى أن القول بالعلميات لا يتفق وعقلية العرب حينذاك .

وثالثها المتصدون للتفسير العلمى . فقد اعتمد الشاطبى فى رفضه على عدم تحدث السلف فى هذا التفسير ، وتكذيب ما روى عن على وغيره وإن كان عبد الكريم الخطيب تصدى لتفسير هذه الظاهرة .

ووصم محمود شلتوت أصحاب هذا التفسير بقلة الثقافة ، وأن رغبتهم فيه أفسدت عليهم أمرهم ، وأدت بهم إلى ما لا يتفق مع أغراض القرآن ، وسيد قطب بالسذاجة والخطأ المنهجى والهزيمة

الداخلية ، وعدنان زرزور بالكسل والجمود والعجز عن الامتثال لأوامر القرآن ، وأبو على بعدم التخصص .

ورابعها جدوى التفسير العلمى . فقد أعلن الخولى أن التفسير العلمى ليس بذى جدوى . ووصفه عبد الكريم الخطيب بالبضاعة الرخيصة التى لا تليق بجلال القرآن ، وعلى الرغم من ذلك تعرض لفائدة اشتمال القرآن عليها . وجعلها أبو على وسيلة للإيضاح .

وأخيرا حاول بعض العلماء البحث عن أسباب الاندفاع وراء التفسير العلمى وبخاصة فى العصر الحديث . فرده الصباغ إلى الانبهار بالحضارة الأوربية ، وعدنان زرزور إلى الظن بأن القرآن - إذا خلا من العلوم - لا يكون كتابا علميا ، ولا عصريا صالحا لهذا القرن وما بعده .

الهوامش

(١) مفاتيح ١٢/٢١٥ . النيسابورى ٧/١٤٢

(٢) مفاتيح ١٢/٢١٥- ٦

(٣) الطراز ٣/٤٦٣ - ٤.

(٤) نفسه ٣/٤٠٠ . الحمصى ١٣٤

(٥) سورة البقرة ١٦٣ .

(٦) الطراز ٣/٤٠١ .

(٧) فكرة ١٢٣٤.

(٨) الفوائد ٢٤٩ .

(٩) الموافقات ٢/٥٥ . الخولى ٥/٣٥٩ . الحمصى ١٥٢ . الذهبى ٢/٤٨٨ . الخطيب ١/٣٣ . عرجون ٢٦٤ العانى ١٨٤ . الرازى لمحسن ٢٨٠. فاضل ٣٠٤ فودة ٢٤٤ .

(١٠) الموافقات ٢/٥٥ .الحمصى ١٥٢ . الذهبى ٢/٤٨٨ . الخطيب ١/٣٣ . عرجون ٢٦٤ . الرازى لمحسن ٢٨٠ . فاضل ٣٠٤ .

(١١) الموافقات ٢/٥٥ . الخولى ٥/٣٥٩ . الذهبى ٢/٤٨٨ . فاضل ٣٠٤ .

(١٢) الموافـقـات ٢/٥٥ .الخـولى ٥/٣٦٠ . الذهبى ٢/٤٨٩ .
الخطيب ١/٣٤ .

(١٣) الموافـقـات ٢/٥٥ .الخـولى ٥/٣٦٠ . الذهبى ٢/٤٨٩ .
الخطيب ١/٣٤ .

(١٤) الموافـقـات ٢/٥٦ .الخـولى ٥/٣٦٠ . الذهبى ٢/٤٨٩ .
الخطيب ١/٣٤ .

(١٥) الموافقات ٢/٥٦ .الخولى ٥/٣٦٠ الحمصى ١٥٢ .. الذهبى
٢/٤٨٩ . الخطيب ١/٣٤ . فاضل ٣٠٤ .

(١٦) الموافقات ٢/٥٦ .الخولى ٥/٣٦٠ . الذهبى ٢/٤٨٩

(١٧) الموافـقـات ٢/٤٨ . الخـولى ٥/٣٥٩ . الذهبى ٢/٤٨٥ .
عرجون ٢٦٠ .

(١٨) سورة الجمعة ٢ .

(١٩) الموافقات ٢/٤٩ .

(٢٠) سورة النحل ١٠٣ . الموافقات ٢/٤٩ . عرجون ٢٦٢-٣.

(٢١) الموافقات ٢/٥٤ .

(٢٢) الموافـقـات ٢/٥٥ . الخـولى ٥/٣٥٩ . الذهبى ٢ / ٤٨٨،
٥٠٢ - ٣ . الخطيب ١/٢٢-٤ . فاضل ٣٠٤ .

(٢٣) الحمصى ١٨٠ - ٢ .

(٢٤) ٧/ ٣٩٥ -٦ . عرجون ٢٤٦ . فودة ٢٤٥ .

(٢٥) ٢٠٧/١ . شبهات ١٠٩ . شحاته ١٥٩ .

(٢٦) نفسه . العدوى ٩ . شحاتة ١٥٩ . شبهات ١٠٩ .

(٢٧) ٢٠٨/١ . شبهات ١١٠ .

(٢٨) نفسه . وانظر الخولى ٥/٣٦١ - ٢ . شبهات ١١٠ .

(٢٩) نفسه . شبهات ١١٠ .

(٣٠) نفسه . شبهات ١١٠ .

(٣١) المنار ٢٠٨/١ .

(٣٢) المنار ٢٠٨/١ . حنفى ٣٦ - ٧ . الغمراوى ٢٦٧ . بوكاى ١٤٣ ، ١٤٦ . حسب ٧ .

(٣٣) المنار ٢٠٨/١ .

(٣٤) المنار ١/ ٢٠٨ .

(٣٥) المنار ٢٠٨/١ .

(٣٦) المنار ٢١٠/١ . شبهات ١١١ .

(٣٧) المنار ٢٠٧/١ ، ٢١٢ . حنفى ٥ .٦ .٣٨ .٤١ . الحمصى ١٠٤، ١٥٥ ، ٢٤٣ . نظرات ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٤ . بين للغمراوى ٢٥ ، طبارة ٤٨ ، ٩٦ . قصة ٤. الصابونى ١٢٥ . الإسلام للغمراوى س .

عتر ٣٧٨ . بوكاي ١٤٥ . محمد اسماعيل ٤ ، ٥٥. خلف ٢٥٤ . شبهات ١١١ . ١١٤٥ الإشارات ١٨٠ الأميرى ٥٢ . أمير ١٣٣ .

(٣٨) المنار ١/٢١٢ . شبهات ١١٤ .

(٣٩) دائرة ٥/٣٥٩ .

(٤٠) دائرة ٥/٣٦٠. العانى ١٨٤ . الذهبى ٢/٤٩١ .

(٤١) دائرة ٥/٣٦٠ – ١ . الذهبى ٢/٤٩١ .

(٤٢) دائرة ٥/٣٦١ . الذهبى ٢/٤٩٢ .

(٤٣) دائرة ٥/٣٦١ .

(٤٤) دائرة ٥/٣٦١ . الزرقانى ٢/٢٤٩ ، ٢٥٢ . الرسالة ٥٨١ . الفلسفة ١١ .١٧٤، ١٧٦ . التفكير ٦٢ . فقيهى ١٨٩ – ٩٠. الذهبى ٢/٤٩٢ . القطان ٢٧٠، ٤٢ . عرجون ٢٥٩ . قطب ١٨٢ ، ١٨٥٧ . يعقوب ١٢ الصباغ ٢٠٤ . عبد القادر ١٠٦ . محمد اسماعيل ٤٩. فودة ٢٤٤ ، ٢٤٦ .

(٤٥) أبو على ٣٣ . صالحة ١٠٥ .

(٤٦) دائرة ٥/٣٦١ .

(٤٧) دائرة ٥/٣٦١ – ٢ . شلتوت ٥٨١ . الذهبى ٢/٤٩٤ / يعقوب ١٢ – ٣ . زرزور ٣٠ .

(٤٨) دائرة ٥/٣٦١ . الذهبى ٢/٤٩٣ .

(٤٩) دائرة ٥/٣٦١ – ٢ . وانظر المنار ١/٢٠٨ .

(٥٠) دائرة ٥/٣٦٢ .

(٥١) دائرة ٥/٣٦٢ .

(٥٢) دائرة ٥/ ٣٦٢ .

(٥٣) دائرة ٥/٣٦٢ .

(٥٤) دائرة ٥/٣٦٢ . الزرقانى ٢/٢٥٠ . الذهبى ٢/٤٩٣ .

(٥٥) مناهل ٢/٢٤٩ . فقيهى ١٨٩ .

(٥٦) مناهل ١/١٨ . روائع ١٠٧ .

(٥٧) مناهل ١/١٩ . روائع ١٠٧ . خلف ٢٥٤ . حسب ٦ .
هندسة ١٠ .

(٥٨) مناهل ١/١٨ . حنفى ٣٤ .

(٥٩) مناهل ١/١٨ .

(٦٠) مناهل ١/١٩ .

(٦١) مناهل ١/٢٥١ . وانظر بشأن عيب الإسراف فى الكونيات .
عرجون ٢٦٤ . العانى ١٨٤ . فودة ٢٤٤ – ٥ ، ٢٥٠ .

(٦٢) مناهل ٢/٢٥١ . نظرات ١٣٠ .

(٦٣) مناهل ٢/٢٤٩ .

(٦٤) مناهل ١/١٨ – ٢/٢٥١ . السيد ١٧، ٢٥ ، عرجون ٢٧٦ . القرآن للفندى ١٦ . الغمراوى ٣٢ . الاستانبولى ٧٠٦ . فاضل ٣٢٠ . السويدى ١٦ ، ٣٥ . شوكت ٢٨ . النصيرات ٧ .

(٦٥) مناهل ٢/٢٥١ .

(٦٦) مناهل ٢/٢٥١ .

(٦٧) مناهل ٢/٢٥١ .

(٦٨) مناهل ٢/٢٥١ . دراز ١٨٠ . بين لنوفل ١٦٧ . عبد القادر ١٠٥ –٦ .

(٦٩) مناهل ٢/٢٥١ . بين لنوفل ١٦٧ . القرآن للفندى ٤٨ ، ٥٢ .

(٧٠) مناهل ٢/٢٧٨ .

(٧١) مناهل ١/١٧ .

(٧٢) مناهل ١/١٧، ٢/٢٥٠ .

(٧٣) نفسه . القطان ٢٧٢ –٣ .

(٧٤) مناهل ١/١٧ ، ٢/٢٥٠ .

(٧٥) مناهل ٢/٢٥٠. الحمصى ٩٨. عبد القادر ١٠٥ . فودة ٢٤٤.

(٧٦) نفسه . فودة ٢٤٤ . يعقوب ٦ .

(٧٧) نفسه . فودة ٢٤٤ .

(٧٨) مناهل ١/١٧ .

(٧٩) نفسه .

(٨٠) نفسه .

(٨١) مناهل ٢/٢٥٠ .

(٨٢) مناهل ٢/٢٥٣ .

(٨٣) مناهل ٢/٢٥٠ .

(٨٤) نفسه .

(٨٥) نفسه .

(٨٦) نفسه . عرجون ٢٥٨ .

(٨٧) مناهل ٢/٢٥٠ .

(٨٨) نفسه

(٨٩) نفسه .

(٩٠) الرسالة ٥٨٠ .

(★) نفسه

(٩١) نفسه .

(٩٢) الرسـالة ٥٨١ . الخطيب ١/٢٩ ، ٣٥ . قطب ١٨١ . فـودة ٢٤٤ . داود ٧٩ .

(٩٣) نفسه .

(٩٤) سورة الأنفال ٦٠ .

(٩٥) الفلسفة ١٢ .

(٩٦) الفلسفة ١٢ . القطان ٢٧٠ . فودة ٢٤٥ . صالحة ١٠٤ – ٥ .

(٩٧) الفلسفة ١١ .

(٩٨) الفلسفة ١١ .

(٩٩) الفلسفة ١٢ . القطان ٢٧٠ . زرزور ٢٨ .

(١٠٠) سورة آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ ، القطان ٢٧٠ .

(١٠١) سورة الروم ٨ . الفلسفة ١٢ . القطان ٢٧١ .

(١٠٢) الفلسفة ١٧٦ . التفكير ٥٩، ١٧٢ .

(١٠٣) الفلسفة ١٧٦ . التفكير ١٧٢ . الزرقانى ١/١٧ – ٨ .

(١٠٤) الفلسفة ١٧٦ .

(١٠٥) الفلسفة ١٣ . التفكير ٥٩، ٦١ . القطان ٢٧٢ .

(١٠٦) الفلسفة ١١ ، ١٧٤ . التفكير ٦٢ . القطان ٢٧٠ . فودة ٢٤٤ ، ٢٤٦ . صالحة ١٠٤ .

(١٠٧) الفلسفة ١٣ .

(١٠٨) الفلسفة ١٧٤، ١٧٦ .

(١٠٩) التفكير ٥٩ .

(١١٠) التفسير ٢/٤٩١ .

(١١١) التفسير ٢/٧ ، ٦ / ٩١ .

(١١٢) التفسير ٢/٧ ، ٦٠ / ٩١ . الخطيب ١/٢٨ . عرجون ٢٣٥،
٢٤٣ .أبو زهرة ٢٤٣ . العانى ١٨٤ . الدباغ ١١٢ .

(١١٣) التفسير ٢/٧ ، ٦٠/ ٩١ . السديس ٣٢ .

(١١٤) التفسير ٢/٧ . السديس ٣٢ .

(١١٥) التفسير٦/٩١ .

(١١٦) مباحث .٢٧ . العانى ١٨٤ . فودة ٢٤٤ .

(١١٧) مباحث ٢٧٠ ، ٢٧٢ .

(١١٨) إعجاز ١/٢٦ ، ٣٢ . أبو زهرة ٥٢٣ .

(١١٩) إعجاز ١/٢٦ .

(١٢٠) إعجاز ١/٢٧ . عرجون ٢٣١ .

(١٢١) إعجاز ١/٢٧ – ٨ .

(١٢٢) إعجاز ١/٢٨ . صالحة ١٠٦ .

(١٢٣) إعجاز ١/٢٨ .

(١٢٤) إعجاز ١/٢٨ .

(١٢٥) إعجاز ١/٢٨ .

(١٢٦) إعجاز ١/٢٩ .

(١٢٧) إعجاز ١/٢٩ .

(١٢٨) إعجاز ١/٢٩ ، ٣٥ . قطب١٨١ . عبد القادر ٩٢ ، ١٠٥ .

(١٢٩) إعجاز ١/٢٩ .
(١٣٠) إعجاز ١/٢٩ .
(١٣١) إعجاز ١/٢٩ .
(١٣٢) إعجاز ١/٣٠ .
(١٣٣) إعجاز ١/٣٠ .
(١٣٤) إعجاز ١/٣٠ .
(١٣٥) إعجاز ١/٣١ .
(١٣٦) إعجاز ١/٣٢ .
(١٣٧) إعجاز ١/٣٥ .
(١٣٨) إعجاز ١/٣٥ . الحواس ١٢ .
(١٣٩) إعجاز ١/٣٥ .
(١٤٠) القرآن ٢٥٧ .
(١٤١) القرآن ٢٥٨ .
(١٤٢) القرآن ٢٥٨ – ٩ .
(١٤٣) القرآن ٢٥٦ .
(١٤٤) القرآن ٢٦٠ .
(١٤٥) القرآن ٢٦٠ – ١ .
(١٤٦) القرآن ٢٦١ – ٢ .

(١٤٧) القرآن ٢٦٣ .

(١٤٨) القرآن ٢٣١ .

(١٤٩) نفسه .

(١٥٠) نفسه .

(١٥١) القرآن ٢٣٤ - ٤٤ ، وبخاصة ٢٣٦ .

(١٥٢) القرآن ٢٥٥ .

(١٥٣) نفسه .

(١٥٤) القرآن ٢٧٦ .

(١٥٥) فاطر ٢٨ .

(١٥٦) القرآن ٢٦٧ - ٨ . الغمراوى ٣٢ . حواس ١٢ .

(١٥٧) فى ١٨١ . القطان ٢٧٣ . يعقوب ١١ . الصباغ ٢٠٤ . شوكت ٥٦ . شعبان ٣٣٥ . فودة ٢٤٦ . صالحة ١٠٤ .

(١٥٨) فى ١٨١ . القطان ٢٧٤ . يعقوب ١٢ . الصباغ ٢٠٥ . فودة ٢٤٦ . صالحة ١٠٥ .

(١٥٩) فى ١٨٢ ، ١٨٥٨ . القطان ٢٨٤ . السديس ٣١ . الصباغ ٢٠٥ - ٦ . عبادة ١٦ . صالحة ١٠٥ .

(١٦٠) نفسها .

(١٦١) فى ١٨٢ -٣ . القطان ٢٧٤. السديس ٣١ . يعقوب ١٢ .

الصباغ ٢٠٦ . العـانى ١٨٤ . فـودة ٢٤٧ . صالحة ١٠٥ – ٦ .

(١٦٢) فـى ١٨٢ ، ١٨٥٨ . القطان ٢٧٥. يعقوب ١٢ . الصـباغ ٢٠٦ . فـودة ٢٤٧ . صالحة ١٠٦.

(١٦٣) فـى ١٨١ – ٢ . القطـان ٢٧٤ – ٥. يعـقـوب ١١ ، ١٢ . الصباغ ٢٠٤ ، ٢٠٧ . شبهات ١١١ . شوكت ٥٥ . فـودة ٢٤٥ – ٧ . صالحة ١٠٦.

(١٦٤) فى ١٨٢ . القطان ٢٧٥ . يعقوب ١٣ . الصباغ ٢٠٧ . فودة ٢٤٧ . صالحة ١٠٦ .

(١٦٥) لمحات ٢٠٣ .

(١٦٦) القرآن ١٠٥ .

(١٦٧) القرآن ١٠٥ – ٦ .

(١٦٨) القرآن ١٠٧ .

(١٦٩) القرآن ١٠٧ .

(١٧٠) القرآن ٢٦ .

(١٧١) القرآن ٣٠ . عبادة ٧٠ .

(١٧٢) القرآن ٣٠ .

(١٧٣) القرآن ٣٠ .

(١٧٤) القرآن ٣٠ .

(١٧٥) القرآن ٢٦ .

(١٧٦) الإسلام ٥٥ .

(١٧٧) الإسلام ٥٦ .

(١٧٨) المرشد ٢٥١ .

(١٧٩) الطب ١٦ .

(١٨٠) ٣٣.

(١٨١) ٣٤ .

(١٨٢) ٣٦ .

(١٨٣) ١٠٨ .

الفصل الرابع
أسباب التناول وأهدافه

كان أول من تعرض للآيات العلمية من عرفوا «بالتفسير» من الصحابة والتابعين . وكان ذلك فى تضاعيف حديثهم عن بقية الآيات ، لأنهم لم يفرقوا بين هذه وتلك . ومن ثم كانت الأسباب التى دفعتهم إلى تناولها هى الأسباب التى دفعتهم إلى تناول غيرها من الآيات ، أى الرغبة فى مجرد الشرح .

وقد ورث ذلك عنهم المؤلفون المعروفون فى تفسير القرآن ، غير من اعتنق منهم حيالها مبدأ خاصا ، جعلهم يعنون بها عناية فائقة، ويمنحونها تعاملا علميا واضحا ، من أمثال الفخر الرازى قديما، وطنطاوى جوهرى حديثا .

وفى القرن الرابع / العاشر ، ظهرت فى حياة الآيات الكونية فئة جديدة ، هى تلك التى خصت «إعجاز القرآن» بالتأليف . فقد ذهب بعضهم إلى أن إيراد القرآن لهذه الآيات أحد وجوه الإعجاز، وسموه – فيما بعد – الإعجاز العلمى . وكان أول من فعل ذلك منهم أولئك الذين حكى ابن سراقة أقوالهم . ثم تتابعوا حتى فاض بهم الفيض فى العصر الحديث .

وبدءا من السيوطى ، نجد عددا من المؤلفين فى «علوم القرآن» يعدون التفسير العلمي واحدا من هذه العلوم ، ويجعلونه أحد أبواب كتبهم .

وفى العصر الحديث ، استجدت أسباب متعددة ، دفعت كثيرين إما إلى التعرض للآيات العلمية فى بعض أبواب كتبهم ، أو إلى إفراد كتب مستقلة لها .

فكان هم محمد بن أحمد الطبيب الإسكندرانى تحبيب الناس فى العلوم الحديثة [١] ، وإثارة تفكيرهم فى الخلق [٢] . ويمكن القول بأن هذا صار هم أغلب الكتاب عن الإعجاز العلمى ، يقتصر عليه بعضهم ، ويضيف عليه بعض آخر أهدافا أخرى .

فكان ما أضافه طنطاوى جوهرى فى التفسير الدعوة إلى رقى المسلمين المستضعفين فى الأرض [٣] ، وفى «القرآن والعلوم العصرية» الدعوة إلى وحدة المسلمين فى أقطار العرب ، والأخذ بالصناعة الحديثة لتكون لهم مكانتهم اللائقة [٤] .

واستهدف محمد بخيت المطيعى الرد على ما وجهه الأوربيون إلى القرآن من مطاعن ، تزعم أنه يجافى العلم حتى كان السبب فى التأخر العلمى للمسلمين [٥] ، وإزالة اشتباه كثير من العلماء وجود تصادم بين القرآن وعلم الهيأة [٦] ، وعدم وجود كتاب واف بالغرض فى هذا الصدد [٧] .

وذكر د : محمد وصفى أن أول دافع له فقر التفاسير المختلفة للقرآن فى كل ماله علاقة بعلوم الطب [8] .

وقصد صلاح الدين خشبة إلى :

١ – التحذير من غرور الإنسان [9] .

٢ – التنبيه إلى نقص عقل الإنسان عن فهم ما حوله [10] .

٣ – التنبيه إلى أن الله هو العارف بالنافع والضار [11] .

٤ – التصديق بالإعجاز [12] .

٥ – إبانة أن القرآن دائرة معارف موجزة للعلم فى القرن العشرين [13] .

وأصدر على فكرى كتابه «القرآن ينبوع العلوم والعرفان» إذ رأى حقا لزاما على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعقل ويتبصر ويتفكر ويتدبر فى آيات الله ، لمعرفة جميع العلوم الكونية [14] . فوضعه – خدمة للدين والعلم والإنسانية – كتابا جامعا – بقدر الإمكان – لما جاء فى كتاب الله من العلوم . مع تفسير الآيات تفسيرا مختصرا مفيدا [15] .

وفى سنة ١٩٥٠، ألف محمد سعدى المقدم كتاب «شواهد العلم فى هدى القرآن» للرد على من هاجم القرآن ووصفه بأنه كتاب رجعى، أصبح لا محل له ولا موضوع فى عصرنا

الحديث [١٦] ؛ ومن هاجم كل الكتب السماوية وجهر بأنها ليست إلا مؤلفات لمؤلفين أذكياء ، أخرجوها ليسيطروا بها على عقول الناس الضعيفة فى عصورهم [١٧] . فاتخذ من معجزات القرآن التى يشهد بها العلم الحديث وسيلة إلى هذا الرد .

وذكر حنفى أحمد أنه وضع كتابه ليبحث فى تصوير القرآن للكائنات تصويرا يكشف عن دقيق معانيه ، ويبين ما فيه من آيات الإعجاز ، الدالة على صدق وحيه [١٨] وسمو رسالته [١٩]، إذ كانت الحاجة إليه ماسة فى هذا الزمان الذى التبس فيه الحق بالباطل [٢٠] ، وانصرف فيه جمهور المتعلمين من المسلمين عن مطالعة كتابهم والتدبر فيه ، لأنه ليس فيه من العلم الذى تثقفوا به ما يجذبهم إليه [٢١] . وكانت الدعوة إلى الاصلاح أكبر خدمة تسدى إلى المجتمع ، وأعظم واجب على كل قادر عليها [٢٢] .

فوضع هذا الكتاب وفاء للعهد والأمانة ، وإسهاما منه فى الإصلاح المنشود ، ليعرف منه من لا يعرف حقيقة رسالة القرآن ؛ وأنها رسالة هدى تقوم على العقل ، والعلم الذى ينفع الناس ويدين به علماؤهم ؛ وأنه احتوى على هذا العلم ليكون له آية فى نشر دعوته [٢٣] كلما انتشر العلم بين الناس ، وحجة قائمة على أهل العلم بصدق دعوته [٢٤] كلما اخترق العلم أستار الطبيعة [٢٥] .

وذكر عبد الرازق نوفل ، فى «الله والعلم الحديث» ، أنه يريد الرد على الملحد والمتشكك ، الذى يعتقد أن المدنية فى عدم الإيمان بالأديان ولا بالديان [٢٦] . فعزم على جمع بعض الأدلة العلمية ، فى العصر الحديث ، على وجود الله ، تمكينا للإيمان فى النفوس [٢٧] .

وسعى فى «الإسلام والعلم الحديث» إلى جمع الأدلة العلمية التى تثبت أن الإسلام هو دين الله[٢٨] ، وتوضيح أن العقائد والتكاليف الإسلامية هما ما ينادى به التقدم العلمى فى العصر الحديث لمصلحة الفرد وخير المجتمع [٢٩] .

وذكر الجماعة الذين قدموا للكتاب أنه أثبت نبوة محمد بن عبد الله [٣٠] ، وحاجة البشر إلى الأديان وبخاصة الإسلام [٣١] .

وذكر هو أيضا أنه أصدر «القرآن والعلم الحديث» ليؤكد الإعجاز العلمى [٣٢] .

وذكر أحمد الشرباصى أن حامد عبد الرحمن الغوابى (١٣٢٥ – ١٣٨٠/ ١٩٠٨ – ١٩٦٠) كان فى كتابه «بين الطب والإسلام» يريد أن يبين أن الإسلام قد سبق إلى كثير من الأصول والقواعد الطبية والصحية ، مما يعد شاهدا على صدق هذا الدين وأنه من عند الله [٣٣]، ويمكن القول بأن هذا هو هدف كل هذه الكتب ، مع تغيير كلمتى الطبية والصحية إلى العلمية .

وذكر عبد الحليم كامل أنه ألف كتابه ليكون دافعا للقراء على البحث والتدقيق (٣٤) ، وللعلماء ليظهروا للعالم أجمع ما فى القرآن من إعجاز وعلم (٣٥) .

وذكر د . محمد جمال الدين الفندى أن كتاب «من روائع الإعجاز فى القرآن الكريم» إحدى محاولاته لإثبات :

– أن القرآن تبيان لجمال ما صنع الله ، يريد الكون (٣٦) .

– التذكير بأنه – بالعلم وحده – فضل الله الإنسان على الملائكة (٣٧) .

وذكر فى «الله والكون» أن الذى دفعه إلى تأليفه :

– سد الثغرات التى تهدد فكرنا المعاصر (٣٨) .

– حنين إلى الماضى الزاخر بالإيمان والكرامة والعلم (٣٩) .

– مشاركة فى جهود الحاضر المجيد المتوج بالنصر (٤٠) .

ويمكن أن أضيف إليها : تحديد أسس (فلسفية علمية) تدعم الدين ، وتقوم الأخلاق ، وتعيد الثقة إلى النفوس ، وتوفر لها الطمأنينة (٤١) .

وذكر محمود أبو الفيض المنوفى أنه ألف كتاب «القرآن والعلوم الحديثة» للمسترشدين بالقرآن من أبناء الأمة الإسلامية ، ليقرر أن لا خلاف بين الدين والعلم أو بين القرآن وسائر المعارف

البشرية فى أى زمان أو مكان ، وأن القرآن - زيادة على ذلك - هو المصدر الوحيد للتسامى بالعلم والمعرفة إلى ما يجارى وجه الحقيقة المطلقة (٤٢) .

ولم يذكر د . محمد أحمد الغمراوى سببا لتأليف كتاب «بين الدين والعلم» . ولكننا نستطيع أن نخمنه من ردوده فى تضاعيف الكتاب على الملحدين ، وفى تمنيه أن ينشأ علم توحيد جديد ، أساسه طريقة العلم الحديث ويقينياته بدلا من علم الكلام ، الذى أساسه الفلسفة التى لا معيار للحق فيها ولا ضابط يرجع إليه عند اختلاف الآراء . أما العلم فيريح من البلبلة ويحل النظام محل الفوضى ، لأنه لا يقبل فرضا لا يمكن اختباره وينبذ كل فرض لا يتفق مع الحق الواقع ولو فى جزئية واحدة (٤٣) .

ويضىء هذا الحدس قول محمد عبد الله السمان فى مستهل الكتاب : موضوع البحث بين الدين والعلم ، وهو موضوع حرى بأن يكون له قراؤه فى مثل هذه الآونة ، ونحن نرى العلم يكاد يسيطر سيطرة تامة على الحياة فى أرجاء المعمورة (٤٤) .

واستهدف أحمد عبد السلام الكردانى اختصار كتاب «الإسلام فى عصر العلم» للدكتور محمد أحمد الغمراوى ، وتقديم نماذج منه .

وذكر محمود مهدى الاستانبولى أنه ألف كتابه ليكون نورا مبينا مع المؤمنين من الدعاة والمبشرين بالإسلام (٤٥) ، وليوقظ ضمائر الغافلين والمنكرين له من العلماء (٤٦) .

وذكر د . السيد الجميلى أنه ألف كتابه استجابة لاقتراح صديق له (٤٧) أن يضع كتابا طبيا أدبيا يتناول فيه دراسة مواضيع الطب فى القرآن ، وأن مما شجعه على ذلك أن يسد ثغرة طالما بقيت جوفاء ، لم يقترب أحد منها إلا قلة لم يوفوها حقها ، بل تناولوا المواضيع السهلة ومن زوايا خاصة ، وتفادوا المواضيع والمباحث العميقة (٤٨) .

وسعى محمد إبراهيم إسماعيل إلى الرد على من بهرهم ما وصل إليه أهل أوربا وأمريكا من تفوق ظاهر ، فى العلوم والفنون والآداب وبخاصة علم التكنولوجيا ، وسبْق فيها للدول الإسلامية بأشواط بعيدة ؛ الأمر الذى جعل ضعاف العقول يسيئون الظن بالإسلام ، ويحسبون أنه سبب قصورهم وتخلفهم فى ذلك المضمار (٤٩).

واستهدف خلف محمد الحسينى إثبات أن القرآن لم يترك شيئا يحتاج إليه العباد فى حياتهم الدنيوية والأخروية ، ولم يلجئهم إلى مصدر آخر يحكمونه فيما يعرض لهم من مشكلات الحياة (٥٠) .

وحاول د . يوسف السويدى وضع ما توصل إليه العلم التجريبى الحديث فى خدمة الإسلام بطريقة مدروسة ومنظمة (٥١) . وتسليط الأضواء على تراثنا العلمى الزاهر ، ليكون عونا لأبنائنا على استرداد الثقة بأنفسهم وأمتهم فى مجال الإبداع العلمى (٥٢).

ورمى إبراهيم حسن النصيرات إلى تحقيق وتوثيق ما قاله العلماء المسلمون حول الآيات القرآنية التى تؤكد حقائق جغرافية ثابتة (٥٣) .

وسعى د . منصور حسب النبى إلى الكشف عن قدرة ووجود ووحدانية الله من جهة ، وإثبات نبوة محمد ، لغير المؤمنين به من جهة أخرى (٥٤) ، رغبة منه فى الاقتراب من الله (٥٥) .

وأعلن د . عبدالله عبادة أنه لا يحب كلمة تفسير عصرى للقرآن يحاول صاحبه أن يربط بين القرآن والنظريات الحديثة ، لأنه يربط بين ثابت محفوظ ومتغير قد يتضح خطؤه بعد فترة وجيزة (٥٦) .

ووصف كتابه بأنه ليس تفسيرا خاصا ، ولكنه تطبيق لكلام المولى وأحاديث الرسول على الحقائق التى اكتشفت بعد قرون من البعثة (٥٧) .

وأراد د . عبد العليم عبد الرحمن خضر الرد على سيد قطب ، فصرح فى «المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم» بأنه يتابع فيه إخراج الناس من الهزيمة الداخلية التى تخيل للبعض منهم أن العلم هو المهيمن ، والقرآن هو التابع (٥٨) .

وعد أ . د . فؤاد أحمد البدرى كتاب «إعجاز القرآن فى حواس الإنسان» للدكتور محمد كمال عبد العزيز . فى أثناء تقديمه له - عده خطوة من القرن العشرين لشرح بعض إعجاز القرآن ، ليتضح لنا - فى عصر الفضاء والصواريخ - أن هذا الإعجاز كان يفوق ما يمكن أن يصل إليه التفكير البشرى فى الأربعة عشر قرنا الماضية ، ولا زال فيه ما سينكشف لمن بعدنا على مر القرون القادمة ويعجز عقلنا الآن أن يصل إليه (٥٩) .

وذكر د . يحيى سعيد المحجرى أن الغرض من كتابه عرض بعض التطورات العلمية الأخيرة فى مختلف المجالات ، وشرح كيفية الاستفادة منها ، فى فهم معان وتفسيرات جديدة للمختار من الآيات القرآنية (٦٠) .

★

ومجمل القول : إن أقدم البواعث التى حملت المسلمين إلى الحديث فى هذا الحقل هو السعى إلى تفسير القرآن ، سواء ما تعلق منه بالكونيات وما لم يتعلق . ولم يكن هناك فرق بين تناولهم

هذه الآيات أو تلك إلا عند نفر قليلين ، يمثلهم الفخر الرازى قديما ، وطنطاوى جوهرى حديثا .

ثم جعله أصحاب الإعجاز القرآنى أحد وجوه الإعجاز ، وتناولوه على هذا الأساس ، لإبانة دلالة هذه الأبيات على وجود الله ووحدانيته وعظمته وقدرته .. الخ ، ودفعه المسلمين إلى التأمل والتفكير بغية الاعتبار .

وتلاهم المؤلفون فى علوم القرآن ، وسلكوا مسلك أصحاب الإعجاز .

ومنذ مطلع القرن العشرين ، شاعت عند أكثر الكاتبين الرغبة فى الرد على من يتهمون القرآن بالجمود ومجافاة العلم والسبب فى تأخر المسلمين ، تلك التهم التى كالها الأوربيون ، فتلقفها عنهم الملحدون والمتشككون والمبهورون بالحضارة الغربية .

ومن الطبيعى أن توجد أسباب فردية عند بعض الكتاب ، ولكن الذى يستوقفنا منها :

– إشارة د . محمد جمال الدين الفندى إلى رغبته – التى انفرد بها – فى تجلية جمال الكون.

– ورغبته إلى وضع «أسس فلسفية علمية» تدعم الدين وتعيد الثقة إلى النفوس ، تلك الرغبة التى بلورها د . محمد أحمد

الغمراوى فى دعوة إلى إنشاء «علم كلام جديد» يرتكز على التطابق ما بين القرآن والعلم .

– تصريح محمود مهدى الاستانبولى بالرغبة فى وضع نتائج بحثه بين أيدى الدعاة إلى الإسلام ليستندوا إليها فى دعوتهم .

– رغبة السويدى والنصيرات فى تسليط الأضواء على التراث العلمى العربى .

الهوامش

(١) الحمصى ٢٠٩ ، ٢١٥ . الذهبى ٢/٤٩٧ . بين لنوفل ٧ .

(٢) الحمصى ٢٠٩ ، ٢١٥ . الذهبى ٢ / ٤٩٧ . عبد الحليم ٧ .

(٣) الحمصى ٢٢٤ . الذهبى ٢/٥٠٦ .

(٤) الحمصى ٢٢١ .

(٥) تنبيه ٢ . توفيق ٢ . شوقى ٧ . الشاعر ١١٢ . الطب لسليمان ١٠ - ١ .

(٦) توفيق ٢ . الإسلام لنوفل ٥ . بين لنوفل ٥ ، ٧ . المنوفى ٤ . الغمراوى ط . الله والكون ٥ . السويدى ٧ . حسب ٩ . الإنسان ٥ . الظواهر ١٠.

(٧) توفيق ٢ . وصفى ٥ . شوقى ٧ ، ٨.

(٨) القرآن ٥ .

(٩) رسالة ٤ .

(١٠) رسالة ٤ .

(١١) رسالة ٤ .

(١٢) رسالة ٣ .

(١٣) رسالة ٣ .

(١٤) ١٤/١ .

(١٥) ١٦/١ . السويدى ٧ .

(١٦) ٤ . عبد الحليم ١١ ، ١٦ . القرآن للفندى ١٢ . الحسينى ٧ .
هندسة ٩ .

(١٧) ٤ .

(١٨) التفسير ٥ .

(١٩) التفسير ٥ .

(٢٠) التفسير ٥ .

(٢١) التفسير ٨ .

(٢٢) التفسير ٩ .

(٢٣) التفسير ٩ .

(٢٤) التفسير ٩ .

(٢٥) التفسير ٩ .

(٢٦) ٦ . القرآن ٦ . بين ٧ . حسب ٨ ، ٩ . النصيرات ٩ .

(٢٧) ٦ .

(٢٨) ١٤ . شوقى ٦ .

(٢٩) ١٤ .

(٣٠) ١٠ . حسب ٥ ، ٩ .
(٣١) ١٠ . القرآن ٦ . محمد ١٢ .
(٣٢) القرآن ٦ . عبد الحليم ١٦ . روائع ٥ .
(٣٣) ٧ . حسب ٩
(٣٤) القرآن ٧ .
(٣٥) القرآن ١٦.
(٣٦) ٥ .
(٣٧) ٥ .
(٣٨) ٥ . الجميلى ١٠.
(٣٩) ٥ .
(٤٠) ٥ .
(٤١) ٥٢ .
(٤٢) القرآن ٤ .
(٤٣) ٢٣ .
(٤٤) ٣ .
(٤٥) إعجاز ٧ .
(٤٦) إعجاز ٧ .
(٤٧) الإعجاز ١٠.

(٤٨) الإعجاز ١٠ . شوقى ٦ .
(٤٩) القرآن ٤ . شوقى ٧ . الشاعر ١١٢ .
(٥٠) القرآن ٨ .
(٥١) الإسلام ٧ .
(٥٢) الإسلام ٩.
(٥٣) ظواهر جغرافية ٨ - ٩ .
(٥٤) الكون ٥
(٥٥) الكون ٩.
(٥٦) الطب ١٦.
(٥٧) الطب ١٧.
(٥٨) ١٩.
(٥٩) ٨ .
(٦٠) آيات ١١.

الفصل الخامس

تسمية الآيات الكونية

لما كان العلماء قد اختلفوا في النظر إلى الآيات الكونية ، بين رافض ومؤيد ، ومضيق – في تأييده – وموسع ، فقد اختلفوا أيضا في تسمية ما أورده القرآن ، وفي طريقة الإشارة إليه .

وأقدم التعبيرات التي وصلت إليها عما أورده القرآن هي «أصول العلم» ، ذلك التعبير الذي نطق به أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ / ٩٩٤ – ١٠٦٦) تعليقا على قول ابن مسعود بأن القرآن جمع علم الأولين والآخرين (١) . وتبعه فيه غيره (٢) .

ولما كان أبو حامد الغزالي من المغالين في احتواء القرآن على العلوم ، فقد أعطانا عدة تعبيرات . أعلن في أحدها أن القرآن بحر لا ساحل له (٣) ، وفي ثانيها أن فيه إشارات إلى مجامع العلوم(٤) ، وفي ثالثها : جملة أوائل العلوم (٥) ، وفي آخرها : الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها (٦).

وقد تبعه المطيعى والخطيب فى التعبير الأول [٧] ، وحنفى أحمد فى التعبير الثانى غير أنه حوره إلى «جوامع من العلم» [٨]، وأمين الخولى فى التعبير الثالث غير أنه جعله «جمل العلوم» [٩].

ولم أعثر على من تابعه فى الرابع ، غير أن الحمصى جعله - وهو يصور مذهب الغزالى والرافعى - «مبادىء العلوم» [١٠] .

كذلك لم أر مصطلح «الموازين» عند غيره . ولكن بعض من تلاه استفاد من وصفه إياها بفتح أبواب الحكمة ، فسماها مفاتيح [١١] . وفسرها د. محسن عبدالحميد بأن القرآن يحتوى على العلوم بالقوة ، أى أنه يجلب نظرنا إلى القوانين المتنوعة الموجودة فى الكون لندركها ، وأننا لا نقدر على ذلك ما لم نطلع على المعارف ، فعلى ضوئها نفهم كثيرا من أسرار القرآن [١٢] .

ووصف الطبرسى القرآن بـ «ينابيع العلوم بل بحارها» [١٣] . فإذا كان اعتمد على الغزالى فى وصفه بالبحر ، فقد اعتمد عليه المطيعى فى وصفه بالينبوع [١٤] ، وهو الوصف الذى اتخذه على فكرى عنوانا لكتابه .

وقال السيوطى : أما أنواع العلوم ، فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها [١٥] .

أما الأبواب فلم أجد من استعملها بعده فى هذا الشأن ، وأما المسائل فقد استعملها كثيرون .

وذكر محمد بن محمد المعروف بأبى السعود (٨٩٨ - ٩٨٢ / ١٤٦٣ - ١٥٧٤) أن القرآن متضمن لدقائق العلوم النظرية والعملية ، ومنطو على دقائق الفنون الخفية والجلية [١٦] .

وذهب حنفى أحمد مذهبه ، حين صرح بأن أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون فى عبارات القرآن معانى دقيقة ، تنطوى على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق [١٧] .

وسار مصطفى الدباغ فى ركابه ، إذ صرح بأنه على الرغم من أن القرآن ليس كتاب علوم إلا أنه جاء بوصف شامل عن العالم المادى ، فى صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الصحيح [١٨].

وسمى محمد بن أحمد الطبيب الإسكندرانى (١٣٠٦ / ١٨٨٩) أحد كتبه «الأسرار النورانية القرآنية» والآخر «تبيان الأسرار الربانية» . وذكر الحمصى أن قارىء كتبه يستنتج أن القرآن يحوى أسرار العلوم والكون [١٩] . واحتضن كثيرون بعده هذه الكلمة [٢٠] .

ووصف عمر طه العطار (١٢٤٢ - ١٣٠٨ / ١٨٢٦ - ١٨٩٠) القرآن بـ «كنز دقائق العلوم» [٢١]، وعبدالرحمن بن أحمد الكواكبى

(١٢٦٥ - ١٣٢٠/ ١٨٤٩ - ١٩٠٢) بـ «شـــمس العلوم وكنز الحكم» [٢٢] .

ود. الحاج محمد وصفى بـ : «كنوز العلوم والفنون» [٢٣] ، ومحمد إسماعيل إبراهيم بـ «كنز العلوم والمعارف» لوجود ثروة منهما فيه [٢٤] .

واستخدم صاحب تفسير المنار مصطلح الحقائق العلمية [٢٥] . فصار المصطلح الذى تلوكه الألسنة ، وتدونه الأقلام ، فتتعذر متابعته .

ووصف أحمد أمين الديك القرآن بـ «مستودع كثير من علم وشرع وحكمة» [٢٦] .

وأعلن الرافعى أن بعض العلماء استخرج من القرآن مايحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية [٢٧] ، وأن القرآن أشار إلى نشأة هذه العلوم ، وإلى تمحيصها وغايتها [٢٨] . وأرجح أنه أراد بالنشأة ما جعله الحمصى مبادىء هذه العلوم [٢٩] .

واستخدم حنفى أحمد - إلى جوار الحقائق - مصطلح القضايا العلمية [٣٠] ، الذى لقى الذيوع ، ولكنه لم يبلغ مبلغ زميله [٣١] .

ووصف د. محمد حسين الذهبى العلماء الذين ذهبوا إلى احتواء القرآن للعلوم بأنهم حاولوا أن يجعلوا القرآن «منبع العلوم كلها ، ماجدّ منها وما يجدّ إلى يوم القيامة» (٣٢) .

وأعلن د. عبدالحليم كامل أن القرآن أتى بالقواعد العامة ، على الرغم أنه ليس بكتاب علوم (٣٣) .

وذهب د. محمد جمال الدين الفندى إلى أن القرآن ذكر جانبا من الحقائق العلمية (٣٤) . فتبعه د. عبدالله شحاتة (٣٥) .

ونعت محمود أبو الفيض المنوفى القرآن بالمصدر الوحيد للتسامى بالعلم والمعرفة (٣٦) ، والموسوعة الكبرى بكل معرفة أو معتقد (٣٧) ، والمرجع الأعظم للعلوم والمعارف الطبيعية والروحية والإلهية (٣٨) فتابعه غيره ، بالوصف بالمرجع (٣٩) .

وذهب أحمد بعدالسلام الكردانى إلى أن ما أورده القرآن هو أمهات الحقائق (٤٠) .

وسماه محمود مهدى الاستانبولى القوانين الطبيعية للكون(٤١) ، ومحمد إسماعيل إبراهيم نهاية العلم الذى يصل إليه العلماء كلما جد جديد فى بحثهم (٤٢) ، ود. عبدالحميد دياب وزميله : أسس العلوم (٤٣) ود. عبدالله شحاتة بذور التقدم العلمى(٤٤) .

★

فتبين من هذه الجولة أن بعض الدارسين احترز فوصف الكونيات بأصول العلم ومجامعها وجملها وأمهاتها وأسسها، وبالبذور . وأفرط بعضهم فجعلها بحارا وينابيع وكنوزا ، وموسوعة كبرى ، ومرجعا أعظم ، ونهاية العلم ، واستخدم بعضهم مصطلحات لاتدل على العدد ولا النوع مثل المسائل ، والحقائق ، والقضايا والقواعد ، بل بالغ بعضهم وتجاوزوا إلى نعتها بالعمومية. وكانت تلك هى المصطلحات التى شاعت مع مصطلح «أصول العلم» . ونجد بين أيدينا مصطلحات ما كادت تولد حتى ماتت ، إما لغموضها مثل الموازين ونشأة العلوم ، أو لمبالغتها مثل نهاية العلوم.

وإذا انتقلنا إلى طريقة الإشارة إلى العلوم الواردة فى القرآن، انتصب الغزالى ثانية أمامنا ، بصفته أقدم من وجدنا عنده شيئا من هذا القبيل .. فقد رأيناه استخدم كلمات الإشارات والرموز والدلالات (٤٥) .

أما كلمة الإشارة ومشتقاتها فقد دارت على الألسنة والأقلام ، بحيث من العبث محاولة تتبعها . وقد بلغ الأمر بمحمد وفا الأميرى أن سمى كتابه بها .

وأما الدلالة فقد رأينا السيوطى يستخدم الفعل منها (٤٦) .

وأما الرمز فقد استخدمها مصطفى فائق فى قوله : لم يترك فيه أمرا ضارا أو نافعا إلا أشار إليه بنصه أو رمزه (٤٧) .

وكذلك قال الغزالى : فإن جميع العلوم غير موجودة فى القرآن بالتصريح (٤٨) .

وتبعه عمر طه العطار، فقال عن القرآن : ما من شىء إلا ونصه فيه ، إما بالتصريح أو بالإيماء لمن يعيه (٤٩) .

وسار على دربهما عبدالرحمن الكواكبى إذ قال : يجد المدقق فى القرآن أكثر الحقائق الحديثة ، ورد به التصريح أو التلميح منذ ثلاثة عشر قرنا (٥٠) .

وعبر المطيعى عن الفكرة نفسها فى قوله : ما من شىء يخترعه مخترع أو يكتشفه مكتشف إلا تجد - عند التحقيق - أن القرآن أتى عليه بمنطوق عبارته أو إشارته ، أو مفهوم الموافقة أو المخالفة (٥١) . فزاد العنصر الأخير .

وذهب د. عبدالقادر حسين إلى أن القرآن قد يشير إلى بعض الحقائق إشارة مجملة لا تفصيل فيها (٥٢) . ولكن بوكاى ذكر أن القرآن أتى بتفاصيل أذهلته دقتها (٥٣) .

وتبع مصطفى صادق الرافعى عمر العطار فى استخدام مصطلح الإيماء (٥٤) ، وعبدالرحمن الكواكبى فى استخدام مصطلح التلميح (٥٥) .

ورأينا آنفا محمد مصطفى المراغى يصف الأصول العلمية التى أوردها القرآن بالعمومية ، فتبعه غيره (٥٦) ، ومحمد الحسينى الظواهرى بالكلية ، فتبعه غيره (٥٧) .

أما محمد الصادق عرجون الرافض للتفسير العلمى فقد وصف الإشارات الكونية فى القرآن بأنها قد وردت فيه ورودا عابرا، اقتضاه المقام فى ذكر قصة أو عظة ، دون أن يقصد إليها فى ذاتها(٥٨) .

وابتدع عفيف عبدالفتاح طبارة عددا من المصطلحات حين قال : لم تخل آيات القرآن من التعبيرات الدقيقة ، والإشارات الخفية (٥٩) .

ووصف محمد أبو زهرة هذه الإشارات بالبيان ، والوضوح ، والصدق (٦٠) .

وسماها يعقوب يوسف اللفتات العلمية ، وسمى كتابه بها ، فتبعه جماعة (٦١) .

ووصفها د. محمد أحمد الغمراوى بالكافية (٦٢) ، وأحمد عبدالسلام الكردانى بالمبهمة أحيانا (٦٣) ، ود. حسن ضياء الدين عتر بالناصعة (٦٤) .

وجمع محمد إسماعيل إبراهيم أكبر عدد من المصطلحات فى قوله : إن القرآن عندما يعرض أى قضية من قضايا الكون

العلمية، لا يعرضها بأساليب البشر ، باستعمال المقدمات والدلائل والمعادلات واستنباط النتائج ، وإنما يقدمها بالإشارة أو الرمز أو المجاز أو الاستعارة أو بالعبارات التى تومض فى العقل بنور روحى باهر (٦٥) .

واستخدم محمد وفا الأميرى مصطلح «المفاهيم» استخداما مقاربا لمصطلح الإشارات (٦٦) .

وانفرد مصطفى الدباغ بالقول بأن القرآن جاء بوصف شامل عن العالم المادى . وذكر أبو على أن هذه الكونيات دلائل وأحوال لتقريب معنى الآية إلى الأذهان (٦٧) .

ونستبين من هذا أن الغالبية العظمى استخدموا مصطلحات تشعر بالتحرز غيرمحمد أبوزهرة ، وأن الدباغ وصل إلى أقصى مدى فى التجاوز ، فظهر البون بينه وبين غيره شاسعا .

الهوامش

(١) معترك ١/١٤. الإتقان ٢/١٥٠. الإكليل ٥ .

(٢) النيسابورى ٧/١٤٢ . الإتقان ٢/١٥٠ . الخولى ٥/٣٥٨. على فكرى ١/١٦. حنفى ٥، ٣٨ . الحمصى ١٠٢، ١٩٢، ٢١٨ . القرآن لنوفل ٢٣ – ٤ ، ٢٦. السيد ١٩ ، ٢٠ بين لنوفل ١٥١. الذهبى ٢/٤٨٤. عبدالحليم ١٣ . المنوفى ٤٩ . الرازى لمحسن ٢٧٩ . محمد إسماعيل ٦. الدباغ ٧٤ . أبو على ٣٥ . منهج ٢٠١.

(٣) الجواهر ٢٦ ، ٢٨ .

(٤) إحياء ٣/١٣٥ – ٦ جواهر ٢٧ – ٨ . الخولى ٥/٣٥٧ . حنفى ٢٨ . الحمصى ٩١ . الذهبى ٢/٤٧٦ . فاضل ٣٠١ .

(٥) الجواهر ٢٨ .

(٦) الرازى لمحسن ٢٧٩ .

(٧) تنبيه ٧ . إعجاز ١/١٩ .

(٨) تفسير ٥ ، ٣٨ . الدباغ ٧٤ .

(٩) دائرة ٥/ ٣٥٧ . وانظر الحمصى ٢١٨ .

(١٠) فكرة ٩٨ ، ٣٣٣ . وانظر حنفى ١/٨ .

(١١) الرازى لمحسن ٢٧٩ . من آيات ٤ . الظواهر ٩ .

(١٢) الرازى لمحسن ٢٨٠ .

(١٣) مجمع ١/٤ .

(١٤) تنبيه ٤ ، ٧ ، ٨ .

(١٥) الإتقــان ٢/١٥٠ . الذهبى ٢/٤٨٤ . الرازى لمحــسن ٢٧٩ .
أبو على ٣٥ .

(١٦) إرشاد ١/٤ .

(١٧) تفسير ٥-٦ . محمد إبراهيم ٢٠١ .

(١٨) وجوه ٧٤ .

(١٩) فكرة ٢١٠-٢ .

(٢٠) الكردانى ٣ . شعبان ٣٣١ . من آيات ٤ . كامل ٧ .

(٢١) على فكرى ١/١٥ .

(٢٢) طبائع ٤٣ . الذهبى ٢/٤٩٨ .

(٢٣) القرآن ٤ .

(٢٤) القرآن ٥، ٦، ٦٤، ١٧٤ .

(٢٥) ١/٢١٠ .

(٢٦) القرآن ٢.

(٢٧) إعجاز ١٤٢ .الحمصى ٢١٨ . دياب ١٢ . شحاتة ١٦١.

(٢٨) إعجاز ١٤٣ . الذهبى ٢/٥٠٢ . شحاتة ١٦١ .

(٢٩) فكرة ٣٣٣ .

(٣٠) تفسير ٣٣، ٤١ – ٣ .

(٣١) القرآن للفندى ٤٨، ٥٢ . من روائع ٣، ١٠٥، ١٠٧. الغمراوى ٢٦٧ . الكردانى ٩، ٧٥ . شحاتة ١٥٨ .

(٣٢) التفسير ٢/٤٨٤ . محسن ٧٨ . الرياضيات ١٠ .

(٣٣) القرآن ١٣ .

(٣٤) من روائع ١٠٥ .

(٣٥) علوم ١٥٨ .

(٣٦) القرآن ٤ .

(٣٧) القرآن ٥ .

(٣٨) نفسه .

(٣٩) عطا ٢٥٨ . السويدى ١٣ .

(٤٠) نماذج ١٠١ .

(٤١) إعجاز ٦ .

(٤٢) القرآن ٥٥ – ٦ .

(٤٣) مع الطب ١٢ .

(٤٤) علوم ١٦١ .

(٤٥) إحياء ٣/١٣٥ . الخولى ٥/٣٥٧ . حنفى ٢٨ . الحمصى ٩١.
الذهبى ٢/٤٧٥ . فاضل ٣٠١ .
(٤٦) وانظر الرافعى ١٤٢ .
(٤٧) على فكرى ١/١٥ - ٦ .
(٤٨) الرازى لمحسن ٢٧٩ .
(٤٩) على فكرى ١/١٥ .
(٥٠) طبائع ٤٤ . وانظر على فكرى ١/١٥ . الذهبى ٢/٤٩٩.
(٥١) تنبيه ٢٤ .
(٥٢) القرآن ١٠٦ .
(٥٣) دراسة ١٤٥ . الكومى ٢٣ .
(٥٤) إعجاز ١٤٢ .
(٥٥) إعجاز ١٤٢ . الذهبى ٢/٥٠١ .
(٥٦) بين للغمراوى ٤٦ ، ٥٢ . القرآن للفندى ٤٨ ، ٥٢ . روائع ١٠٥ ، ١٠٧ . عبدالحليم ١٣ . يعقوب ١٣ . المنوفى ٤٩ . الإسلام للغمراوى ٣٦٦ ، ٣٧٠ . الظواهرى ٣٠٣ .
(٥٧) على فكرى ١/٨ . المنوفى ٤٩ . الإسلام للغمراوى ٢٦٧. الكردانى ٩، ٧٥ . محمد إسماعيل ٢٨ .
(٥٨) القرآن ٢٥٦ ، ٢٥٨ . شوكت ٥٦ . منهج ٢٥٧ - ٨ .

(٥٩) روح ٤٨ . الصابونى ١٢٥ . داود ٨٠ .
(٦٠) المعجزة ٥٢٣ .
(٦١) أمير ١٣٣ . الظواهر ٢٠ .
(٦٢) الإسلام ٣٧٠ .
(٦٣) نماذج ٣ .
(٦٤) بينات ٣٧٨ .
(٦٥) القرآن ٥٥ . وتبعه فى استخدام الومضات آفاق ٤. الظواهر ٩. أرناؤوط ٧ .
(٦٦) الإشارات ٨٠ .
(٦٧) وجوه ٧٤ .
(٦٨) فى إعجاز ٣٦ .

الفصل السادس

إحصاءات

اكتفى كثيرون ممن كتبوا عن الآيات الكونية فى القرآن بوصفها بالكثرة . وتعدى الرازى هذا إلى وصف القرآن بالامتلاء بها ، كما سبق .

وقال الغازى أحمد مختار : لا تكاد تقلب من المصحف بضع صفحات حتى تجد آية فى أسرار الكائنات وأحوال السماء منظومة فى نسقها بمناسبة من أبدع المناسبات (١) .

وقال موريس بوكاى إن القرآن يصف حشدا كبيرا من الظاهرات الطبيعية (٢) ، ومحمد إسماعيل إبراهيم : فى القرآن ثروة من العلوم والمعارف ، وكنز من القوانين والنواميس ، التى أودعها الله فى الكائنات والمخلوقات (٣) .

ووصف حنفى أحمد حديث القرآن عن الكونيات بتفرق

الأجزاء بين السور والآيات [٤]، ومصطفى الدباغ بأنه مبثوث فى القرآن [٥]، ود. أمير عبدالعزيز بأنه متفرق مبسوط فى كثير من السور [٦] .

وكان الحسن البصرى - فيما رأينا - أول من قام بمحاولة إحصائية فى مجال ما يتضمن القرآن من علوم ، عنى فيها بما تضمنه من كتب منزلة قبله . وتبعه فى هذا الاتجاه الراغب الأصفهانى .

واختط أبو حامد الغزالى لنفسه اتجاها آخر . فقد اكتفى ذات مرة بالقول بأن علوم القرآن لا نهاية لها ، ومثل ذلك من الأقوال العامة. [٧] وعمد إلى التحديد فى مرة أخرى ، فجعلها ٧٧٢٠٠ علم [٨] . وتبعه فى هذا الاتجاه أبوبكر بن العربى ، غير أنه جعلها ٧٧٤٥٠ علم ، على عدد كلم القرآن - فيما قال - مضروبة فى أربعة ، إذ لكل كلمة ظهر وبطن ، وحد ومقطع [٩] .

وسلك طنطاوى جوهرى طريقا ثالثا ، عمد فيه إلى إحصاء الآيات التى تتناول موضوعات شتى فى القرآن . فأعطانا أولا - عن الآيات الكونية - رقما واسعا . فذكر أنه ورد فى هذا الكتاب

المقدس ما بين ٧٠٠ و٨٠٠ آية كلها فى الكون والإحاطة به [١٠] . ثم مال إلى تحديد أكثر ، فذكر مرة أنها تربو على ٧٥٠ [١١] ، وفى أخرى أنها ٧٥٠ [١٢] ، وفى ثالثة أنها نحو ٧٠٠ [١٣] ، وفى رابعة ٧٠٠ [١٤] .

وأورد محمد الصادق عرجون أدنى عدد . فنقل عن بعض الباحثين أنها تبلغ أكثر من خمسمئة آية [١٥] .

وإذا كان د. محمد جمال الدين الفندى قد تابع فى «من روائع الإعجاز» أحد أقوال طنطاوى جوهرى ، فقد خالفه فى كتابه «القرآن والعلم» - الذى أصدره قبله بسنة واحدة - ووصل بالإحصاء إلى أعلى أرقامه فصرح أن فى القرآن مايزيد على تسعمئة اية تدخل جميعها تحت نطاق العلوم [١٦] .

وجعل د. محمد أحمد الغمراوى الآيات الكونية فى القرآن لاتقل عن ثمانمئة [١٧] . ورفعها د. منصور حسب النبى إلى أكثر من ثمانمئة [١٨] .

وسلك عبدالرازق نوفل اتجاها آخر ، نظر فيه إلى لفظ العلم ومشتقاته . فذكر أنها تتردد حوالى ٥٨٠ مرة ، وأن القرآن وصف

الله بالعلم حوالى ١٦٢ (١٩) .

كذلك فعل محمد محمد أبوشهبة ، فذكر أن القرآن زخر بهذا النوع من الآيات ، وكثرت كثرة زادت على آيات الأحكام ، ولا سيما في القسم المكى (٢٠) .

الهوامش

(١) الرافعى – ١٤٦ – ٠٧.

(٢) دراسة ١٤٥ . على ٥ . الكومى ٢٣ .

(٣) القرآن ١٦٤ .

(٤) التفسير ٦ .

(٥) وجوه ٧٤ .

(٦) دراسات ١٣٣ .

(٧) إحياء ٣/١٣٥ . حنفى ٢٨ . فاضل ٣٠١ .

(٨) إحياء ٣/١٣٥ . الذهبى ٢/٤٧٤ .

(٩) معترك ١/٢٣ . الإتقان ٢/١٤٩ . الزرقانى ١/١٦ . الذهبى ١/١٦ . قمحاوى ٣/١٣ .

(١٠) التاج ٩٠ .

(١١) الجواهر ١/٣. ٢٥/٥٣ . الحمصى ٢٢٣ . السديس ٢٥. الصباغ ٢١٠ .

(١٢) التاج ١٠٤ .

(١٣) التاج ٣١ ، ٩١ .. السيد ٢٠ . القرآن لنوفل ٢٥ . محمد ٨٨. روائع ١٠٥ . سلطان ٤٣ . شحاتة ١٥٨ .

(١٤) الجواهر ٣/١٩. السديس ٢٨ . الاستانبولي : إعجاز ٩.

(١٥) القرآن ٢٥٥ .

(١٦) ٩ .

(١٧) الإسلام ٢٦٧ . الكرداني ٨ . عبدالقادر ٩٢ ، ١٠٧ .

(١٨) الكون ٥ .

(١٩) بين ١٥٩ – ٦ . القرآن ٢٥ .

(٢٠) المدخل ١١ .

الفصل السابع
المنهج السليم للتعامل مع الآيات العلمية

لم يكتف كثيرون – ممن قبلوا التفسير العلمى وممن رفضوه – بمجرد رصد الظاهرة والدفاع عن الرأى، وتجاوزوا ذلك إلى رسم ما تصوروه المنهج السليم للتعامل مع الآيات العلمية.

فقسم أبو حامد الغزالى فى «التهافت» ما قد يقع فيه الخلاف بين الفلاسفة وعلماء الدين ثلاثة أقسام:

جعل القسم الأول منها ما يرجع الخلاف فيه إلى مجرد الألفاظ كتسمية الفلاسفة الله: صانع العالم، أو الجوهر. وأعلن أن هذا القسم لا يستحق الخوض فيه لإبطاله(١).

وأوثر أن أجعل القسم الثالث عنده ثانيا عندى، وقد خصه بما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كإنكار حدوث العالم، وأعلن أن هذا القسم ينبغى إظهار فساد مذهبهم فيه(٢).

وجعل القسم الباقى لما لا يصدم مذهب الفلاسفة فيه أصلا من أصول الدين، ولا يقتضى تصديق الرسل منازعتهم فيه، كقولهم إن

الكسوف القمرى عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس، حيث إنه يقتبس نوره من الشمس(٣).

وأعلن أن هذا القسم لن يخوض فى إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض . واستمر يقول:

ومن ظن أن المناظرة فى إبطاله من الدين، فقد جنى على الدين وأضعف أمره. فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية ، لا يبقى معها ريبة . فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها: إذا قيل له: إن هذا على خلاف الشرع، لم يسترب فيه وإنما يستريب فى الشرع(٤).

والضرر الواقع على الشرع ممن ينصره بطريق غير سليم أكثر من ضرره ممن يطعن فيه وهو كما قيل: عدو عاقل خير من صديق جاهل (٥).

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليهم إبطال الشرع (٦).

وأعطانا الشاطبى الخطى التالية:

١- لا يجوز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه(٧).

٢- لا يصلح أن ينكر عن القرآن ما يقتضيه (٨).

٣- يجب الاقتصار - فى الاستعانة على فهمه - على كل ما

يضاف علمه إلى العرب خاصة. فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتقوّل على الله ورسوله فيه (٩).

٤- لابد - فى فهم الشريعة - من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، يريد العرف اللغوى العربى المستمر فى المعانى والألفاظ والأساليب (١٠).

٥- يجب أن يفهم الكتاب بحيث تكون معانيه مشتركة لجميع العرب ، ولذلك أنزل على سبعة أحرف واشتركت فيه اللهجات، حتى كانت قبائل العرب تفهمه (١١).

ووضع عبد الله فكرى (١٢٥٠ - ١٣٠٦ / ١٨٣٤-١٨٨٩) الخطوات الآتية:

١- الاعتقاد الجازم بأن جميع ما جاء فى كتاب الله، وصح عن رسوله، حق وصدق ، ولاريب فيه ولا مرية (١٢). وهو أعلم بحقيقته وأسراره وباطنه وظاهره (١٣) .

٢- إذا تعارضت مسألة فلكية (علمية) ونص شرعى . فهذه المسألة - بحسب القضية العقلية - لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون مثبتة بالدلائل القطعية أو لا.

فإن كانت هذه المسألة دعوى لا يقوم عليها برهان صحيح، فلا حاجة بنا حينئذ إلى التأويل إذ لا ضرورة بنا إلى تقليد كل ما

قيل[١٤] ، لمجرد كون قائله أثبت بعض ما قاله بالدلائل، إذ لا يلزم من قيام الدليل على جزء من مسألة ثبوت بقيتها [١٥].

أما إذا كانت المسألة قد أثبتت بدلائل قطعية، أو قواعد حسابية، أو أمور بصرية ، لايبقى معها شبهة، ولا يمكن مقاومتها، فإن عارضها شيء من ظاهر القرآن يقبل التأويل بما تطابقه المسألة، قلنا بذلك التأويل [١٦] . فقد رأيت علماء السنة وكثيرا من المفسرين تأولوا كثيرا من النصوص لمثل ذلك [١٧] .

وأما إن عارض تلك المسألة القطعية نص شرعى لا نعلم له تأويلا : فوضنا علمه إلى الله [١٨] وعلمنا أن عدم وقوفنا على تأويله إنما جاء من قصور أذهاننا عن المضاء فى فهمه [١٩].

وأضاف محمد بخيت المطيعى:

١ - كل لفظ يرد فى القرآن - إن كان له معنى شرعى، عرف استعماله فيه من قبل الشارع حتى صار حقيقة عرفية - وجب - حسب القواعد التى قررها العلماء - حمل ذلك اللفظ على هذا المعنى [٢٠] . ولا يجوز صرفه عنه إلا بقرينة تمنع من إرادته [٢١] فإن لم يوجد من الشارع ما ذكر ، وجب حمل اللفظ على معناه الحقيقى المعروف فى لغة العرب.

٢ - فإن وجدت القرينة المانعة لما ذكر، حمل اللفظ على المعنى المجازى [٢٢] .

٣ – الرجوع إلى الحكماء – أى العلماء المختصين – (٢٣) فيؤخذ منهم مالا يخالف ما علم من الدين بالضرورة (٢٤) ألا ترى أن العلماء قاطبة – فى بيان أعضاء الإنسان وسائر الحيوانات وبيان وظائفها – رجعوا إلى ما قاله علماء التشريح (٢٥).

٤– عدم الخروج عما قاله المحققون من المفسرين (٢٦).

٥– اختيار القول الموافق لما قاله علماء الهيأة، عند اختلاف المحققين من المفسرين فى تفسير آية (٢٧).

ونقل د. عبد العزيز إسماعيل أن محمد مصطفى المراغى قال: يجب ألا تجرّ الآية إلى العلوم كى نفسرها (٢٨) ولا العلوم إلى الآيـــــة (٢٩) ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها (٣٠).

وأضاف هو ينبغى ألا يطبق على الآيات إلا ما يكون قد ثبت ثبوتا قطعيا ولم يقبل الشك (٣١). فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل (٣٢) . وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات، حتى لو اتفقت مع ظاهرها (٣٣) . وإنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لاشك فيها (٣٤).

ورأى محمد عبد العظيم الزرقانى ألا نقطع برأى فى تفاصيل ما نعرض له من الكونيات إلا إن كان لنا عليه برهان لا شك فيه

ولا نكران [٣٥] . وإلا وجب أن نتوقف عن هذه التفاصيل، ونكل علمها إلى العالم الخبير [٣٦].

وكان صلاح الدين خشبة يرى أنه ليس لبشر أن يفسر الآيات العلمية، إذ ليس لمعناها حد إلا حدود العلم والعقل، وهذا بحر فى ازدياد [٣٧] . ولذلك التزم أن يذكر أحدث ما وصل إليه العلم عن الكون والحياة، وإلى جواره الآيات، متحاشيا محاولة تفسيرها [٣٨]. وتاركا للقارئ أن يفكر فيما يقوله العلم، وأن يمعن النظر فى الآية [٣٩].

وذهب عباس محمود العقاد إلى أن الأمر الذى لا محل فيه للخلاف أن الإنسان العصرى مطالب بفهم كتبه المقدسة وما توجبه على ضميره من الفرائض.

وتساءل: هل معنى ذلك أن تفهم كما فهمها المخاطبون بها لأول مرة، أو أن تفهم فى كل عصر حسب النظريات العلمية التى انتهى إليها أبناؤه ؟

وكان جوابه: لا هذا ولا ذاك

وبرر جوابه بما يلى: إن المسلم مأمور فى القرآن بالتفكير والتأمل والتدبر، والاستقلال بذلك عن الآباء والأجداد، وأحبار الزمن القديم، وأئمة الدين فيه.

وليس الخطاب القرآنى مقصورا على العرب الأميين، ولا على أبناء القرن العشرين، ولكنه عام مطلق لكل عصر، وكل مكان ؛ إذ ليس من المعقول أن يفكر الإنسان على نسق واحد فى جميع العصور.

وأخيرا أعلن رأيه : إننا مطالبون بأن نفهم القرآن فى عصرنا كما كان يفهمه العرب الذين حضروا الدعوة المحمدية ، لو أنهم ولدوا معنا، وعرفوا ما عرفناه، واعتبروا بما نعتبر به من حوادث الحاضر والتاريخ منذ الدعوة المحمدية إلى اليوم (٤٠).

واعتقد حنفى أحمد أن للكونيات مفتاح طريق بحث ، غاب عن أهل العلم والفكر. ووضحه بأنه جمع كل طائفة من الآيات المنزلة فى الموضوع الواحد كخلق السماء أو الحيوان ، ثم تناولها بالبحث والربط بينها، واستخراج القضايا العامة والخاصة التى تظهر ما انطوت عليه من أصول العلم الكونى، كما فعلوا فى استنباط الأحكام الشرعية (٤١).

وحتم أن يتعاون فى تفسير القرآن العالمون بأسرار الشريعة وفقه اللغة وبلاغتها والعلماء الإخصائيون فى مختلف العلوم (٤٢).

ووضع عبد الرزاق نوفل المنهج الآتى لتفسير القرآن عامة:

توحيد تفاسير القرآن فى تفسير واحد يضعه مجمع إسلامى على مستوى أكاديمى ، يضم أساتذة اللغة وقادة الفقه والشريعة

ورجال التشريع والقوانين وعلماء الطب والفلك والأحياء والنبات والاقتصاد والتربية وكل العلوم والمعارف. ويصير تفسيرهم التفسير المعتمد، ويحبس ما عداه عن التداول. ويترجم إلى كل لغات العالم.

وعلى هذا المجمع أن يعيد النظر فى التفسير ، على رأس كل قرن من الزمان كحد أقصى أو نصف قرن كحد أدنى ، لإضافة ما قد يكون أظهرته الأبحاث أو اكتشفه العلم من حقائق جديدة تضاف إلى معانى الآيات ، وتوضح إعجازها (٤٣).

وفى تفسير الكونيات بخاصة، نادى بدراسة آيات الموضوع الواحد معا، وربط بعضها ببعض ، فيفسر بعضها بعضا، ويتم التعليق عليها بما أوضحه العلم. فإن ذلك يزيد من جلاء الإعجاز العلمى (٤٤) فتابع فى ذلك حنفى أحمد .

وأوجب على المجتهد فى آيات القرآن ألا يكون ميدان اجتهاده سوى الآيات التى تخصص فى دراسة العلوم التى تشير إليها أو توجه النظر لها أو تورد حقائقها (٤٥) .

وقال عبد الكريم الخطيب: إننا لا نعرض القرآن على المخترعات العلمية ولا الآيات الكونية التى تتكشف للناس زمنا بعد زمن، ثم نجهد الجهد كله فى استجلابها للقرآن، وضمها إليه، وجعل مقرراتها وجها من وجوه تفسيره فالقرآن فى غنى

واسع . فمن السفه والجهل أن يستجدى له هذا الزَّبد الذى يذهب جفاء (٤٦).

لن يكون طريقنا إلى الكشف عن إعجاز القرآن هذا الطريق الذى يزحم القرآن بمقررات الكشوف العلمية وبأجهزتها وأدواتها. فإن ذلك يذهب بكثير من جلال القرآن وروعته، بل وينزل من قدره حين يجرى مع العلم والعلماء فى ميدان، وحين يكون مبلغ فضله وإعجازه أنه من فرسان هذه الحلبة، أو من السابقين فيها (٤٧).

لن نفترض سلفا أن فى القرآن مفهوما أو منطوقا لكذا أو كذا من الحقائق العلمية أو النظريات المذهبية، ولن نعرض آيات الكتاب الكريم عليها ، ولن نتأول لها ونشتط فى التأويل(٤٨).

وإنما الذى يكون منا أن ننظر فى كتاب الله، بما أرانا العلم من آيات جديدة فى هذا الوجود، وبما كشف لنا من حقائق فى هذا الكون الرحيب. فإذا انكشف لنا فهم جديد لآية من آيات الكتاب الكريم، فى آفاق هذه النظرة وعلى ضوئها ، أخذنا بها وجعلناها وجها من وجوه الفهم للكتاب المجيد. وإلا أمسكنا عن أن نقول قولا . فقد يجئ من هو أحدّ نظرا، وأدق فهما، فيرى مالا نرى، ويفهم مالا نفهم(٤٩).

وكرر محمد الصادق عرجون القول بأن الآيات العلمية فى

حاجة إلى فهم جديد على ضوء ما جد فى مجال العلوم الحديثة (٥٠) . ولكنه اشترط فى هذا الفهم أن يستهدف مقاصد القرآن فى الهـــداية (٥١). وألا يخضع القرآن لنظريات ما تزال فى مهب التجارب: وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير (٥٢).

ولم يكتف بذلك، فتجاوزه إلى إعطائنا الصفات التى يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لهذه المهمة ، فقال : يجب أن يكون متضلعا من العلوم الشرعية أصولا وفروعا، ومن الفنون العربية بجميع ضروبها المختلفة، وأن يكون متشبعا من العلوم الكونية ، ملما بحقائقها، ليستطيع فى ظلها وظل العلوم الشرعية والعربية أن يتبين معـالم الهداية القرآنيـة فى إقامة الحجة على مقاصد القرآن (٥٣).

وأوضح سيد قطب موقفه فى أنه لايجوز أن نعلق الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن أحيانا عن الكون، بفروض العقل البشرى ونظرياته، ولا حتى بما يسميه «حقائق علمية» مما ينتهى إليه بطريق التجربة القاطعة فى نظره (٥٤) ففصل فصلا بين الآيات والعلم البشرى: حقائقه ونظرياته.

ولكن هذا لا يعنى ألا ننتفع بما يكشفه العلم عن الكون والحياة والإنسان . كلا! لقد قال سبحانه (سنريهم آياتنا فى الآفاق ...)

ومن مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم من آيات الله، وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية فى تصورنا، ودون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة (٥٥).

وقال يعقوب يوسف: أمامنا فى عرض اللفتات العلمية سبيلان:

١ - سبيل غير مأمون، هو أن نبالغ فى تأويل الآيات ، محاولين بذلك أن نثبت أن القرآن يحوى هذه النظرية أو تلك ، مع أن النظريات تقوم على التفاصيل ، وما ورد فى القرآن كان إشارات بعيدة عن الخوض فى تلك التفاصيل (٥٦).

٢ - وسبيل مأمون لا نتأول فيه ولا نتمحل ، ولا نلصق آيات القرآن بنظريات قد تتغير وتتبدل ، فتخرج القرآن بذلك عن مهمته فى بناء النفس والمجتمع (٥٧).

إننا لن نصب الآية فى قالب نظرية معينة، لأن الآية بطبيعتها عامة لا تتطرق إلى التفصيلات التى تميز النظريات بعضها عن بعض ، فالقرآن ليس كتاب نظريات علمية، وإن كان حافلا باللفتات إلى تكوين الكون والإنسان (٥٨).

ووسع د. محمد أحمد الغمراوى دائرة العلوم التى يجب أن يحيط بها من يتصدون للتفسير، فقال: لن يستطيعوا - على وجهه

الصحيح - حتى يطلبوا العلوم كلها ، ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن، ويستعينوا بها جميعا على استظهار أسرار آيات القرآن التى اتصلت بالعلوم جميعا(٥٩).

وصرح بأن النظر فى الآيات الكونية فى القرآن يحتاج من الاحتياط فى البحث، ومن الدقة فى المطابقة والاستنباط، ما هو دأب علماء الفطرة ، فى البحث عن أسرار الفطرة، بل يحتاج إلى دقة واحتياط أكبر (٦٠).

ولابد من التزام المنطق الصارم فى المطابقة بين الآى القرآنى وما يتصل بموضوعه من الحقائق الكونية، وفى الاستنباط من آى القرآن. وهذا يقتضى - إذا لزم الأمر - أن تكون المطابقة بين الحقيقة الكونية وجملة ما يتصل بها أو بموضوعها من الآيات القرآنية ، لابينها وبين آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر، ولا يتبين إلا فى ضوء آية أو آيات أخرى فى نفس موضوعها(٦١).

كذلك أوصى ألا يقصر التعبير القرآنى على وجه واحد، إذا تحمل التعبير أكثر من وجه ، حسب قواعد اللغة التى نزل بها القرآن. فكل معنى يفيده اللفظ أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مراد له وإن لم يك معلوما للبشرية قبل. وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاص بأن الله سيكشف للبشر

عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله [٦٢].

وعنى د. عبد القادر حسين بالكونيات المجملة فى القرآن فقال: الشئ إذا ذكر مجملا فى القرآن - أخذنا به كما هو لأنه صادق. أما ذكر التفصيلات، وحشد الجزئيات والتماس العلل والأسباب ، فهى غير صحيحة دائما، وغير مسلم بها أبدا وإنما تحتمل الخطأ والصواب [٦٣].

ومن المجازفة أن نأخذ بالصواب فى شئ ، ونسعى إلى تطبيقه على النص القرآنى. ثم يأتى إلينا العلم نفسه فى المستقبل بما ينقض ما سبق لنا الأخذ به والتثبت من صدقه، واعتباره صوابا، ليؤكد لنا - فيما بعد - أنه كان خطأ [٦٤].

وأعلن موريس بوركاى أن المعارف اللغوية المتبحرة لا تكفى وحدها لفهم الآيات العلمية، بل يجب - بالإضافة إليها - امتلاك معارف علمية شديدة التنوع ، أى دراسة انسيكلوبيدية تقع على عاتق تخصصات عدة [٦٥].

واتجه محمد إسماعيل إبراهيم اتجاها عمليا. فأعطانا الخطوات الآتية التى اتبعها فى عرض الآيات العلمية:

أولا: ذكر الآية ومكانها من القرآن الكريم [٦٦].

ثانيا: التفسير الدينى الوارد فى كثير من التفاسير المعتبرة لرجال الدين (٦٧).

ثالثا: التفسير بالرأى العلمى المطابق لأحدث ما وصل إليه العلماء من نظريات صحيحة متفقة مع القرآن (٦٨).

رابعا: عرض مبسط لبعض مبادئ العلوم المتصلة بالآيات بأسهل أسلوب يفهمه القارئ العادى ، إذا لزم الأمر ذلك ، لزيادة التأكيد بين صلة العلم بالقرآن (٦٩).

ووضع د. محمد سعيد رمضان البوطى الأسس الأربعة التالية للتفسير السليم:

١ - أن يخضع لدلالات اللغة العربية وقواعدها التى لاخلاف فيها.

٢ - أن يخضع لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها، كأحكام العموم والخصوص (٧٠).

٣ - ألا يتعارض معارضة حادة مع مضمون أية آية أخرى فى القرآن ، بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل أى قاعدة من قواعد تفسير النصوص (٧١).

٤ - ألا يتعارض معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوى صحيح ، بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلا سائغا للتوفيق بينهما (٧٢).

وأعلن د. عبد الحميد دياب وزميله أنهما راعيا فى بحثهما عدم تحميل الآيات القرآنية أكثر مما تحمل (٧٣) .

ويمكن أن نتبين أن خلف محمد الحسينى يضع ما يلى قواعد للتفسير السليم للآيات العلمية:

- لابد أن يعتمد التفسير على اللغة العربية قبل اللغة العلمية والنظريات التجريبية. فيجب على من يتصدى لتفسير بعض الآيات أن يبحث - أول كل شئ - عما توحى به ألفاظها العربية (٧٤).

- النظر فى أساليب القرآن ومراميه وأغراضه (٧٥) .

- البحث عن سياق الآية واتساقها مع الآيات السابقة عليها واللاحقة بها ، وعن نظائرها من الآيات (٧٦) .

- الاستعانة بأحاديث الرسول (٧٧).

- أخيرا النظر فى النظريات العلمية (٧٨).

فإذا وجدنا بعد تطبيق هذه القواعد - النظريات طابقت المعنى المراد من الآية كان بها ، وإلا فيجب تركها ، وعدم حمل تفسير الآية عليها (٧٩).

وقبل د. شوكت محمد عليان من البحوث مالا يؤثر إطلاقا على صواب العقيدة (٨٠).

ونادى د. عبد العليم عبد الرحمن خضر جامعات العالم

الإسلامى ومدارسه أن تتبع منهجا للدراسات الجغرافية، سماه المنهج الإيمانى ، ويعتمد على الخطوات الآتية:

– عرض مفاهيم من القرآن تشير إلى الظاهرة موضوع البحث.

– تحليل المفاهيم القرآنية بتتبع آراء المفسرين للآيات التى أشارت إلى الظاهرة .

– صياغة المفاهيم القرآنية المفسرة فى شكل قواعد وقوانين جزئية تخضع فى الأصل للقانون الإلاهى العام الأعظم للكون.

– التطبيق الجغرافى لما ورد فى القوانين المصوغة من المفاهيم القرآنية المفسرة .

– استنباط التوافق بين المنهج العلمى ومنهج القرآن وأسلوبه فى معالجة الظواهر الجغرافية، مع إيضاح سبق القرآن وشمول إشاراته وصدقها المطلق، وصلاحية الانتفاع بها للإنسان البدائى ولإنسان عصر الفضاء ومن بعده على السواء (٨١) .

ووصف منهجه فى عرض ما وصل إليه بحثه من نتائج:

– لا يحمل النص القرآنى على أن مدلوله هو هذا الذى كشفه العلم.

– لانقارن بين آيات القرآن وما يقابلها من المفاهيم العلمية.

- التزمنا بإبراز القوانين الطبيعية التى توشك أن تستقر قواعدها، والتى استقرت تماما (٨٢).

وذكر إبراهيم حسن النصيرات أنه بنى كتابه على النقاش العلمى المبنى على أسس منطقية موضوعية ، بعيدة عن التعصب الفكرى أو الطائفى (٨٣) وصرح أنه لا يريد إلباس القرآن ثوب الجغرافيا كما كساه الآخرون ثوب الاشتراكية والرجعية من أجل بلشفة الإسلام (٨٤).

تعقيب

توضح لنا هذه الجولة أن العلماء لم يكتفوا بمجرد الدفاع عن التفسير العلمى أورفضه، بل حاول كثير منهم أن يضع الضوابط التى تكفل سلامة منهج البحث.

ولم يكن ذلك من المدافعين وحدهم، بل شاركهم فيه بعض الرافضين من أمثال العقاد والخطيب وعرجون.

وقد بدأت هذه المحاولات مع بدء الحديث عن التفسير العلمى. فأتى أبو حامد الغزالى بعدد من الضوابط الأساسية التى صارت قواعد مبدئية معتمدة لا يستطيع أن يهملها من تصدى لذلك التفسير ، مثل رفض القضايا العلمية التى تخالف أصلا من أصول الدين.

وأعطانا الأصولى الشاطبى الضوابط العامة لمنهج التفسير العلمى، التى صارت - مثل أقوال أبى حامد - أصولا مرعية عند المشاركين فى هذا الحقل العلمى . لم يشذ عن ذلك إلا أصل واحد، هو الاكتفاء بمعارف العرب الجاهليين الأميين ، فقد اتفق معه فيه قليل من الرافضين، واختلف معه جميع المؤيدين للتفسير العلمى.

وتوضح لنا الجولة أن أوائل كتاب العصور الحديثة مثل عبد الله فكرى ومحمد بخيت المطيعى ومحمد مصطفى المراغى ود. عبدالعزيز إسماعيل - أعطونا أكثر قواعد منهج التفسير العلمى، وأن من جاء بعدهم وسعوا ما قالوه أو أضافوا إليه قواعد مفردة، لها أهميتها أيضا .

ويلفت النظر من هذه القواعد:

- تصريح جماعة - مثل صلاح الدين خشبة وعبد العليم خضر - من المدافعين عن احتواء القرآن للمضامين العلمية، بأن ما يكتبونه ليس تفسيرا للقرآن ، أو ليس تفسيرا محتوما له، أو اكتفاؤهم بإيراد الآيات والقضايا العلمية متجاورة دون محاولة للربط بينها.

- الإجماع على الالتزام بالقضايا العلمية التى ثبتت ثبوتا

لا يتطرق إليه شك ، والاختلاف الشديد بين العلماء فى موقفهم مما سموه «النظريات العلمية» فرفضها أكثرهم ، ورضى عنها أقلهم . وأعتقد أن مرجع ذلك اختلاف مفهوم النظرية عندهم . فمن ذهب إلى أنها تفسير الظواهر الطبيعية وتعليلها ، خشى على القرآن مما يطرأ عليها من تغيير وتطوير وتبديل على مجرى الزمن، فرفضها . ومن ذهب إلى أنها الظواهر نفسها، رضى عن ربطها بالقرآن.

– الإجماع على عدم إخضاع الآية للرأى العلمى ، حتى عند من اتهموا بالإكثار من المسائل العلمية والمبالغة فيها مثل طنطاوى جوهرى ، مما يدل على التباين بين القول النظرى والتطبيق العملى أو على تظاهر المبالغين بالاعتدال ليكسبوا اقتناع القراء.

– غموض رأى العقاد والخطيب عند محاولة تطبيقه.

– تعذر وجود مفسر يتصف بما طلبه الغمراوى . وأيسر منه أن يشارك فى التفسير جماعة من تخصصات مختلفة كما أوصى المطيعى وحنفى أحمد وعبد الرزاق نوفل.

الاختلاف بين موقفى المراغى وعبد العزيز إسماعيل وعبد القادر حسين عند اتفاق القضية مع ظاهر الآية.

الخلاصة

تبين لنا – في يقين وطيد – أن الإجماع واقع بين مؤيدي التفسير العلمي ورافضيه على أن القرآن كتاب دعوة وتشريع . ولكن الرافضين يقفون عند هذه المقولة ، ويتجاوزها المؤيدون إلى أن تلك هي وظيفته الأولى. ولا يمنع ذلك أن تكون له وظائف أخرى ، قد تعادل الدعوة والتشريع في الأهمية ، وربما لا تعادلها بل لاتدانيها . ومن هذه الوظائف عندهم الإعجاز العلمي.

وتؤكد هذه الدراسة لنا تأكيدا صارما أن الإجماع واقع بينهم أيضا على أن القرآن ردد الثناء على العلماء وحض كثيرا على العلم ، ودعا – في إلحاح – إلى السير في أرجاء الأرض، والتدبر في الكون والكائنات ، للاستدلال منها على وجود الخالق وحكمته وقدرته . بل رأى بعض القائلين أن هذا فيه أضعاف ما في غيره من الكتب السماوية . وبلغ بعضهم إلى حد القول بأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي وجه هذه الدعوة . ووصل الأمر ببعضهم إلى أن يعد ذاك وجها من وجوه إعجازه.

ولكن كثيرين – وأنا منهم – لا يرون أن هذا الثناء على العلم والحض على التدبر يجعل من القرآن كتاب علم بالمعنى الذي

يتبادر إلى الذهن عندما يلتقى بهذه العبارة . وإنما يجعله مشجعا للعلم والتفكير السليم.

وتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن فى القرآن ذكرا لظواهر تنتمى إلى علوم متعددة . ولكن الرافضين وبعض المؤيدين يصرحون - بحق - أن هذه الظواهر أتى بها فى إشارات وتلميحات إلى المرئى المعروف منها.

فلاشك أن من الظواهر العلمية حقائق وجدت منذ الأزل ، وعرفها الناس عالمهم وجاهلهم منذ كانوا مثل تعاقب الليل والنهار، وتباين طولهما صيفا وشتاء ، وتعدد أوجه القمر، والخسوف والكسوف ، وغير ذلك . وورود مثل هذه المعلومات فى القرآن قد يدل على حكمة الله أو قدرته . ولكن المؤكد أنه لا يدل البتة على إعجاز علمى أو معرفة فريدة ، وإلا كان الناس - منذ كانوا ، وإلى أى فئة انتسبوا - أصحاب إعجاز علمى أو معارف متفردة.

قد يقال إن وراء هذه المعلومات مبادئ وقواعد ونظريات علمية غاية فى الروعة والدقة ، فطن الناس إلى بعضها قديما، وإلى بعضها حديثا ، ونعرف يقينا أنهم يفطنون إلى بعضها الآخر فى المستقبل أو البعيد. ولكن الحديث عن وجود هذه الظواهر غير

الحديث عن المبادئ التى وراء هذا الوجود ، والحديث عن الوجود لا يحتم المعرفة بما وراءه ، ولا يستدعى الخوض فى الحديث عن هذه المبادئ والنظريات ، مما قد يوحى بأن القرآن تعرض لها . وإلا نسبنا إلى من تحدثوا عن هذه الظواهر – فى الجاهلية أو فى أعصر كانوا – إعجازا لم يدّعه أحد منهم.

وتثبت – فى وضوح باهر – أن هناك إجماعا على عدم إخضاع آيات القرآن للأفكار العلمية ، فنحمل ألفاظها مالا تتحمل أو فوق ما تتحمل ، أو نلوى عباراتها لتتفق مع هذه القضية أو تلك. فإن كان هناك خلاف بينهم ، فسببه أن أكثر المعارضين للتفسير العلمى التزموا بهذا الموقف قولا وعملا التزاما كاملا وأن كثيرا من المؤيدين نادوا به قولا وتحللوا منه عند التطبيق.

وتبرز – فى جلاء كاشف – خطر اعتقاد بعض الناس أن سبق القرآن هو وجه إعجازه العلمى . فهذا الوجه يحيط به ما أحاط بالإعجاز بالإنباء بالغيب من شكوك واعتراضات، يضاف إلى ذلك أنه دفع المؤمنين به إلى مزالق وعرة.

وتقدم الأدلة – واحدا بعد آخر – على ضرر الربط الخاطئ بين القرآن والعلم ، إذ يجلب السخرية ممن قام بالربط وسوء الظن

بالقرآن ، ولا أقول – كما قال بعضهم – إن الخطأ سينسب إلى المفسر لا إلى القرآن .

وتظهر أن التمحيص الدقيق لأقوال بعض من قالوا بالإعجاز العلمى ، كشف أن ما أرادوه ينصبّ على الطريقة التى عرض بها القرآن ما ذكره من ظواهر علمية . ولا يحتاج إلى تدليل أن ذلك يرفع آراءهم من تحت الإعجاز العلمى ويضعها تحت مظلة الإعجاز البيانى.

وقد جعلنى هذا التطواف أومن بوجوب البدء بحسن تصور طبيعة القرآن ووظيفته ، عند التعرض للإعجاز العلمى. وقد تأكد لنا أن الوظيفة الأساسية له أن يكون كتاب دعوة وتشريع . أريد كتاب دعوة إلى الايمان بربوبية الله الواحد كامل الصفات ، ونبوة محمد بن عبد الله ، ووضع الشرائع التى تكفل إقامة المجتمع الإسلامى الأمثل ، وقد استخدم القرآن – من أجل هاتين الوظيفتين – التعبير المباشر الذى يقدم الفكر صريحا، واستخدم – من أجل الوظيفة الأولى التى كان هدفها يختفى وراء أستار وأدران من الوثنية والشرك والتحريف – كل ما تيسر له من الأفكار ، وجميع ما أتيح له من التعابير . فالحديث إذن عما فى الوجود الطبيعى والحيوى من ظواهر إنما ورد فى القرآن أصلا لإثبات ألوهة الله ونبوة محمد ، كما

يصورهما الإسلام.

ونبهنا هذا التطواف إلى ضرورة معرفة مجال البحث معرفة دقيقة ، وإبعاد ما قد يتسرب إليه مما هو ليس من جوهره فيحيد بالباحث عن الحقيقة.

وأول ما تجب معرفته أننا لسنا بصدد الحديث عن علم الله، الذى وصفه القرآن فى قوله : (لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى، ولو جئنا بمثله مددا) (الكهف ١٠٩) ولسنا بصدد الحديث عن قدرة الله، التى رددها القرآن فى عبارة (إن الله على كل شىء قدير) ولسنا بصدد الحديث عن حكمة الله ، التى رددها القرآن فى كثير من فواصله ، جامعا بينها وبين العلم والعزة والخبرة. ولسنا بصدد الحديث عن إعجاز الله فى خلقه ، وما تدل عليه الكائنات العلوية والسفلية ، والحية والجامدة، وغيرها من علم وحكمة وقدرة . فتلك صفات مثل بقية صفات الله ، لا تحدها حدود: ولا يحيط بها بشر، ويؤمن بها كل مؤمن بوجود الله الخالق لا المسلمون وحدهم.

وإنما مجال البحث النص القرآنى، المدون بين غلافى المصحف، والبادئ بالفاتحة ، والمختتم بسورة الناس، إنه نص محدد

يكشف عن صفات الله فى عبارات مجملة ، ولا يمنحناها فى رحابتها ، لا هو ولا بقية الكتب السماوية منفردة ولا مجتمعة . وإن عدّ ما فى النص القرآنى هو هذه الصفات على اتساعها خلط بين أمور غير كاملة التماثل.

وتمنحنا كل الدلائل التى تثبت أن المؤيدين والرافضين انطلقوا فى مواقفهم من الرغبة الخالصة فى إجلال القرآن والمحافظة على مكانته سامية بين المؤمنين والكافرين . والفرق بينهما أن المؤيدين غلبت عليهم الرغبة فى تعظيمه ، والرافضين غلبت عليهم الخشية من اتهامه بالخطأ.

ونكتشف أن القول بالإعجاز العلمى للقرآن ينقصه شرطان أساسيان:

الأول منهما أن يتحدى صاحب المعجزة من يريد أن يؤمنوا به.

والثانى : أن تكون المعجزة من جنس برز فيه من وجهت إليهم، وفشا فيهم ليظهر عجزهم مثل السحر عند الفراعنة أيام موسى ، والطب عند الرومان أيام المسيح عليهما السلام ، والاتفاق تام أن العرب كانوا أيام الوحى جاهلين بالعلوم بل كانوا أميين.

ثم ما حاجة القرآن إلى الاعجاز العلمى . إن كثيرا من

المفكرين جهروا بالقول بغنى القرآن عن هذه البضاعة ، وعن أن يجعلها من وظائفه، ولم يزعم أحد من الكتابيين أن كتابه السماوى معجز علميا ، ولو خلا القرآن خلوا تاما من الإشارات العلمية لما انتقص ذلك من مكانته بل من إعجازه العام ، وإن انتقص من قدرته الراهنة على الاضطلاع بوظيفته فى إثبات الخالق.

الهوامش

(١) ٧٩. عبد الله فكرى ٦. توفيق ٩.

(٢) ٨١. توفيق ٩.

(٣) ٨٠. توفيق ٩، ١٠.

(٤) ٨٠. عبد الله فكرى ٩. توفيق ٩. ضو ١٣. بين لنوفل ١٣٣.

(٥) ٨٠. عبد الله فكرى ٦–٧ توفيق ٩.

(٦) ٨١. عبد الله فكرى ٧ . توفيق ٩–١٠.

(٧) الموافقات ٢/٥٦. الخولى ٥/٣٦٠ . الحمصى ١٥٢. الذهبى ٢/٤٨٩.

(٨) المواضع أنفسها.

(٩) الموافقات ٢/٥٦. الخولى ٥/٣٦٠ . الحمصى ١٥٢/١٥٥. الذهبى ٢/٤٨٩.

(١٠) الموافقات ٢/٥٦. توفيق ٤١ . الخولى ٥/٣٦٠ . وانظر الذهبى ٥٢٣ . عرجون ٢٤٦. الغمراوى ٢٥٩. الكردانى ١٤. عبد القادر ٩٢. الحمصى ٤٢٧ . الحسينى ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٢٥.

(١١) الموافقات ٢/٥٩ . الأهرام ٤ – ٤ – ١٩٩٠.

(١٢) فى مقارنة ٩. توفيق ١٠. أبو زهرة ٥٢٣ . الله والكون ٥٢ . الحسينى ٢٥، ٢٩.
(١٣) فى مقارنة ٩.
(١٤) فى مقارنة ٩. الخطيب ١/٢٨ . الغمراوى ٢٢٣ . الكردانى ١٤. عبد القادر ٩٢. الحسينى ١٢٥.
(١٥) فى مقارنة ٩.
(١٦) فى مقارنة ٩، ١٧-٨ . توفيق ١٠. الحمصى ٢٢٠، ٤٣٥. أبو زهرة ٥٢٣.
(١٧) فى مقارنة ٩. توفيق ١٠.
(١٨) فى مقارنة ١٧-٨ . عبد العزيز ١٥ . الحمصى ٢٣٦ . الزرقانى ٢/٤٥٤. الخطيب ١/٢٨ . قطب١٨٣.
(١٩) فى مقارنة ١٧- ٨.
(٢٠) توفيق ٤١.
(٢١) توفيق ٤١. عبد القادر ٩٢.
(٢٢) توفيق ٤١ . الغمراوى ٢٢٣ . الكردانى ١٤ عبد القادر ٩٢.
(٢٣) توفيق ٢٥٢، ٢٥٧.
(٢٤) توفيق ٢٥٧ . حسب ٧ ، ٨.
(٢٥) توفيق ٢٥٢، ٢٥٧

(٢٦) توفيق ٢٥٠.

(٢٧) توفيق ٢٥٠ . محمد إسماعيل ٥١.

(٢٨) الإسلام ١٥ . السيد ٣٣. عبد الحليم ١٦. عرجون ٢٣٥. محمد إسماعيل ٤٩. شبهات ١١١. دياب ١٢. الحسينى ٢٥، ١٢٥.

(٢٩) الإسلام ١٥. السيد ٣٣. الخطيب ١/٢٨ . عبد الحليم ١٦.

(٣٠) الإسلام ١٥. السيد ٣٣ . عبد الحليم ١٦. أبو زهرة ٥٢٣. عبد القادر ١٠٧ الإشارات ٧٩.

(٣١) الإسلام ١٤. الفلسفة ١٧٣. الحمصى ٢٢٠. ٣٦٦ . محمد ٨٩ . بين لنوفل ١٤٤، ١٩٦ السيد ٣٣ . القرآن للفندى ١٦، ٢٠ قطب ١٨٢، ١٨٥٧. أبو زهرة ٥٢٣ . الغمراوى ٦٤، ٢٢٣، ٢٥٩، ٢٦٤. عتر ٣٧٨. الاستانبولى ٦ ، ١٠٠ بوكاى ١٤٧ . سلطان ٤٤. طلبة ١٢٣. دياب ١٢. الحسينى ٢٨ ، ١٢٥ حسب ٧، ٨ فودة ٢٥١. عبادة ١٦، ٧٠ الدباغ ٧٤. أبو على ٣٣ الظواهر ١٩.

(٣٢) الإسلام ١٤. السيد ٣٣ . عبادة ١٦، ٧٠.

(٣٣) الإسلام ١٤ . السيد ٣٣.

(٣٤) الإسلام ١٤ . الغمراوى ٢٦٥ . عتر ٣٧٨ . شوقى ٨. فاضل٣٠٤.

(٣٥) مناهل ٢/٤٥٣ -٤.

(٣٦) مناهل ٢/٤٥٤.

(٣٧) رسالة ١٢.

(٣٨) رسالة ١٢. يعقوب ١٥. د. شوقى ٨. الظواهر ١٤.

(٣٩) رسالة ١٢ . يعقوب ١٥ . الإشارات ٧٩.

(٤٠) الفلسفة ١٧٣. التفكير ١٧٥ – ٦.

(٤١) التفسير ٧ ، ٣٦ ، ٤١ . بين لنوفل ١٤٥ . منهج ٢٠١.

(٤٢) التفسير ٣٤.

(٤٣) بين ١٥١ – ٢.

(٤٤) بين ١٤٥.

(٤٥) بين ١٥٢ – ٣.

(٤٦) إعجاز ١/ ٢٨.

(٤٧) إعجاز ١/٣٦.

(٤٨) إعجاز ١/٢٨.

(٤٩) إعجاز ١/٢٨ . قطب ١٨٣. شوقى ٨.

(٥٠) القرآن ٢٥٥، ٢٧٤.

(٥١) القرآن ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٧٣ – ٤.

(٥٢) القرآن ٢٧٤ . محمد إسماعيل ٤٩. شبهات ١١١ . دياب ١٢. الحسينى ٢٥، ١٢٥.

(٥٣) القرآن ٢٧٤.

(٥٤) فى ١٨٢ . يعقوب ١٢. الصباغ ٢٠٥. صالحة ١٠٥.

(٥٥) فى ١٨٣ . الصباغ ٢٠٧.

(٥٦) لفتات ١٠.

(٥٧) لفتات ١٥.

(٥٨) لفتات ١٥.

(٥٩) الإسلام ٢٢٢، ٣١٦ بوكاى ١٤٦.

(٦٠) الإسلام ٢٥٧.

(٦١) الإسلام ٢٥٨.

(٦٢) الإسلام ٢٥٤.

(٦٣) القرآن ١٠٦.

(٦٤) القرآن ١٠٦.

(٦٥) دراسة ١٤٦.

(٦٦) القرآن ٥٠.

(٦٧) القرآن ٥٠.

(٦٨) القرآن ٥١.

(٦٩) القرآن ٥١.

(٧٠) الحمصى ٤٢٧.

(٧١) الحمصى ٤٢٧.

(٧٢) الحمصى ٤٢٧.
(٧٣) مع ١٢. النصيرات ٩. الكونية ١٩.
(٧٤) القرآن ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٢٥.
(٧٥) القرآن ٢٨.
(٧٦) القرآن ٢٥، ١٢٥.
(٧٧) القرآن ١٢٥.
(٧٨) القرآن٢٥.
(٧٩) القرآن ٢٥.
(٨٠) الإسلام ٥٢.
(٨١) الظواهر ١٤.
(٨٢) الكونية ١٩.
(٨٣) ظواهر ٩.
(٨٤) ظواهر ٩.

المصادر والمراجع

– إبراهيم ، أحمد شوقى : سنريهم آياتنا – الكويت – نشر وتوزيع مؤسسة الصباح . مطابع الأنباء .

– إبراهيم ، محمد إسماعيل : القرآن وإعجازه العلمى – القاهرة – دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٧٧.

– إبراهيم ، محمد محمود : إعجاز القرآن فى طبقات الأرض – مصر – مطبعة مختار – رمضان ١٣٧٤/ مايو ١٩٥٢.

– ابن رشد ، محمد بن أحمد : فصل المقال – مصر – المطبعة العلمية – شوال ١٣١٣.

– ابن النقيب ، محمد بن سليمان البلخى : مقدمة تفسيره فى علم البيان والمعانى والبديع وإعجاز القرآن – القاهرة – مكتبة الخانجى – ١٤١٥/ ١٩٩٥.

– أبو زهرة ، محمد : المعجزة الكبرى القرآن – مصر – دار غريب للطباعة – ١٩٧٧.

– أبو شهبة ، محمد محمد : المدخل لدراسة القرآن الكريم – مصر– دار اللواء.

– أبو على ، محمد بركات حمدى : فى إعجاز القرآن الكريم – ط ا – المكتبة الدولية – مؤسسة الخافقين – ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
– أحمد ، حنفى : التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن– مصر– دار المعارف – ط٣– ١٩٨٠.
– أحمد ، فاضل شاكر وفرج توفيق الوليد : المنتقى فى علوم القرآن – العراق – مطبعة جامعة بغداد –١٩٧٩.
– أرناؤوط ، محمد السيد : الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم – عربية للطباعة والنشر – ١٩٨٩.
– الاستانبولى ، محمود مهدى : إعجاز القرآن العلمى – لبنان – ١٣٩٦ / ١٩٧٦.
– د. إسماعيل ، شعبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الاجتماعية –ط١ – القاهرة – مطبعة التقدم – ١٤٠٠ / ١٩٨٠.
– د. إسماعيل ، عبد العزيز : الإسلام والطب الحديث – ط٢ – مارس ١٩٥٩.
– الأميرى ، محمد وفا: الإشارات العلمية فى القرآن الكريم– ط١– حلب– مطبعة أمية – ١ رجب ١٣٩٨– ٢٠ آب ١٩٧٨: ألوان من الإعجاز القرآن – ط١– حلب العبارة – الاسماعيلية – مصر – رمضان ١٤٠١/ ١٩٨١.

– د. البار ، محمد على : خلق الإنسان بين الطب والقرآن – ط ١ – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ١٤٠٠ / ١٩٨٠.

– بوكاى ، موريس : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – لبنان – دار المعارف .

– الجبرى ، عبد المتعال محمد: شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن الكريم – مصر – دار الاعتصام – ١٩٧٦.

– د. الجميلى ، السيد : الإعجاز الطبى فى القرآن – القاهرة – دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع – ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .

: الإعجاز الفكرى فى القرآن – القاهرة – مكتبة الثقافة الدينية – ١٩٨١.

– الجندى ، عبد الحليم : القرآن والمنهج العلمى المعاصر – القاهرة – دار المعارف – ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

– جوهرى ، طنطاوى : التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم – ط٢ – مصر – المطبعة الرحمانية –١٩٣٣.

: الجواهر فى تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات – مصر – مصطفى البابى الحلبى وأولاده – ١٣٤٨/ ١٩٢٩.

: القرآن والعلوم العصرية – ط١– مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٣٤١ / ١٩٢٣.
– الحسينى ، خلف محمد : القرآن الكريم تبيان لكل شئ – مطابع الأهرام التجارية – ١٥ربيع الأول ١٤٠٠ / ٢ فبراير ١٩٨٠.
– حسب النبى ، منصور : الكون والإعجاز العلمى للقرآن – القاهرة – دار الصفا للطباعة – ١٩٨١.
– خشبة ، صلاح الدين : رسالة العلم والإيمان – مصر – مطبعة كوستاتسوماس وشركاه – ربيع الأول ١٣٦٦ / فبراير ١٩٤٧.
– خضر ، عبد العليم عبد الرحمن : الإنسان فى الكون بين القرآن والعلم – ط١ – عالم المعرفة للنشر والتوزيع – ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن – ط١ – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ١٤٠٤ / ١٩٨٤.
: من آيات الله الكونية فى الآفاق – ١٤٠٢ / ١٩٨٢.
: المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم – ط١ – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ١٤٠٤ / ١٩٨٤.

: هندسة النظام الكونى فى القرآن الكريم – ط١ – السعودية– جدة – تهامة – ١٤٠٣ / ١٩٨٣.

– الخطيب ، عبد الكريم : إعجاز القرآن – ط١ – مصر – مطابع دار الكتاب العربى – رمضان ١٣٨٣ / فبراير ١٩٦٤.

– خلف الله ، أحمد عز الدين عبدالله : القرآن يتحدى – ط١ – مصر – مطبعة السعادة – ١٣٩٧ / ١٩٧٧.

– خليفة ، عبد السميع خليفة : الرياضيات فى القرآن الكريم– القاهرة – مطبعة الفجر الجديد – ١٩٨٧.

– داود ، أحمد محمد على : علوم القرآن والحديث – عمان – دار البشير – شركة الشرق الأوسط للطباعة – ١٩٨٤.

–الدباغ ، مصطفى : وجوه من الإعجاز القرآنى – ط١– الأردن ، الزرقا – مكتبة المنار – ١٩٨٢.

– د . دراز ، محمد عبد الله : مدخل إلى القرآن الكريم – الكويت – دار القلم – ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

– دروزة ، محمد عزة : التفسير الحديث – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٣٨١/ ١٩٦٢..

– د. دياب، عبد الحميد ود. أحمد قرقوز: مع الطب فى القرآن الكريم – ط٢ – دمشق – المطابع المركزية – ١٤٠٢/١٩٨٢.

- د. الذهبي ، محمد حسين: التفسير والمفسرون - ط٢ - مصر - مطبعة السعادة - ١٣٩٦/١٩٧٦.
- رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم - ط١ - مصر - مطبعة المنار - ١٣١٦.
- د. زرزور، عدنان : القرآن ونصوصه - سورية - مطبعة خالد بن الوليد - ١٣٩٩ - ١٤٠٠/١٩٧٩ - ١٩٨٠.
- سلطان ، منير : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة - ط ١ - ١٩٩٧ .
- سليمان ، أحمد محمد : القرآن والعلم - ط٢ - بيروت - دار العودة - ١٩٧٨.
- د. السويدي، يوسف: الإسلام والعلم التجريبي - ط١ - مكتبة الفلاح - ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر : الإكليل في استنباط التنزيل - مصر - دار العهد الجديد للطباعة .
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى : الموافق في أصول الأحكام - مصر- مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - ١٩٦٩ .
- د. الشاعر ، أحمد عبد الحميد: القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين - ط ٢ - الكويت - دار القلم ١٤٠٢/١٩٨٢.

– د. شحاته ، عبد الله : علوم القرآن والتفسير – القاهرة – دار العلوم للطباعة ١٩٨٠.

– د. شرف الدين صالحة عبد الحكيم : القرآن الحكيم : إعجازه وبلاغته وعلومه – الكويت – رجب ١٤٠٤/ أبريل ١٩٨٤.

– شلتوت ، محمود: القرآن والمسلمون – مجلة الرسالة – العدد ٤٠٧ و ٤٠٨ من السنة التاسعة – بتاريخ ٢١ و ٢٨ أبريل ١٩٤١.

– الصابونى ، محمد على : التبيان فى علوم القرآن – ط٢ – مكتبة الغزالى بدمشق ومؤسسة مناهل العرفان ببيروت – ١٤٠١ / ١٩٨١.

– الصباغ ، محمد : لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير – بيروت – المكتب الإسلامى – ١٣٩٤/١٩٧٤.

– صيرفى، حمزة سالم: الإعجاز العلمى فى القرآن – ط ١ – مكة المكرمة – مطابع زمزم ١٣٩٩.

– ضو ، أحمد كامل: القرآن الكريم والعلوم الحديثة – ط٢ – مصر – دار الفكر الحديث – ١٩٥٥.

– طبارة ، عفيف عبد الفتاح : روح الدين الإسلامى – ط١١ – بيروت – دار العلم للملايين.

– طلبة ، حسين فؤاد : كتاب الله الخالد – مصر – مطابع الأهرام التجارية – ١٥ رمضان ١٣٩٣ – ٨ أغسطس ١٩٧٩.

- العانى ، عبد القهار داود: دراسات فى علوم القرآن - ط١ - بغداد - مطبعة المعارف ١٩٧٢.
- د. عبادة، عبد الله: الطب فى القرآن - مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض- مطبعة المدنى- ١٩٨٢.
- عبدالحميد، محسن: الآلوسى مفسرا - بغداد - مطبعة المعارف - ١٣٨٨ / ١٩٦٨.
- د. عبد أارحمن ، محمد إبراهيم : منهج الفخر الرازى فى التفسير بين مناهج معاصريه - ط١- القاهرة - نشر الصدر لخدمات الطباعة - ١٩٨٩.
- عبد العزيز، أمير : دراسات فى علوم القرآن - ط ١ - دار الفرقان بالأردن ومؤسسة الرسالة ببيروت - ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
- د. عبد العزيز، محمد كمال : إعجاز القرآن فى حواس الإنسان - القاهرة - مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير- ١٩٨٧.
- د. العجمى، أبو اليزيد : حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم - مكة المكرمة - العدد ٢٢ من السنة الثالثة من دعوة الحق - محرم ١٤٠٤ / أكتوبر ١٩٨٣.
- العدوى ، محمد أحمد: آيات الله فى الآفاق أو طريق القرآن الكريم فى العقائد - ط١- مصر - مطبعة المنار - ١٣٥٢ / ١٩٣٣.

– د. عسكر، إحسان : فنون التبليغ القرآنى ونظرياته –ط١ – مصر – دار الاتحاد العربى للطباعة ١٤٠٦/١٩٨٦.
– العفيفى ، محمد : القرآن تفسير الكون والحياة – الكويت – منشورات ذات السلاسل – ١٤٠٦ / ١٩٨٦.
– العقاد، عباس محمود: التفكير فريضة إسلامية – لبنان – صيدا – نشر المكتبة العصرية.
: الفلسفة القرآنية – القاهرة – دار الإسلام – ١٩٧٣.
– العلوى، يحيى بن حمزة: الطراز – مصر – مطبعة المقتطف – ١٣٣٢ – ١٩١٤.
– د. عليان، شوكت محمد : الإسلام والمكتشفات العلمية – ط١ – الرياض – مطابع الجزيرة – ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
– الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد : تهافت الفلاسفة – ط٤ – مصر – دار المعارف .
– الغزالى، محمد : نظرات في القرآن – ط ٥ – القاهرة – مطبعة حسان .
– د. الغمراوى ، محمد أحمد: بين الدين والعلم – سلسلة الثقافة الإسلامية (١٣) – جمادى الأولى – ١٣٧٦ – نوفمبر١٩٥٩
– د الغوابى ، حامد : بين الطب والإسلام – القاهرة – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – ١٩٦٧.

– فقيهى ، محمد حنيف : نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني – ط ٢ – بيروت – صيدا – المكتبة العصرية – ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٨٥– فكرى بك ، عبد الله: رسالة في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية – مطبعة المدارس الملكية – أوائل ثاني الربيعين من سنة ١٢٩٣.

– فكرى ، علي : القرآن ينبوع العلوم والعرفان – ط٢ – دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٠ – ١٩٥١ .

–د . الفندى ، محمد جمال الدين : القرآن والعلم – ط ١ – القاهرة – فبراير ١٩٦٨ .

: الله والكون – مصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٦.

: من روائع الإعجاز فى القرآن الكريم – مصر – دار التحرير – ١٣٨٦ / ١٩٦٩.

ومحمد يوسف حسن : قصة السماوات والأرض – مصر – دار مطابع الشعب.

– فودة ، محمود بسيونى : المرشد الوافى فى علوم القرآن – القاهرة – مطبعة الأمانة – ١٤٠٢/١٩٨٢.

– قمحاوى ، محمد الصادق : الإيجاز والبيان فى علوم القرآن – القاهرة – مكتبة عالم الفكر– ١٩٨٠.

: شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها - ط١ -
القاهرة - دار الأنوار - ١٣٨٩ / ١٩٧٨.
- د. كامل ، عبد الحليم: القرآن الكريم والعلم- سلسلة
دراسات فى الإسلام - ١٥ محرم ١٩٨٥ - ١٦ مايو ١٩٦٥.
- الكردانى ، أحمد عبد السلام : نماذج من الإعجاز العلمى
للقرآن - مصر - مطابع الشعب - ١٩٧٥.
- الكواكبى ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ومصارع
الاستعباد - حلب - المطبعة العصرية - ١٩٥٧.
- د. الكومى ، سامى عبد العزيز : الإعجاز القرآنى فى مجال
الإعلام - ط ١ - مصر - مطبعة السعادة - ١٤١١/١٩٩٠.
- الماوردى ، على بن محمد : أعلام النبوة - لبنان - بيروت -
دار الكتب العلمية.
- د. المحجرى ، يحيى : آيات قرآنية فى مشكاة العلم - دار
النصر للطباعة - ١٩٩١.
- محمد، محمود حامد : القرآن وظواهر الجو - مطبعة النيل
- ١٩٤٥.
-محمود : مصطفى : القرآن : محاولة لفهم عصرى - مصر
- دار المعارف - ١٩٧٦.

- د. المرسى ، على على : موجز فى إعجاز القرآن الكريم وعلم الحشرات - مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٧٩.

- المطيعى ، محمد بخيت : تنبيه العقول الإنسانية لما فى آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية - مصر - مطبعة السعادة - ١٣٤١ / ١٩٢٣.

: توفيق الرحمن للتوفيق بين ما قال علماء الهيئة وبين ما جاء فى الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن - مصر - مطبعة السعادة - غرة ذى القعدة ١٣٤١.

- المقدم ، محمد سعدى : شواهد العلم فى هدى القرآن - ط ١ - مصر - ١٩٥٠.

- المنوفى ، محمد أبو الفيض : القرآن والعلوم الحديثة - مصر - دار إحياء الكتب العربية - ١٩٧١.

- النصيرات ، إبراهيم حسن: ظواهر جغرافية فى ضوء القرآن الكريم - ط٢ - عمان - جمعية عمال المطابع التعاونية - ١٤٠١/١٩٨١.

- نوفل ، عبد الرزاق : الإسلام والعلم الحديث - ط ١ - مصر - دار المعارف - رمضان ١٣٧٧- أبريل ١٩٥٨.

: بين الدين والعلم - القاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى.

: القرآن والعلم الحديث – لبنان – بيروت – دار الكتاب العربى – ١٣٩٣/١٩٧٣.
: الله والعلم الحديث – القاهرة – دار الشعب – ١٩٧١.
: محمد رسولا نبيا – مصر – دار الشعب.
: من الآيات العلمية – ط ١ – مصر – المطبعة الفنية الحديثة – ١٩٦٦.
– د. هاشم ، محمد محمد: الأدوية والقرآن الكريم – ط ٢ – الدار السعودية للنشر والتوزيع – ١٤٠٥ /١٩٨٥.
–د. وصفى ، الحاج محمد : القرآن والطب – ط١ – مطبعة السعادة – ١٣٨٠ / ١٩٦٠.
– يوسف، يعقوب : لفتات علمية من القرآن – ط ٢ – لبنان – بيروت – مطابع دار القلم – ١٣٩٠ / ١٩٧٠.

الفهرس

رقم الايداع ٥٧٢٨ / ٢٠٠٠

977 - 07 - 0725 - 2

هذا الكتاب

فهم بعض العلماء من الصحابة ومن تبعهم ، من قوله تعالى في الآية ٣٨ من سورة الأنعام **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** والآية ٨٩ من سورة النحل **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾** أنه لا يوجد شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله . وفهم بعضهم الآخر أن المراد كل شيء من أمور الإسلام . وذهب فريق ثالث إلى أن الكتاب المذكور هو اللوح المحفوظ . واتسع فريق رابع بلفظ القرآن فجعله يشمل المصحف والسنة وما إليهما . وأدخل بعض العلماء مختلف العلوم تحت عبارة **﴿كل شيء﴾** فبدأت التفاسير القرآنية التي تعتمد على المبادئ والحقائق والأفكار العلمية، منها ما تخفف ومنها ما أغرق إغراقا بعيدا . وكان من هؤلاء العلماء من صرح بأن هذا وجه من وجوه إعجاز القرآن . ولكن غيرهم أنكر عليهم ذلك ، بين مضيق وموسع في الإنكار .

وهذا الكتاب يؤرخ لهذه القضية . فيرصد أقوال أصحاب التفسير العلمي ومنكريه ، والأدلة التي استند إليها كل فريق في البرهنة على اتجاهه، وتفنيد اتجاه خصومه، يرصد ذلك منذ أول قول في الاتجاهين ثم يتتبع الأقوال على مجرى التاريخ الى يومنا هذا ، مبينا ما أخذه الخالف من السالف برمته، وما أخذه مع تحوير أو تغيير أو إضافة ، وما جاء به جديدا من عنده .

فأرخ لقضية التفسير والإعجاز العلميين للقرآن تأريخا شاملا الرجال والعصور، وعازيا كل قول إلى صاحبه، ليعم الضوء جميع الأرجاء، ويهتدي القارئ بنفسه إلى الرأي الذي يرتضيه، وبخاصة أن القضية اتسعت في الأعوام الأخيرة اتساعا لاحدود له .